ثم اهتديت

بقلم
محمد التيجاني السماوي

مؤسسة الفجر
لندن

بسم الله الرحمن الرحیم

ثم اهتديت

كاتب:

محمد تیجانی سماوی

نشرت فی الطباعة:

مركز الابحاث العقائديه

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

ثم اهتدیت

اشارة

سرشناسه : سماوی، محمد تیجانی ،۱۹۳۶ – م.

عنوان و نام پدیدآور : ثم‌اهتدیت/ محمد السماوی التیجانی. رسالهٔ الکوکب النورانی فی ترجمهٔالتیجانی/ محمد الحسون ؛ تحقیق و تعلیق مرکز الابحاث العقائدیهٔ.

مشخصات نشر : قم: مرکزالابحاث‌العقائدیهٔ، ۱۴۲۹ق= ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : ۷۶۵ص.

فروست : سلسلهٔالرحلهٔ الی‌الثقلین؛ ۱۸.

شابک : ۸-۲۱-۸۶۲۹-۹۶۴

وضعیت فهرست نویسی : برون‌سپاری.

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۷۴۵] – ۷۶۰ ؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : سماوی، محمد تیجانی ،۱۹۳۶ – م.

موضوع : شیعه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

شناسه افزوده : حسون، محمد ،۱۳۳۸ –

شناسه افزوده : مرکز الابحاث العقائدیه (قم)

رده بندی کنگره : BP۲۱۲/۵/س۸ث۸ ۱۳۸۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۷۴۸۳۰

الاهداء

کتابی متواضع لا تکلف فیه، هو قصهٔ رحلهٔ، قصهٔ اکتشاف جدید، لیس اکتشافا فی عالم الاختراعات التقنیهٔ أو الطبیعیهٔ، ولکن فی دنیا المعتقدات فی خضم المدارس المذهبیهٔ والفلسفات الدینیهٔ. ولما کان الاکتشاف یعتمد أولا علی العقل السلیم والفهم القویم الذی میز الإنسان عن بقیهٔ المخلوقین. فإننی أهدی کتابی إلی کل عقل سلیم، یمحص الحق فیعرفه من بین رکام الباطل، ویزن الأقوال بمیزان العدل فیرجح کفهٔ المعقول، ویقارن الکلام والأحادیث فیتبین المنطقی من المعسول، والقوی من المهزول، قال تعالی: (فبشر عباد الذین یستمعون القول فیتبعون أحسنه أولئک الذین هداهم الله وأولئک هم أولو الألباب). إلی کل هؤلاء أهدی کتابی هذا، راجیا منه سبحانه وتعالی أن یفتح بصیرتنا قبل بصرنا وأن یهدینا وینور قلوبنا ویرینا الحق حقا لا غبار علیه فنتبعه، ویرینا الباطل باطلا لا لبس فیه فنجتنبه، ویدخلنا فی عباده الصالحین إنه سمیع مجیب. محمد التیجانی السماوی [صفحه ۷]

دیباجهٔ

الحمد لله رب العالمین، خلق الإنسان من سلالهٔ من طین، فجعله فی أحسن تقویم، وفضله علی سائر المخلوقین، وأسجد له ملائکته

المقربين، وكرمه بالعقل الذى يبدل شكه باليقين، وجعل له عينين ولسانا وشفتين وهداه النجدين، وأرسل له رسلا مبشرين ومنذرين لينبهوه ويمنعوه من ضلالات إبليس اللعين، وعهد إليه أن لا يعبد الشيطان لأنه له عدو مبين، وأن يعبد الله وحده ويتبع صراطه المستقيم، على بصيرة وإيمان وعلم يقين، وأن لا يقلد فى عقيدته الأصحاب والأقربين والآباء الأولين، الذين أتبعوه من قبلهم بلا أدلة واضحة ولا براهين، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين. وصلوات ربى وسلامه وتحياته وبركاته على المبعوث رحمة للعالمين، ناصر المظلومين والمستضعفين، ومنقذ البشرية من ضلالة الجاهلين، إلى هداية المؤمنين الصالحين، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله نبى المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين اصطفاهم الله على سائر المخلوقين، ليكونوا قدوة المؤمنين، ومنار العارفين وعلامة الصادقين المخلصين وأوجب مودتهم فى القرآن [صفحه ٨] الكريم، بعد أن أذهب عنهم الرجس، وجعلهم من المعصومين ووعد من ركب سفينتهم بالنجاة ومن تخلف عنهم كان من الهالكين، وعلى أصحابه الكرام الميامين، الذين نصروه وعزروه ووقروه وباعوا أنفسهم لنصرة الدين، وعرفوا الحق فبايعوه بيقين، وثبتوا بعده على المنهاج القويم ولم يغيروا ولم يبدلوا وكانوا من الشاكرين، فجزاهم الله خيرا عن الإسلام والمسلمين. وعلى التابعين لهم والسائرين على هديهم إلى يوم الدين. ربى تقبل منى فأنت السميع العليم، واشرح لى صدرى فأنت الهادى إلى حق اليقين، واحلل عقدة من لسانى فأنت واهب الحكمة لمن تشاء من عبادك المؤمنين، رب زدنى علما وألحقنى بالصالحين. [صفحه ٩]

لمحة وجيزة عن حياتى

لا زلت أذكر كيف أخذنى والدى معه إلى مسجد الحى الذى تقام فيه صلاة التراويح فى شهر رمضان، وكان عمرى عشر سنوات، وقدمنى إلى المصلين الذين لم يخفوا إعجابهم بى. كنت أعلم منذ أيام إن المؤدب [١] رتب الأمور لكى أشفع [٢] بالجماعة ليلتين أو ثلاثا، وجرت العادة أن أصلى خلف الجماعة مع مجموعة من أطفال الحى وأنتظر وصول الإمام إلى النصف التالى من القرآن الكريم أى إلى سورة مريم، وبما أن والدى حرص على تعليمنا القرآن فى الكتاب [٣] وفى البيت خلال حصص ليلية يقوم بها إمام الجامع وهو من أقاربنا مكفوف البصر يحفظ القرآن الكريم، وبما أنى حفظت النصف فى تلك السن المبكرة أراد المؤدب أن يظهر فضله واجتهاده من خلالى فعلمنى مواقع الركوع من التلاوة وراجعنى عدة مرات ليتأكد من فهمى... بعد نجاحى فى الامتحان وإنهاء الصلاة والتلاوة بالجماعة على أحسن ما كان يتوقع والدى والمؤدب، انهال على الجميع مقبلين ومعجبين [صفحه ١٠] وشاكرين المعلم الذى علمنى ومهنئين والدى والكل يحمد الله على نعمة الإسلام " وبركات الشيخ. " وعشت أياما سوف لن تمحى من مخيلتى لما لقيته بعد ذلك الحدث من إعجاب وشهرة تعدت حارتنا إلى كل المدينة وطبعت تلك الليالى الرمضانية فى حياتى طابعا دينيا بقيت آثاره حتى اليوم، ذلك أنى كلما اختلطت على السبل أحسست بقوة خارقة تشدنى وترجعنى إلى الجادة، وكلما شعرت بضعف الشخصية وتفاهة الحياة رفعتنى تلك الذكريات إلى أعلى الدرجات الروحية، وأوقدت فى ضميرى شعلة الإيمان لتحمل المسؤولية. وكأن تلك المسؤولية التى حملنيها والدى أو بالأحرى مؤدبى لإمامة الجماعة فى تلك السن المبكرة جعلتنى أشعر دائما بأننى مقصر عن أن أكون فى المستوى الذى أطمح إليه أو على الأقل المستوى الذى طلب منى. لذلك قضيت طفولتى وشبابى فى استقامة نسبية لا تخلو من لهو وعبث يسودهما فى معظم الأحيان البراءة وحب الاطلاع والتقليد، تحوطنى العناية الإلهية لأكون متميزا من بين أخوتى بالرصانة والهدوء وعدم الانزلاق فى المعاصى والموبقات. ولا يفوتنى أن أذكر أن والدتى رحمها الله كان لها الأثر الكبير فى حياتى، فقد فتحت عينى وهى تعلمنى قصار السور من القرآن الكريم كما تعلمنى الصلاة والطهارة وقد اعتنت بى عناية فائقة لأنى ابنها الأول، وهى ترى إلى جانبها فى نفس البيت ضرتها التى سبقتها منذ سنوات عديدة ولها من الأولاد من يقارب سنها، فكانت تتسلى بتربيتى وتعليمى وكأنها تتبارى فى سباق مع ضرتها وأبناء زوجها. كما أن اسم التيجانى الذى سمتنى به والدتى له ميزة خاصة لدى عائلة السماوى كلها التى اعتنقت الطريقة التيجانية وتبنتها منذ أن زار أحد أبناء الشيخ سيدى أحمد التيجانى مدينة قفصة قادما من الجزائر

ونزل فی دار السماوی فاعتنق کثیر من أهالی المدینهٔ خصوصا العائلات العلمیهٔ والثریهٔ هذه الطریقهٔ الصوفیهٔ [صفحه ۱۱] وروجوا لها، ومن أجل اسمی أصبحت محبوبا فی دار السماوی التی یسکنها أکثر من عشرین عائلهٔ وکذلک خارجها ممن لهم صلهٔ بالطریقهٔ التیجانیهٔ، لذلک کان کثیر من شیوخ المصلین الذین حضروا تلک اللیالی الرمضانیهٔ التی ذکرتها یقبلون رأسی ویدی مهنئین والدی قائلین له ": هذا فیض من برکات سیدنا الشیخ أحمد التیجانی " والجدیر بالذکر أن الطریقهٔ التیجانیهٔ انتشرت بکثرهٔ فی المغرب والجزائر وتونس ولیبیا والسودان ومصر وأن معتنقی هذه الطریقهٔ متعصبون نوعا ما، فهم لا یزورون مقامات الأولیاء الآخرین ویعتقدون بأن کل الأولیاء قد أخذوا عن بعضهم بالتسلسل ما عدا الشیخ أحمد التیجانی فقد أخذ علمه مباشرهٔ عن رسول الله صلی الله علیه وآله رغم تأخره عن زمن النبوهٔ بثلاثهٔ عشر قرنا ویروون بأن الشیخ أحمد التیجانی کان یحدث بأن رسول الله صلی الله علیه وآله جاءه یقظهٔ لا مناما، کما یقولون بأن الصلاهٔ الکاملهٔ التی ألفها شیخهم أفضل من أربعین ختمهٔ من القرآن الکریم. وحتی لا نخرج عن الاختصار نقف عند هذا الحد من التعریف بالتیجانیهٔ ولنا عودهٔ إلیهم إن شاء الله فی موضع آخر من هذا الکتاب. ونشأت وترعرعت علی هذا الاعتقاد کغیری من شبان البلد فکلنا مسلمون بحمد الله من أهل السنهٔ والجماعهٔ وکلنا علی مذهب الإمام مالک بن أنس إمام دار الهجرهٔ غیر أننا منقسمون فی الطرق الصوفیهٔ التی کثرت فی شمال إفریقیا ففی مدینهٔ قفصهٔ وحدها هناک التیجانیهٔ، والقادریهٔ، والرحمانیهٔ، والسلامیهٔ، والعیساویهٔ ولکل من هذه الطرق أنصار وأتباع یحفظون قصائدها وأذکارها وأورادها التی تقام فی الحفلات والسهرات بمناسبهٔ عقد القران أو الختان أو النجاح أو النذور ورغم بعض السلبیات فقد لعبت هذه الطرق دورا کبیرا فی الحفاظ علی الشعائر الدینیهٔ واحترام الأولیاء والصالحین. [صفحه ۱۳]

الحج إلی بیت الله الحرام

کان عمری ثمانیهٔ عشر عاما عندما وافقت الجمعیهٔ القومیهٔ للکشافهٔ التونسیهٔ علی انتدابی للمشارکهٔ فی المؤتمر الأول للکشافهٔ العربیهٔ والإسلامیهٔ الذی أقیم فی مکهٔ المکرمهٔ ضمن مجموعهٔ تتکون من ستهٔ أشخاص من کامل الجمهوریهٔ التونسیهٔ، ووجدت نفسی أصغر أعضاء البعثهٔ سنا وأقلهم ثقافهٔ إذ کان اثنان منهما من مدراء المدارس والثالث أستاذا بالعاصمهٔ والرابع یعمل فی الصحافهٔ والخامس لم أعرف وظیفته غیر أنی علمت أنه أحد أقرباء وزیر التربیهٔ القومیهٔ فی ذلک العهد. کانت رحلتنا بطریق غیر مباشر، فقد نزلنا فی أثینا عاصمهٔ الیونان حیث أمضینا فیها ثلاثهٔ أیام، ومنها إلی عمان عاصمهٔ الأردن التی مکثنا فیها أربعهٔ أیام وصلنا بعدها إلی السعودیهٔ حیث شارکنا فی المؤتمر وأدینا مناسک الحج والعمرهٔ. کان شعوری وأنا أدخل بیت الله الحرام لأول مرهٔ لا یتصور وکان قلبی کأنه یحطم الأضلاع - التی تحوطه - بدقاته العنیفهٔ یرید الخروج لیری بعینه هذا البیت العتیق الذی طالما کان یحلم به، وفاضت الدموع حتی ظننت أنها لن تتوقف، وخیل إلی أن الملائکهٔ - تحملنی فوق الحجیج لأصل إلی سطح الکعبهٔ المشرفهٔ وألبی نداء الله من هناک" لبیک اللهم لبیک هذا عبدک جاء إلیک " وقد استنتجت وأنا أسمع تلبیهٔ الحجیج أن هؤلاء قضوا أعمارهم وهم یتجهزون ویعدون العدهٔ ویجمعون الأموال للمجئ أما أنا فکان مجیئی مفاجئا علی غیر استعداد منی، وأذکر أن والدی عندما رأی تذاکر الطائرهٔ وتیقن من سفری إلی [صفحه ۱۴] الحج بکی وهو یقبلنی مودعا قائلا ": هنیئا لک یا بنی لقد أراد الله لک أن تحج قبلی وأنت فی هذه السن، فأنت ولد سیدی أحمد التیجانی أدع الله لی فی بیته أن یتوب علی ویرزقنی حج بیته الحرام. " لذلک ظننت أن الله هو الذی نادانی وأحاطنی بعنایته وأوصلنی إلی ذلک المقام الذی تموت الأنفس دون الوصول إلیه حسرهٔ ورجاء، فمن أحق بالتلبیهٔ منی فکنت أبالغ فی الطواف والصلاهٔ والسعی وحتی فی شرب ماء زمزم، والصعود إلی الجبال حیث تتسابق الوفود للوصول إلی غار حراء فوق جبل النور فلم یسبقنی إلیه غیر شاب سودانی فکنت " ثانی اثنین " وتمرغت فیه وکأنی أتمرغ فی حجر الرسول الأکرم وأشم أنفاسه، یا لها من صور وذکریات ترکت فی نفسی أثرا عمیقا لن یمحی أبدا!!. عنایهٔ ربانیهٔ أخری جعلت کل من یرانی من الوفود یجبنی ویطلب عنوانی للمراسلهٔ، وقد أحبنی رفاقی الذین احتقرونی فی أول لقاء جمعنا فی تونس العاصمهٔ لترتیب السفر وأحسست ذلک

منهم وصبرت لعلمى مسبقا بأن أهل الشمال يحتقرون أهل الجنوب ويعتبرونهم متخلفين، وسرعان ما تغيرت نظرتهم خلال السفر والمؤتمر والحج، وقد بيضت وجوههم أمام الوفود بما كنت أحفظه من أشعار وقصائد وبما أحرزته من جوائز في المسابقات التي أقيمت بالمناسبة، وقد عدت إلى بلادى ومعى أكثر من عشرين عنوانا لأصدقاء من مختلف الجنسيات. كانت إقامتنا فى السعودية خمسة وعشرين يوما كنا نلتقى فيها بعلماء ونستمع إليهم فى محاضراتهم، وقد تأثرت ببعض المعتقدات الوهابية التى أعجبت بها وتمنيت أن يكون المسلمون عليها، وظننت فى تلك الفترة أن الله اصطفاهم من بين العباد لحراسة بيته الحرام فهم أطهر وأعلم خلق الله على وجه الأرض وقد أغناهم الله بالبترول ليتمكنوا من خدمة الحجيج ضيوف الرحمن والسهر على سلامتهم. وعند رجوعى من الحج إلى بلادى كنت مرتديا اللباس السعودى بالعقال وفوجئت بالاستقبال الذى أعده لى والدى، فكانت جموع من الناس محتشدة فى [صفحه ۱۵] المحطة يتقدمهم شيخ الطريقة العيساوية وشيخ التيجانية وشيخ القادرية بالطبول والبنادير [۴] . وطافوا بى شوارع المدينة مهللين ومكبرين وكلما مررنا بمسجد أوقفونى على عتبته بعض الوقت، والناس من حولى يتسابقون لتقبيلى وخصوصا الشيوخ المسنين كانوا يلثموننى وهم يبكون شوقا لرؤية بيت الله والوقوف على قبر رسوله وهم لم يعتادوا رؤية حاج فى مثل عمرى كما لم يروا هذا فى قفصة قبلى. وعشت أسعد أيام حياتى فى ذلك الوقت وقد جاء إلى بيتنا أشراف المدينة وكبراؤها يسلمون مهنئين وداعين، وكثيرا ما كان يطلب منى قراءة الفاتحة مع الدعاء بحضرة والدى فكنت أخجل حينا وأتشجع أحيانا، وكانت والدتى فى كل مرة تدخل بعد خروج الزائرين لإطلاق البخور والتعاويذ لحمايتى من شر الحاسدين، ودفع كيد الشياطين. وأقام والدى ثلاث ليال متواليات للحضرة التيجانية يذبح فى كل يوم كبشا للوليمة، وكان الناس يسألوننى عن كل كبيرة وصغيرة، وكانت أجوبتى كلها تنطوى على الكثير من الإعجاب والإطراء للسعوديين وما يقومون به لنشر الإسلام ونصرة المسلمين. ولقبنى سكان المدينة " بالحاج " فإذا أطلق هذا الاسم لا ينصرف إلا ـ إلى، وأصبحت بعد ذلك معروفا أكثر، وخصوصا فى الأوساط الدينية كجماعة الإخوان المسلمين، فكنت أطوف فى المساجد وأنهى الناس عن تقبيل الأضرحة والتمسح بالأخشاب، وأحاول جهدى إقناعهم بأن ذلك شرك بالله، وازداد نشاطى توسعا فكنت ألقى الدروس الدينية فى المساجد يوم الجمعة قبل خطبة الإمام وأتنقل من جامع أبى يعقوب إلى الجامع الكبير، لأن صلاة الجمعة تقام فيهما فى أوقات مختلفة بينما تصلى الأولى وقت الظهر تقام الثانية وقت العصر وكثيرا ما كان يحضر تلك الحلقات التى أقيمها يوم الأحد أغلب تلاميذ المعهد الثانوى الذى أدرس فيه مادة التكنولوجيا والمبادئ التقنية، وكانوا يعجبون لهذا ويزدادون حبا وتقديرا لأنى [صفحه ۱۶] أعطيتهم من وقتى الكثير لأزيح عن أفكارهم تلك الغيوم التى لبدها بعض أساتذة الفلسفة الملحدين والماديين والشيوعيين وما أكثرهم!، فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر موعد تلك الحلقات الدينية ومنهم من يأتى إلى البيت، فقد اشتريت بعض الكتب الدينية والتهمتها بالمطالعة حتى أكون فى مستوى الإجابة عن الأسئلة المختلفة وفى تلك السنة التى حججت فيها ملكت أيضا نصف دينى، فقد رغبت والدتى رحمها الله فى تزويجى قبل موتها، وهى التى ربت كل أولاد زوجها وحضرت زواجهم فكانت أمنيتها أن ترانى عريسا، وقد أعطاها الله ما تتمنى وأطعت أمرها فى الزواج من فتاة لم أرها من قبل، وحضرت ميلاد ابنى الأول والثانى، وفارقت الحياة وهى عنى راضية كما سبقها والدى رحمه الله قبل عامين وقد حج بيت الله الحرام وتاب توبة نصوحا قبل وفاته بعامين. ونجحت الثورة الليبية فى تلك الظروف التى يعانى فيها المسلمون والعرب من هزيمة النكبة فى حربهم ضد إسرائيل وطلع علينا ذلك الشاب قائد الثورة وهو يتكلم باسم الإسلام ويصلى بالناس فى المسجد وينادى بتحرير القدس، وقد استهوانى كما استهوى أغلب الشباب المسلم فى البلاد العربية والإسلامية، ودفعنا حب الاطلاع إلى تنظيم رحلة ثقافية إلى ليبيا وجمعنا أربعين رجلا من رجال التعليم حيث قمنا بزيارة إلى القطر الشقيق فى بداية الثورة، ورجعنا من هناك معجبين بما رأينا مستبشرين بالمستقبل الذى رجونا أن يكون فى صالح الأمة العربية والإسلامية فى كل المعمورة. طوال السنوات المنصرمة كانت الرسائل مع بعض الأصدقاء متواصلة والأشواق متزايدة، وقد توطدت علاقتى مع نخبة منهم ألحوا على أن أزورهم، فأعددت العدة ورتبت الأمور للقيام برحلة طويلة تستغرق عطلة الصيف التى تدوم ثلاثة أشهر، وكان التخطيط يمر بليبيا عن طريق البر ثم إلى مصر ومنها إلى لبنان عبر البحر ثم إلى

سوريا والأردن فالسعودية، وهى المقصودة لأداء العمرة وتجديد العهد مع الوهابية التى روجت لها كثيرا فى أوساط الشباب الطلابى وفى المساجد التى يكثر فيها الإخوان المسلمون. وتعدت شهرتى حدود مدينتى إلى مدن أخرى مجاورة، فقد يمر المسافر فيصلى الجمعة ويحضر تلك الدروس ويتحدث بها فى مجتمعه، ووصل الحديث إلى [صفحه ۱۷] الشيخ إسماعيل الهادفى صاحب الطريقة الصوفية المعروفة بمدينة توزر عاصمة الجريد، ومسقط رأس أبى القاسم الشابى الشاعر المعروف. وهذا الشيخ له أتباع ومريدون فى كامل الجمهورية التونسية وخارجها فى الأوساط العمالية بفرنسا وألمانيا. وجاءتنى منه دعوة لزيارته، عن طريق وكلائه فى قفصة الذين كتبوا إلى رسالة طويلة يشكروننى فيها على ما أقوم به لخدمة الإسلام والمسلمين ويدعون أن ذلك لا يقربنى من الله قيد أنملة ما لم يكن عن طريق شيخ عارف، وعلى الحديث المشهور عندهم " من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان " ويقولون أيضا ": لا بد لك من شيخ يريك شخوصها وإلا فنصف العلم عندك ناقص " وبشرونى بأن " صاحب الزمان " ويقصدون به الشيخ إسماعيل قد اصطفانى من بين الناس لأكون من خاصة الخاصة. وطار قلبى فرحا لهذا الخبر وبكيت تأثرا لهذه العناية الربانية التى ما زالت ترفعنى من مقام سام إلى ما هو أسمى ومن حسن إلى ما هو أحسن، لأننى اتبعت فى ما مضى من حياتى سيدى الهادى الحفيان وهو شيخ متصوف يحكى عنه عدة - كرامات وخوارق وصرت من أعز أحبائه، كما صاحبت سيدى صالح بالسائح وسيدى الجيلانى وغيرهم من أهل الطرق المعاصرين وانتظرت ذلك اللقاء بفارغ الصبر، ولما دخلت بيت الشيخ كنت أتفرس الوجوه بلهفة وكان المجلس مليئا بالمريدين وفيهم مشايخ يرتدون لباسا ناصع البياض، وبعد مراسم التحية خرج علينا الشيخ إسماعيل وقام الجميع يقبلون يده باحترام فائق، وغمزنى الوكيل بأن الشيخ هو ذا، فلم أبد حماسا لأننى كنت منتظرا غير الذى رأيت وقد كنت رسمت له صورة خيالية حسب الكرامات والمعجزات التى رسخها فى ذهنى وكيل الشيخ وأتباعه، ورأيت شيخا عاديا ليس فيه وقار ولا هيبة، وخلال المجلس - قدمنى الوكيل إليه فرحب بى وأجلسنى على يمينه وقدم إلى الطعام، وبعد الأكل والشرب بدأت الحضرة، وقدمنى الوكيل من جديد لأخذ العهد والورد من الشيخ، وهنانى الجميع بعد ذلك معانقين ومباركين، وفهمت من خلال حديثهم بأنهم يسمعون عنى الكثير، وقد دفعنى هذا الاعجاب إلى أن أعترض على بعض [صفحه ۱۸] أجوبة الشيخ التى كان يلقيها على السائلين، وأعلل رأيى بالقرآن والسنة، واستاء بعض الحاضرين من هذا التطفل واعتبروه سوء أدب فى حضرة الشيخ، وقد اعتادوا أن لا يتكلموا بحضرته إلا بإذنه، وأحس الشيخ بحرج الجالسين فأزاح تلك السحابة بلباقة وأعلن قائلا ": من كانت بدايته محرقة تكون نهايته مشرقة " واعتبر الحاضرون هذا وساما من حضرته وسوف يكون أكبر ضمان لنهايتى المشرقة وهنأونى بذلك، ولكن شيخ الطريقة ذكى ومدرب لم يترك لى المجال مفتوحا لمواصلة هذا التطفل المزعج وروى لنا قصة أحد العارفين بالله عندما جلس فى حلقته بعض العلماء، فقال له: قم فاغتسل، وذهب العالم واغتسل وجاء ليجلس فى الحلقة فقال له ثانية: قم فاغتسل، وذهب العالم وعاود الغسل كأحسن ما يكون ظنا منه بأن الغسل الأول لم يكن على الوجه الصحيح، وجاء ليجلس فانتهره الشيخ العارف وأمره بالاغتسال من جديد فبكى العالم وقال له: يا سيدى لقد اغتسلت من علمى ومن عملى ولم يبق عندى إلا ما يفتح الله به على يديك. عند ذلك قال له العارف، الآن اجلس. وعرفت بأنى أنا المقصود من هذه القصة كما عرف ذلك الحاضرون الذين لامونى بعد خروج الشيخ للاستراحة وأقنعونى بالسكوت ولزوم الاحترام بحضرة الشيخ صاحب الزمان لئلا تحبط أعمالى مستدلين بالآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) [۵] صدق الله العظيم. وعرفت قدرى وامتثلت للأوامر والنصائح، وقربنى الشيخ منه أكثر، وأقمت عنده ثلاثة أيام كنت أسأل خلالها أسئلة عديدة بعضها للاختبار وكان الشيخ يعرف ذلك منى فيجيبنى قائلا بأن للقرآن ظاهرا وباطنا إلى سبعة أبطن كما فتح لى خزانته وأطلعنى على كراسه الخاص والذى فيه سلسلة الصالحين والعارفين [صفحه ۱۹] مسندة ومتصلة منه إلى أبى الحسن الشاذلى مرورا بعدة أولياء مذكورين إلى أن يصل السند إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه. ولا يفوتنى أن أذكر هنا بأن الحلقات التى يقيمونها كانت روحية إذ يفتتحها الشيخ بقراءة ما تيسر من كتاب الله المجيد تلاوة وتجويدا ثم بعد فراغه يبدأ بمطلع القصيدة ويتبعه المريدون الذين يحفظون

المدائح والأذكار وأكثرها ذم للدنيا وترغيب فى الآخرة وفيها زهد وورع بعد ذلك يعيد المريد الأول الجالس على يمين الشيخ قراءة ما تيسر من القرآن وعندما يقول صدق الله العظيم يبدأ الشيخ مطلعا من قصيدة جديدة ويشارك الجميع فى إنشادها وهكذا يتناوب الحاضرون ولو بآية واحدة يشاركون بها إلى أن يأخذ الحال الحاضرين فيتمايلون يمينا وشمالا على رنات تلك المدائح إلى أن ينهض الشيخ وينهض معه المريدون فتكون حلقة هو قطبها ويبدؤون بذكر اسم الصدر قائلين آه. آه. آه. والشيخ يدور وسطهم متوجها فى كل مرة إلى واحد منهم حتى يحمى الوطيس وتصبح الحركات والشطحات شبيهة بدق الطبول ويقفز البعض فى حركات جنونية وترتفع الأصوات فى نغمة منسقة ولكنها مزعجة إلى أن يعود الهدوء بعد عناء وتعب، بقصيدة ختامية للشيخ فيجلس الجميع بعد ما يكونوا قد قبلوا رأس الشيخ وأكتافه بالتداول، وقد شاركتهم بعض هذه الشطحات محاكيا لهم فى غير قناعة منى ووجدت نفسى متناقضا مع العقيدة التى تبنيتها وهى عدم الاشتراك أى عدم التوسل بغير الله فسقطت على الأرض جاهشا بالبكاء متحيرا مشتتا بين تيارين متناقضين، تيار الصوفية وهى أجواء روحية يعيشها الإنسان فتملأ أعماقه بشعور الرهبة والزهد والتقرب إلى الله عن طريق أوليائه الصالحين وعباده العارفين، وتيار الوهابية الذى علمنى أن ذلك كله شرك بالله، والشرك لا يغفره الله. وإذا كان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا ينفع ولا يتوسل به إليه سبحانه فيما قيمة هؤلاء الأولياء والصالحين بعده؟!. وبالرغم من المنصب الجديد الذى نصبنى فيه الشيخ، إذ أصبحت وكيله فى قفصة لم أكن مقتنعا كليا فى داخلى وإن كنت أميل أحيانا إلى الطرق الصوفية، وأشعر دائما أنى أكن لها احتراما ومهابة من أجل أولياء الله والصالحين من عباده [صفحه ۲۰] ولكنى أكابر وأجادل محتجا بقوله تعالى: (ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو) [۶] وإذا قال لى قائل أن الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) [۷] أرد عليه بسرعة كما علمنى علماء السعودية " الوسيلة هى العمل الصالح، " والمهم أننى عشت تلك الفترة مضطربا مشوش الفكر،وقد يتوافد على فى بيتى بعض المريدين فنحيى سهرات منتظمة ونقيم العمارة [۸] . وبدأ الجيران يتذمرون من الأصوات المزعجة التى تبعث من حناجرنا بذكر (آه)، ولكنهم لا يجاهرون لى بذلك غير أنهم يشتكون لزوجتى عن طريق نسائهم، ولما علمت بذلك طلبت من المجموعة أن يقيموا الحلقات فى أحد منازلهم، واعتذرت بأننى سوف أسافر إلى الخارج لمدة ثلاثة أشهر... وودعت الأهل والأقارب وقصدت ربى متوكلا عليه. لا أشرك به شيئا. [صفحه ۲۳]

الرحلة الموفقة

فى مصر

لم تطل إقامتى فى طرابلس عاصمة ليبيا إلا بقدر ما حصلت على تأشيرة من السفارة المصرية للدخول إلى أرض الكنانة. وقد التقيت بعض أصدقائى هناك فأعانونى شكر الله سعيهم، وفى طريقى إلى القاهرة وهو طريق طويل يدوم ثلاثة أيام بلياليها كنت فى سيارة أجرة جمعتنى بأربعة مصريين عاملين فى ليبيا وعائدين إلى وطنهم، وخلال السفر كنت أحدثهم وأقرأ لهم القرآن فأحبونى ودعانى كل منهم للنزول عنده، وتخيرت من بينهم من ارتاحت نفسى إليه لورعه وتقواه اسمه أحمد وأولانى من الضيافة والقبول ما هو أهل له جزاه الله، وأمضيت عشرين يوما بالقاهرة زرت خلالها الموسيقار فريد الأطرش فى عمارته على النيل فقد كنت معجبا به لما قرأته عن أخلاقه وتواضعه فى مجلات مصرية تباع عندنا فى تونس، ولم يكن حظى منه سوى عشرين دقيقة لأنه كان خارجا للمطار ليسافر إلى لبنان، وزرت الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد المجود الشهير وكنت معجبا به أشد الاعجاب، بقيت معه ثلاثة أيام كان النقاش خلالها مع أقاربه وأصدقائه فى مواضيع متعددة وكانوا يعجبون لحماسى وصراحتى وكثرة اطلاعى، فإذا تحدثوا عن الفن غنيت وإذا تحدثوا عن الزهد والتصوف ذكرت لهم أنى من الطريقة التيجانية والمدنية أيضا، وإذا تحدثوا عن الغرب حكيت لهم عن باريس ولندن وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وإسبانيا التى زرتها خلال العطل الصيفية وإذا تحدثوا عن الحج فاجأتهم بأنى حججت وإنى ذاهب

إلى [صفحه ٢۴] العمرة وحكيت لهم عن أماكن لا يعرفها حتى الذى حج سبع مرات كغار حراء وغار ثور ومذبح إسماعيل، وإذا تحدثوا عن العلوم والاختراعات شفيت غليلهم بالأرقام والمصطلحات وإذا تحدثوا عن السياسة أفحمتهم بما عندى من آراء قائلا": رحم الله الناصر صلاح الدين الأيوبى الذى حرم على نفسه التبسم فضلا عن الضحك، وعندما لامه الناس المقربون إليه وقالوا له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يرى إلا باسم الثغر، أجابهم: كيف تريدون منى أن أتبسم والمسجد الأقصى يحتله أعداء الله، لا والله لن أتبسم حتى أحرره أو أهلك دون ذلك. " وكان شيوخ من الأزهر يحضرون تلك الجلسات ويعجبون لما أحفظ من أحاديث وآيات وما أملكه من حجج دامغة فكانوا يسألوننى عن الجامعة التى تخرجت فيها، فأفخر بأنى من خريجى جامعة الزيتونة وهى تأسست قبل الأزهر الشريف، وأضيف بأن الفاطميين الذى أسسوا الأزهر انطلقوا من مدينة المهدية بتونس. كذلك تعرفت فى جامعة الأزهر الشريف على العديد من العلماء الأفاضل الذين أهدونى بعض الكتب، وكنت يوما ما فى مكتب أحد المسؤولين عن شؤون الأزهر، إذ أقبل أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية ودعاه الحضور تجمع المسلمين والأقباط فى أكبر الشركات المصرية للسكك الحديدية بالقاهرة، على أثر أعمال تخريبية وقعت بعد حرب حزيران فأبى أن يذهب إلا وأنا معه، وجلست فى منصة الشرف بين العالم الأزهرى والأب شنودة، وطلبوا منى إلقاء كلمة فى الحاضرين ففعلت بكل سهولة لما تعودته من إلقاء المحاضرات فى المساجد واللجان الثقافية فى بلادى. والمهم من كل ما حكيته فى هذا الفصل، هو أن شعورى بدأ يكبر وركبنى يبعض الغرور وظننت فعلا ـ بأننى أصحبت عالما، كيف لا وقد شهد لى بذلك علماء الأزهر الشريف ومنهم من قال لى: يجب أن يكون مكانك هنا فى الأزهر، ومما زادنى فخرا واعتزازا بالنفس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله أذن لى فى الدخول لرؤية [صفحه ٢۵] مخلفاته، حسب ما ادعاه المسؤول عن مسجد سيدنا الحسين بالقاهرة وقد أدخلنى منفردا إلى حجرة لا تفتح إلا إذا فتحها هو، وأغلق الباب خلفى وفتح الخزانة وأخرج لى قميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقبلته وأرانى بعض المخلفات الأخرى، وخرجت من عنده باكيا متأثرا على عناية الرسول بى شخصيا وخصوصا أن هذا المسؤول لم يطلب منى نقودا، بل امتنع وأخذ منى شيئا بسيطا بعد إلحاحى وهنأنى مبشرا بأننى من المقبولين عند حضرة الرسول الأكرم. وربما أثر هذا الحادث فى نفسى وجعلنى أفكر مليا عدة ليال فى ما يقوله الوهابيون من أن الرسول مات وانتهى أمره كغيره من الأموات، فلم أرتح لهذه الفكرة بل وتيقنت تفاهة هذا الاعتقاد، فإذا كان الشهيد الذى يقتل فى سبيل الله ليس بميت بل هو حى يرزق عند ربه فكيف بسيد الأولين والآخرين، وزاد هذا الشعور قوة ووضوحا ما تلقيته فى سابق حياتى من تعاليم الصوفية الذين يعطون لأوليائهم وشيوخهم صلاحية التصرف والتأثير فى مجريات الأمور ويعترفون بأن الله وحده هو الذى أعطاهم هذه الصلاحية لأنهم أطاعوه سبحانه ورغبوا فى ما عنده، ألم يقل فى حديث قدسى " عبدى أطعنى تكن مثلى تقل للشئ كن فيكون. " بدأ الصراع الداخلى يتجاذبنى، وأنهيت إقامتى فى مصر بعد إن قمت خلال الأيام الأخيرة بزيارة المساجد المتعددة، وصليت فى جميعها من مالك إلى أبى حنيفة إلى مسجد الشافعى وأحمد بن حنبل، ثم إلى السيدة زينب وسيدنا الحسين، كما زرت زاوية التيجانية ولى فى ذلك حكايات طويلة يطول شرحها، وقد رمت الاختصار. [صفحه ٢٧]

لقاء فى الباخرة

وسافرت إلى الإسكندرية فى اليوم المقرر حسب حجز المكان فى الباخرة المصرية التى تسافر إلى بيروت ووجدت نفسى مرهقا متعبا جسديا وفكريا، وأنا ملقى على السرير المخصص لى، فنمت قليلا وكانت الباخرة قد أبحرت منذ ساعتين أو ثلاثة، واستيقظت على صوت مجاورى وهو يقول ": يبدو أن الأخ متعب. " قلت نعم أتعبنى السفر من القاهرة إلى الإسكندرية وقد بكرت للوصول على الموعد فلم أنم البارحة إلا قليلا. وفهمت من لهجته أنه غير مصرى، ودفعنى فضولى كعادتى إلى أن أتعرف عليه فعرفته نفسى وعرفت أنه عراقى وهو أستاذ فى جامعة بغداد اسمه منعم، وقد جاء إلى القاهرة لتقديم أطروحة الدكتوراه فى الأزهر. وبدأنا الحديث عن مصر وعن العالم العربى والإسلامى وعن هزيمة العرب وانتصار اليهود والحديث ذو شجون، قلت فى معرض كلامى أن سبب الهزيمة هو

انقسام العرب والمسلمين إلى دويلات وإلى طوائف ومذاهب متعددة، ورغم كثرة عددهم فلا وزن لهم ولا اعتبار في نظر أعدائهم. وتكلمنا كثيرا عن مصر والمصريين وكنا متفقين على أسباب الهزيمة، وأضفت بأنني ضد هذه الانقسامات التي ركزها الاستعمار فينا ليسهل عليه احتلالنا وإذلالنا، ونحن ما زلنا نفرق بين المالكية والأحناف ورويت له قصة [صفحه ۲۸] مؤسفة وقعت لي عندما دخلت إلى مسجد أبي حنيفة في القاهرة وصليت معهم صلاة العصر جماعة فما راعني بعد الصلاة إلا والرجل الذي كان قائما بجانبي يقول لي في غضب " لماذا لا تكتف يديك في الصلاة " فأجبته بأدب واحترام أن المالكية يقولون بالسدل وأنا مالكي فقال لي ": إذهب إلى مسجد مالك وصل هناك " فخرجت مستاءا ناقما على هذا التصرف الذي زادني حيرة على حيرتي. وإذا بالأستاذ العراقي يبتسم ويقول لي إنه هو الآخر شيعي. فاضطربت لهذا النبأ وقلت غير مبال لو كنت أعلم أنك شيعي لما تكلمت معك، قال: ولماذا؟ قلت لأنكم غير مسلمين فأنتم تعبدون علي بن أبي طالب والمعتدلون منكم يعبدون الله ولكنهم لا يؤمنون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ويشتمون جبرائيل ويقولون بأنه خان الأمانة فبدلا من أداء الرسالة إلى علي أداها إلى محمد، واسترسلت في مثل هذه الأحاديث بينما كان مرافقي يبتسم حينا ويحوقل [۹] أحيانا، ولما أنهيت كلامي سألني من جديد: أنت أستاذ تدرس الطلاب؟ قلت نعم، قال: إذا كان تفكير الأساتذة بهذا الشكل فلا لوم على عامة الناس الذين لا ثقافة لهم! قلت: ماذا تقصد؟ أجاب: عفوا ولكن من أين لك هذه الادعاءات الكاذبة؟ قلت من كتب التاريخ ومما هو مشهور عند الناس كافة. قال: لنترك الناس كافة ولكن أي كتاب تاريخ قرأت؟ بدأت أعدد بعض الكتب مثل كتاب فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام لأحمد أمين وغيرها، قال: ومتى كان أحمد أمين حجة على الشيعة؟ وأضاف: إن مقتضى العدل والموضوعية أن تتبين الأمر من مصادرهم الأصلية المعروفة. قلت: وكيف لي أن أتبين في أمر معروف لدى الخاص والعام، قال: إن أحمد أمين نفسه زار العراق وكنت من بين الأساتذة الذين التقوا به في النجف وعندما عاتبناه على كتاباته عن الشيعة اعتذر قائلا: إني لا أعلم عنكم أي شئ وأني لم أتصل بالشيعة من قبل وهذه أول مرة ألتقي فيها بالشيعة. [صفحه ۲۹] قلنا له رب عذر أقبح من ذنب فكيف لا تعرف عنا أي شئ ومع ذلك تكتب عنا كل شئ قبيح؟! ثم أضاف قائلا: يا أخي نحن إذا حكمنا بخطأ اليهود والنصارى من خلال القرآن الكريم وهو عندنا الحجة البالغة فموقفنا ضعيف لأنهم لا يعترفون به، وتكون الحجة أقوى وأبلغ عندما نبين خطاهم من خلال كتبهم التي يعتقدونها، وذلك من باب " وشهد شاهد من أهلها ." نزل كلامه هذا على قلبي نزول الماء الزلال على قلب العطشان ورأيتني أتحول من ناقد حاقد إلى باحث فاقد، لأنني أحسست بمنطق سليم وحجة قوية، وما علي لو تواضعت قليلا وأصغيت إليه! قلت له: أنت إذا ممن يعتقدون برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله؟ أجاب: وكل الشيعة مثلي يعتقدون ذلك وما عليك يا أخي إلا أن تتحقق من ذلك بنفسك حتى تكون على بينة من الأمر، ولا تظن بإخوانك الشيعة الظنونا " لأن بعض الظن إثم " وأضاف قائلا: وإذا كنت فعلا تريد معرفة الحقيقة وتطلع عليها بعينيك ويستيقن بها قلبك، فأنا أدعوك لزيارة العراق والاتصال بعلماء الشيعة وعوامهم وستعرف عند ذلك أكاذيب المغرضين والحاقدين. قلت: إنها أمنيتي أن أزور العراق في يوم من الأيام وأتعرف على آثارها الإسلامية المشهورة التي خلفها العباسيون وعلى رأسهم هارون الرشيد، ولكن، أولا: إمكانياتي المادية محدودة وقد رتبتها لأداء العمرة، ثانيا: إن جواز السفر الذي أحمله لا يسمح لي بالدخول إلى العراق، قال: أولا عندما قلت لك أدعوك لزيارة العراق فذلك يعني أني أتكفل بتغطية نفقات سفرك من بيروت إلى بغداد ذهابا وإيابا وإقامتك بالعراق ستكون معي في بيتي فأنت ضيفي، وثانيا بشأن الجواز الذي لا يسمح لك الدخول إلى العراق فلنترك ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فإذا قدر لك أن تزور فسوف يكون ذلك حتى بدون جواز سفر، وسوف نحاول الحصول على تأشيرة للدخول فور وصولنا إلى بيروت. فرحت كثيرا بهذا العرض ووعدت صاحبي بأن أرد عليه الجواب غدا إن شاء الله تعالى. [صفحه ۳۰] خرجت من غرفة النوم وصعدت إلى سطح الباخرة أتنفس الهواء الجديد، وأنا أفكر تفكيرا جديدا وعقلي شارد في البحر الذي ملأ الآفاق، وأسبح بحمد ربي الذي خلق الأكوان وأحمده، وأشكره على أن أوصلني إلى هذا المكان وأسأله سبحانه وتعالى أن يحميني من الشر وأهله ويحفظني من الزلل والخطأ، وسرح تفكيري وأنا أستعرض شريطا أمام عيني للأحداث التي عشتها والسعادة التي تذوقتها من طفولتي

إلى ذلك اليوم وأحلم بمستقبل أفضل، وأشعر كأن الله ورسوله يحيطانني بعناية خاصة، فالتفت صوب مصر التى ما زالت بعض شواطئها تتراءى من حين لآخر مودعا تلك الأرض التى فيها قبلت قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وهى أعز ما بقى عندى من تلك الذكريات التى عشتها فى مصر، وعدت أستعرض كلام الشيعى الجديد الذى أدخل على فرحا كبيرا لتحقيق حلم كان يراودنى منذ صغرى ألا وهو زيارة العراق، تلك البلاد التى رسمها فى ذهنى بلاط الرشيد والمأمون مؤسس دار الحكمة التى كان يقصدها طلاب العلوم المختلفة من الغرب أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، أضف إلى ذلك فهى بلاد القطب الربانى والشيخ الصمدانى سيدى عبد القادر الجيلانى الذى ملأ صيته الأقطار كلها ودخلت طريقته كل قرية وعلت همته كل همة فها هى عناية جديدة من الله لتحقيق هذا الحلم، وبدأت أتخيل وأسبح فى بحر الخيال والآمال حتى نبهنى مذياع الباخرة وهو ينادى المسافرين إلى التوجه للمطعم لتناول العشاء، ذهبت صوب المكان المذكور فإذا الناس يتزاحمون كعادتهم فى كل تجمع وكل واحد يريد الدخول قبل غيره وكثر الصياح والهرج، وإذا بالشيعى يمسك بثوبى ليسحبنى بلطف إلى الخلف وهو يقول: تعالى يا أخى لا ـ تتعب نفسك فسوف نأكل فيما بعد بدون زحمة وقد فتشت عنك فى كل مكان، ثم سألنى: هل صليت؟ قلت: لم أصل بعد، فقال: إذا تعالى نصلى ثم نأتى للأكل وقد خلص هؤلاء من الزحام والصياح. استحسنت رأيه وصاحبته إلى مكان خال من الناس حيث توضأت وقدمته ليصلى إماما قصد اختباره كيف يصلى على أن أعيد صلاتى فيما بعد، وما إن أقام الصلاة لأداء فريضة المغرب واسترسل فى القراءة والدعاء حتى غيرت رأيى، وتخيلت بأنى مأموم بأحد الصحابة الكرام الذين أقرأ عنهم وعن ورعهم [صفحه ۳۱] وتقواهم، وبعد فراغه من الصلاة، أطال الدعاء ولم أسمع قبلا هذه الأدعية فى بلادنا ولا فى البلاد التى عرفتها، وكنت أطمئن وأرتاح كلما سمعته يصلى على محمد وآله ويثنى عليه بما هو أهله. بعد الصلاة لاحظت فى عينيه أثر البكاء كما سمعته يدعو الله أن يفتح بصيرتى ويهدينى. اتجهنا إلى المطعم وقد بدأ يخلو من الآكلين ودخلنا فلم يجلس حتى أجلسنى وجئ لنا بصحنين من الأكل فرأيته يغير صحنه بصحنى لأن نصيبى من اللحم كان أقل من نصيبه وأخذ يلح على وكأنى ضيفه ويلاطفنى ويروى لى روايات لم أسمعها من قبل تخص الأكل والشرب وآداب المائدة. وأعجبت بأخلاقه، وصلى بنا صلاة العشاء وأطالها بالدعاء حتى أبكانى وسألت الله سبحانه أن يغير ظنى فيه لأن بعض الظن إثم. ولكن من يدرى؟!. ونمت أحلم بالعراق وألف ليلة وليلة واستيقظت على ندائه يوقظنى لصلاة الفجر، وصلينا وجلسنا نتحدث عن نعم الله على المسلمين. ورجعنا للنوم ثانية ولما أفقت وجدته جالسا على سريره وفى يده مسبحة وهو يذكر الله فارتاحت له نفسى واطمأن له قلبى واستغفرت ربى. كنا نتغذى فى المطعم عندما سمعنا المذيع يعلن عن اقتراب الباخرة من الشواطئ اللبنانية وسوف نكون فى ميناء بيروت بحول الله بعد ساعتين سألنى هل فكرت مليا وماذا قررت. قلت إذا سهل الله سبحانه وتعالى الحصول على تأشيرة الدخول فلا أرى مانعا وشكرته على دعوته. نزلنا فى بيروت حيث أمضينا تلك الليلة ومن بيروت سافرنا إلى دمشق حيث اتجهنا فور وصولنا إليها إلى سفارة العراق، وحصلت على التأشيرة بسرعة مذهلة لم أتصورها، وخرجنا من هناك وهو يهنئنى ويحمد الله على إعانته. [صفحه ۳۳]

زيارة العراق لأول مرة

سافرنا من دمشق إلى بغداد فى إحدى سيارات شركة النجف العالمية الضخمة المكيفة وكانت الحرارة تبلغ أربعين درجة مئوية فى بغداد، عندما وصلنا اتجهنا فورا إلى بيته فى حى جميلة، دخلت البيت المكيف واسترحت ثم جاءنى بقميص فضفاض يسمونه (دشداشة). أحضر الفاكهة والأكل ودخل أهله يسلمون على فى أدب واحترام وكان والده يعانقنى وكأنه يعرفنى من قبل، أما والدته فوقفت بالباب فى عباءة سوداء تسلم وترحب، واعتذر صديقى عن والدته بأن المصافحة عندهم محرمة، وأعجبت أكثر وقلت فى نفسى: هؤلاء الذين نتهمهم نحن بالخروج عن الدين يحافظون عليه أكثر منا. وقد لمست خلال أيام السفر التى قضيتها معه نبل أخلاق وعزة نفس فى كرامة وشهامة وتواضع وورع لم أعهده من قبل. وشعرت بأنى لست غريبا بل وكأنى فى بيتى. صعدنا فى الليل إلى

سطح الدار حيث فرشت لنا أماكن للنوم، وبقيت حتى ساعة متأخرة أهذى أفى حلم أنا أم فى يقظة، أحقا أننى فى بغداد بجوار سيدى عبد القادر الجيلانى. ضحك صديقى متسائلا ماذا يقول التونسيون عن عبد القادر الجيلانى؟، [صفحه ۳۴] وبدأت أحكى له عن الكرامات التى تروى عندنا وعن المقامات التى تشيد فى ربوعنا باسمه وأنه قطب الدائرة وكما أن محمد رسول الله هو سيد الأنبياء فعبد القادر هو سيد الأولياء وقدمه على رقبة كل الأولياء وهو القائل ": كل الناس يطوف بالبيت سبعا وأنا البيت طائفا بخيامى). وحاولت إقناعه بأن الشيخ عبد القادر يأتى إلى بعض مريديه ومحبيه جهرة ويعالج أمراضهم ويفرج كربتهم ونسيت أو تناسيت العقيدة الوهابية التى تأثرت بها من أن ذلك كله شرك بالله ولما شعرت بعدم حماس صديقى حاولت أقناع نفسى بأن ما قلته لا يصح، وسألته عن رأيه. قال صديقى وهو يضحك: نم الليلة واسترح من التعب الذى لقيته فى السفر وغدا إن شاء الله سنزور الشيخ عبد القادر، وطرت فرحا لهذا الخبر ووددت لو طلع الفجر وقتئذ. فاستغرقت فى نوم عميق. [صفحه ۳۵]

عبدالقادر الجيلانى و موسى الكاظم

ذهبنا بعد الفطور إلى باب الشيخ ورأيت المقام الذى طالما تمنيت زيارته، وهرولت كأنى مشتاق لرؤيته ودخلت أتلهف كأنى سوف أرتمى فى أحضانه وصديقى يتبعنى أينما رحت، واختلطت بالزوار الذين يتراكمون على المقام تراكم الحجاج على بيت الله الحرام ومنهم من يلقى قبضات من الحلوى والزوار يتسابقون لالتقاطها وأسرعت لأخذ اثنتين منها أكلت إحداها على الفور للبركة وخبأت الأخرى فى جيبى للذكرى، صليت هناك ودعوت بما تيسر لى وشربت الماء وكأنى أشرب من ماء زمزم، ورجوت صديقى أن ينتظرنى ريثما أكتب إلى أصدقائى فى تونس بعض البطاقات البريدية التى اشتريتها من هناك وتمثل كلها صورة مقام الشيخ عبد القادر بالقبة الخضراء، وأردت بذلك أن أبرهن لأصدقائى وأقاربى فى تونس عن علو همتى التى أوصلتنى لذلك المقام الذى لم يصلوا إليه. بعد ذلك تناولنا طعام الغداء فى مطعم شعبى وسط العاصمة، ثم أخذنى صديقى فى سيارة أجرة إلى الكاظمية، عرفت هذا الاسم من خلال ما ذكره صديقى لسائق السيارة وصلنا إليها وما أن نزلنا من السيارة نتمشى حتى اختلطنا بمجموعات كبيرة من الناس يمشون فى نفس الاتجاه نساء ورجالا وأطفالا ويحملون بعض الأمتعة، ذكرنى ذلك بموسم الحج ولم أكن بعد أعرف وجهة المكان المقصود حتى تراءت لى قباب ومآذن ذهبية يأخذ إشعاعها بالأبصار، وفهمت أنه مسجد من مساجد الشيعة لسابق علمى بأنهم يزخرفون مساجدهم بالذهب [صفحه ۳۶] والفضة التى حرمها الإسلام، وشعرت بحرج فى الدخول إليها، غير أننى - مراعاة لعواطف صديقى - اتبعته من غير اختيار. دخلنا من الباب الأول وبدأت ألاحظ تمسح الشيوخ بالأبواب وتقبيلها، وسليت نفسى بقراءة لوحة كبيرة كتب عليها (ممنوع دخول النساء السافرات) مع حديث للإمام على يقول فيه: (يأتى على الناس زمان تخرج فيه النساء كاسيات عاريات.. إلى آخره)، وصلنا إلى المقام وبينما كان صديقى يقرأ إذن الدخول كنت أنظر إلى الباب وأعجب من هذا الذهب والنقوش التى تملأ صفحاته وكلها آيات قرآنية. دخل صديقى ودخلت خلفه وأنا على حذر تجول بخاطرى عدة أساطير قرأتها فى بعض الكتب التى تكفر الشيعة ورأيت داخل المقام نقوشا وزخرفة لم تخطر على بالى ودهشت لما رأيت وتصورت نفسى فى عالم غير مألوف ولا معروف، ومن حين إلى آخر أنظر باشمئزاز إلى هؤلاء الذين يطوفون حول الضريح باكين مقبلين أركانه وقضبانه بينما يصلى البعض الآخر قرب الضريح، واستحضرت فى خاطرى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وهو يقول: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أوليائهم مساجد). وابتعدت عن صديقى الذى ما أن دخل حتى أجهش بالبكاء ثم تركته يصلى واقتربت من اللوحة المكتوبة للزيارة وهى معلقة على الضريح. وقرأتها ولم أفهم الكثير منها بما حوته من أسماء غريبة عنى أجهلها، ابتعدت فى زاوية وقرأت الفاتحة ترحما على صاحب الضريح قائلا ": اللهم إن كان هذا الميت من المسلمين فارحمه فأنت أعلم به منى). واقترب منى صديقى وهمس فى أذنى قائلا: إن كانت لديك حاجة فاسأل الله فى هذا المكان لأننا نسميه باب الحوائج وما أعطيت أهمية لقوله سامحنى الله، بل كنت أنظر إلى الشيوخ الطاعنين فى السن وعلى رؤوسهم عمائم بيض وسود وفى جباههم آثار السجود، وزاد فى هيبتهم تلك اللحى التى

أعفوها وتنطلق منها روائح طيبة ولهم نظرات حادة مهيبة. [صفحه ۳۷] وما أن يدخل الواحد منهم حتى يجهش بالبكاء، وتساءلت فى داخلى أيمكن أن تكون هذه الدموع كاذبة؟؟ أيمكن أن يكون هؤلاء الطاعنون فى السن مخطئين؟ خرجت متحيرا مندهشا مما شاهدته بينما كان صديقى يرجع أدراجه احتراما لئلا يعطى المقام ظهره. سألته: من هو صاحب هذا المقام؟. قال: الإمام موسى الكاظم. قلت: ومن هو الإمام موسى الكاظم؟. قال: سبحان الله! أنتم إخواننا أهل السنة والجماعة تركتم اللب وتمسكتم بالقشور. قلت غاضبا منقبضا: كيف تمسكنا بالقشور وتركنا اللب؟. فهدأنى وقال: يا أخى أنت منذ دخلت العراق لا تفتأ تذكر عبد القادر الجيلانى فمن هو عبد القادر الجيلانى الذى استوجب كل اهتمامك!؟. أجبت على الفور وبكل فخر: هو من ذرية الرسول!، ولو كان نبى بعد محمد لكان عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه!. قال: يا أخ السماوى هل تعرف التاريخ الإسلامى؟. وأجبت فى غير تردد بنعم! وفى الحقيقة ما عرفت من التاريخ الإسلامى قليلا ولا كثيرا لأن أساتذتنا ومعلمينا كانوا يمنعوننا من ذلك مدعين بأنه تاريخ أسود مظلم لا فائدة من قراءته!، وأذكر على سبيل المثال أن الأستاذ المختص فى تدريسنا مادة البلاغة كان يدرسنا الخطبة الشقشقية من كتاب نهج البلاغة للإمام على، واحترت كما احتار عدد من التلاميذ عند قراءتها، وتجرأت وسألته إن كان هذا من كلام الإمام على حقا، فأجاب: (قطعا ومن لمثل هذه البلاغة سواه. ولو لم يكن كلامه كرم الله وجهه، لم يكن علماء المسلمين أمثال الشيخ [صفحه ۳۸] محمد عبده مفتى الديار المصرية ليهتم بشرحه). عند ذلك قلت: إن الإمام على يتهم أبا بكر وعمر بأنهما اغتصبا حقه فى الخلافة فثارت ثائرة الأستاذ وانتهرنى بشدة وهددنى بالطرد إن عدت لمثل هذا السؤال، وأضاف قائلا: نحن ندرس بلاغة ولا ندرس التاريخ وما يهمنا شيئا من أمر التاريخ الذى سودت صفحاته الفتن والحروب الدامية بين المسلمين وكما طهر الله سيوفنا من دمائهم فلنطهر ألسنتنا من شتمهم. ولم أقنع بهذا التعليل وبقيت ناقما على ذلك الأستاذ الذى يدرسنا بلاغة بدون معان، وحاولت مرارا عديدة دراسة التاريخ الإسلامى ولكن لم تتوفر عندى المصادر والإمكانات لتوفير الكتب، وما وجدت أحدا من شيوخنا وعلمائنا يهتم بها وكأنهم تصافقوا على طيها وعدم النظر فيها، فلا تجد أحدا يملك كتابا تاريخيا كاملا. فلما سألنى صديقى عن معرفة التاريخ أحببت معاندته فأجبته بنعم ولسان حالى يقول: أعرف أنه تاريخ مظلم مسود لا فائدة فيه، إلا الفتن والأحقاد والتناقضات. قال: هل تعرف متى ولد عبد القادر الجيلانى، فى أى عصر؟ قلت: حسب التقريب فى القرن السادس أو القرن السابع ; قال: فكم بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت ستة قرون ; قال: فإذا كان القرن فيه جيلان على أقل تقدير فيكون نسبة عبد القادر الجيلانى للرسول بعد اثنى عشر جدا ; قلت نعم! قال: فهذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن فاطمة الزهراء يصل نسبه إلى جده رسول الله بعد أربعة أجداد فقط. أو بالأحرى فهو من مواليد القرن الثانى للهجرة فأيهما أقرب إلى رسول الله موسى أم عبد القادر؟. وبدون تفكير قلت: هذا أقرب طبعا! ولكن لماذا نحن لا نعرفه ولا نسمع بذكره؟ قال: هذا هو بيت القصيد ولذلك قلت بأنكم - واسمح لى أن أعيدها - تركتم اللب وتمسكتم بالقشور فلا تؤاخذنى وأرجوك المعذرة. [صفحه ۳۹] كنا نتحدث ونمشى ونتوقف من حيث لآخر حتى وصلنا إلى منتدى علمى يجلس فيه الطلبة والأساتذة ويتبادلون الآراء والنظريات، هناك جلسنا وكان يبحث بعينيه فى الجالسين وكأنه على موعد مع أحدهم ; جاء أحد الوافدين وسلم علينا وفهمت أنه زميله فى الجامعة وسأله عن شخص علمت من الأجوبة أنه دكتور وسيأتى عما قريب، فى الأثناء قال لى صديقى: أنا جئت بك إلى هذا المكان قاصدا أن أعرفك بالدكتور المتخصص فى الأبحاث التاريخية وهو أستاذ التاريخ فى جامعة بغداد وقد حصل على الدكتوراه فى أطروحته التى كتبها عن عبد القادر الجيلانى وسوف ينفعك بحول الله، لأننى لست مختصا فى التاريخ. شربنا بعض العصير البارد حتى وصل الدكتور ونهض إليه صديقى مسلما عليه وقدمنى إليه وطلب منه أن يقدم إلى لمحة عن تاريخ عبد القادر الجيلانى، واستأذننا فى الانصراف لبعض شؤونه. طلب لى الدكتور مشروبا باردا وبدأ يسألنى عن اسمى وبلادى ومهنتى كما طلب منى أن أحدثه عن شهرة عبد القادر الجيلانى فى تونس. ورويت له الكثير فى هذا المجال حتى قلت والناس عندنا يعتقدون بأن الشيخ عبد القادر كان يحمل رسول الله على رقبته ليلة المعراج عندما تأخر جبريل خوفا من الاحتراق وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قدمى على رقبتك وقدمك على رقاب كل الأولياء إلى يوم القيامة. وضحك الدكتور كثيرا

عند سماعه كلامى وما دريت أكان ضحكه على هذه الروايات أم كان على الأستاذ التونسى الذى بين يديه! بعد مناقشة قصيرة حول الأولياء والصالحين قال أنه بحث طوال سبع سنين سافر خلالها إلى لاهور فى الباكستان وإلى تركيا وإلى مصر وبريطانيا وكل الأماكن التى بها مخطوطات تنسب إلى عبد القادر الجيلانى واطلع عليها وصورها، وليس فيها أى إثبات بأن عبد القادر الجيلانى هو من سلالة الرسول، وغاية ما هنالك بيت من الشعر ينسب إلى أحد أحفاده يقول فيه ": وجدى رسول الله " وقد يحمل ذلك كما قال بعض العلماء، على تأويل حديث النبى صلى الله عليه وآله: (أنا جد كل تقى) وزادنى بأن [صفحه ۴۰] التاريخ الصحيح يثبت أن عبد القادر أصله فارسى وليس عربيا أصلا وقد ولد فى بلدة بإيران تسمى جيلان وإليها ينسب عبد القادر، وقد نزح إلى بغداد حيث تعلم هناك وجلس يدرس فى وقت كان فى الانحلال الخلقى فيه فاشيا. وكان الرجل زاهدا فأحبه الناس وبعد وفاته أسسوا الطريقة القادرية نسبة إليه، كما يفعل دائما أتباع كل متصوف وأضاف قائلا: حقا أن حالة العرب مؤسفة من هذه الناحية. وثارت فى رأسى حمية الوهابية فقلت للدكتور: إذا أنت وهابى الفكر يا حضرة الدكتور فهم يقولون كما تقول ليس هناك أولياء. فقال: لا أنا لست على رأى الوهابية. والمؤسف عند المسلمين هو إما الافراط وإما التفريط، فإما أن يؤمنوا ويصدقوا بكل الخرافات التى لا تستند إلى دليل ولا عقل ولا شرع، وإما أن يكذبوا بكل شئ حتى بمعجزات نبينا محمد وأحاديثه لأنها لا تتماشى وأهواءهم وعقائدهم التى يعتقدونها وقد شرقت طائفة وغربت أخرى فالصوفية يقولون بإمكانية حضور الشيخ عبد القادر الجيلانى مثلا فى بغداد وفى نفس الوقت فى تونس، وقد يشفى مريضا فى تونس وينقذ غريقا فى نهر دجلة فى نفس اللحظة فهذا إفراط، والوهابية - كرد فعل على الصوفية - كذبوا بكل شئ حتى قالوا بشرك من توسل بالنبى، وهذا تفريط لا يا أخى نحن كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز:(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدا على الناس) [۱۰] . أعجبنى كلامه كثيرا وشكرته مبدئيا، وأبديت قناعتى بما قال. فتح محفظته وأخرج كتابه عن عبد القادر الجيلانى وأهدانيه، كما دعانى للضيافة فاعتذرت وبقينا نتحدث عن تونس وعن شمال إفريقيا حتى جاء صديقى [صفحه ۴۱] ورجعنا إلى البيت ليلا بعد أن أمضينا كامل اليوم فى الزيارات والمناقشات، وشعرت بالتعب والإرهاق فاستسلمت للنوم. استيقظت باكرا وصليت وجلست أقرأ الكتاب الذى يبحث فى حياة عبد القادر، فما أفاق صديقى حتى كنت قد أتممت نصفه، وكان يتردد على من حين إلى آخر داعيا إياى لتناول الفطور فلم أوافق حتى أنهيت الكتاب وقد شدنى إليه وأدخل على شكا لم يلبث طويلا حتى زال قبل خروجى من العراق. [صفحه ۴۳]

الشک والتساؤل

بقيت فى بيت صديقى ثلاثة أيام استرحت خلالها وفكرت مليا فى ما سمعته من هؤلاء الذين اكتشفتهم وكأنهم كانوا يعيشون على سطح القمر، فلماذا لم يحدثنا أحد عنهم إلا بما هو مزر ومشين، لماذا أنا أكرههم وأحقد عليهم دون أن أعرفهم، لعل ذلك ناتج من الإشاعات التى نسمعها عنهم من أنهم يعبدون عليا وأنهم ينزلون أئمتهم منزلة الآلهة وأنهم يقولون بالحلول، وأنهم يسجدون للحجر من دون الله، وأنهم - كما حدثنا أبى بعد رجوعه من الحج - يأتون إلى قبر الرسول ليلقون فيه القذرات والنجاسات وقد أمسكهم السعوديون وحكموا عليهم بالإعدام.. وأنهم.. وأنهم.. حدث ولا حرج. كيف يسمع المسلمون بهذا ولا يحقدون على هؤلاء الشيعة ولا يبغضونهم، بل كيف لا يقاتلونهم!. ولكن كيف أصدق هذه الإشاعات وقد رأيت بعينى ما رأيت وسمعت بأذنى ما سمعت وها قد مضى على وجودى بينهم أكثر من أسبوع ولم أر منهم ولم أسمع إلا ـ الكلام المنطقى الذى يدخل العقول بدون استئذان، بل قد استهوتنى عباداتهم وصلاتهم ودعاؤهم وأخلاقهم واحترامهم لعلمائهم حتى تمنيت أن أكون مثلهم، وبقيت أتسأل: هل حقا أنهم يكرهون رسول الله! وكلما ذكرته وكثيرا ما أذكره لاختبارهم فيصيحون بكل جوارحهم (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) وظننت أنهم ينافقون، ولكن زال هذا الظن بعد ما تصفحت كتبهم التى [صفحه ۴۴] قرأت شيئا منها فوجدت احتراما وتقديسا وتنزيها لشخص الرسول لم أعهده فى كتبنا فهم يقولون بعصمته صلى الله عليه وآله فى كل شئ قبل البعثة وبعدها بينما نقول نحن أهل السنة

والجماعة بأنه معصوم فى تبليغ القرآن فقط وما عدا ذلك فهو بشر يخطئ كغيره وكثيرا ما نستدل على ذلك بخطئه – صلى الله عليه وآله – وتصويب بعض الصحابة رأيه ولنا فى ذلك أمثلة متعددة بينما يرفض الشيعة أن يكون رسول الله يخطئ ويصيب غيره فكيف أصدق بعد هذا أنهم يكرهون رسول الله؟ كيف. وتحدثت يوما مع صديقى ورجوته وأقسمت عليه أن يجيبنى بصراحة، وكان الحوار التالى: – أنتم تنزلون عليا رضى الله عنه وكرم الله وجهه منزلة الأنبياء لأنى ما سمعت أحدا منكم يذكره إلا ويقول " عليه السلام. –" فعلا نحن عندما نذكر أمير المؤمنين أو أحد الأئمة من بنيه نقول (عليه السلام)، فهذا لا يعنى أنهم أنبياء، ولكنهم ذرية الرسول وعترته الذين أمرنا الله بالصلاة عليهم فى محكم تنزيله وعلى هذا يجوز أن نقول: عليهم الصلاة والسلام أيضا. – لا يا أخى نحن لا نعترف بالصلاة والسلام إلا على رسول الله والأنبياء الذين سبقوه ولا دخل لعلى وأولاده فى ذلك رضى الله عنهم. – أنا أطلب منك وأرجوك أن تقرأ كثيرا حتى تعرف الحقيقة. – أى الكتب أقرأ يا أخى؟ ألست أنت الذى قلت لى بأن كتب أحمد أمين ليست حجة على الشيعة، كذلك كتب الشيعة ليست حجة علينا ولا نعتمد عليها، ألا ترى أن كتب النصارى التى يعتمدونها تذكر أن عيسى (ع) قال ": إنى ابن الله) فى حين أن القرآن الكريم – وهو أصدق القائلين – يقول على لسان عيسى بن مريم: (ما قلت لهم، إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم). – حسنا قلت: لقد قلت ذلك، والذى أريده منك هو هذا، أعنى [صفحه ۴۵] استعمال العقل والمنطق والاستدلال بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة ما دمنا مسلمين، ولو كان الحديث مع يهودى أو نصرانى لكان الاستدلال بغير هذا. – إذا، فى أى كتاب سأعرف الحقيقة، وكل مؤلف وكل فرقة وكل مذهب يدعى أنه على الحق. – سأعطيك الآن دليلا ملموسا، لا يختلف فيه المسلمون بشتى مذاهبهم وفرقهم ومع ذلك فأنت لا تعرفه!. – وقل ربى زدنى علما. – هل قرأت تفسير الآية الكريمة: (أن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [۱۱] . فقد أجمع المفسرون سنة وشيعة على أن الصحابة الذين نزلت فيهم هذه الآية، جاؤوا إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله عرفنا كيف نسلم عليك ولم نعرف كيف نصلى عليك! فقال: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد ولا تصلوا على الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله، قال: أن تقولوا اللهم صل على محمد وتصمتوا، وأن الله كامل ولا يقبل إلا الكامل. ولكل ذلك عرف الصحابة ومن بعدهم التابعون أمر رسول الله فكانوا يصلون عليه الصلاة الكاملة، حتى قال الإمام الشافعى فى حقهم: يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له كان كلامه يطرق سمعى وينفذ إلى قلبى ويجد فى نفسى صدى إيجابيا، وبالفعل فقد سبق لى أن قرأت مثل هذا فى بعض الكتب، ولكن لا أذكر فى أى [صفحه ۴۶] كتاب بالضبط، واعترفت له بأننا عندما نصلى على النبى نصلى على آله وصحبه أجمعين ولكن لا نفرد عليا بالسلام كما يقول الشيعة. قال: فما رأيك فى البخارى؟ أهو من الشيعة؟. قلت: إمام (جليل من أئمة أهل السنة والجماعة وكتابه أصح الكتب بعد كتاب الله). عند ذلك قام وأخرج من مكتبته صحيح البخارى وفتحه وبحث عن الصفحة التى يريدها، وأعطانى لأقرأ فيه: حدثنا فلان عن فلان عن على – عليه السلام –. ولم أصدق عينى واستغربت حتى أننى شككت أن يكون ذلك هو صحيح البخارى، واضطربت وأعدت النظر فى الصفحة وفى الغلاف، ولما أحس صديقى بشكى أخذ منى الكتاب وأخرج لى صفحة أخرى فيها: (حدثنا على بن الحسين (عليهما السلام)) فما كان جوابى بعدها إلا أن قلت: سبحان الله واقتنع منى بهذا الجواب وتركنى وخرج، وبقيت أفكر وأراجع قراءة تلك الصفحات وأتثبت فى طبعة الكتاب فوجدتها من طبع ونشر شركة الحلبى وأولاده بمصر. يا إلهى، لماذا أكابر وأعاند وقد أعطانى حجة ملموسة من أصح الكتب عندنا، والبخارى ليس شيعيا قطعا، وهو من أئمة أهل السنة ومحدثيهم، أأسلم لهم بهذه الحقيقة وهى قولهم على (ع)، ولكن أخاف من هذه الحقيقة فلعلها تتبعها حقائق أخرى لا أحب الاعتراف بها، وقد انهزمت أمام صديقى مرتين فقد تنازلت عن قداسة عبد القادر الجيلانى وسلمت بأن موسى الكاظم أولى منه، وسلمت أيضا بأن عليا (ع) هو أهل لذلك، ولكنى لا أريد هزيمة أخرى، وأنا الذى كنت منذ أيام قلائل عالما فى مصر أفخر بنفسى ويمجدنى علماء الأزهر الشريف، أجد نفسى اليوم مهزوما مغلوبا ومع من؟ مع الذين كنت ولا أزال أعتقد أنهم على خطأ، فقد تعودت على أن كلمة (شيعة) هى مسبة. إنه الكبرياء

وحب الذات، إنها الأنانية واللجاج والعصبية، إلهى ألهمنى رشدى، وأعنى على تقبل الحقيقة ولو كانت مرة. اللهم افتح بصرى وبصيرتى واهدنى إلى صراطك المستقيم واجعلنى من [صفحه ۴۷] الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه. رجع بى صديقى إلى البيت وأنا أردد هذه الدعوات فقال مبتسما: هدانا الله وإياكم وجميع المسلمين، وقد قال فى محكم كتابه: (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) [۱۲] . والجهاد فى هذه الآية يحمل معنى البحث العلمى للوصول إلى الحقيقة، والله سبحانه يهدى إلى الحق كل من بحث عن الحق. [صفحه ۴۹]

السفر إلى النجف

أعلمنى صديقى ذات ليلة بأننا سنسافر غدا إن شاء الله إلى النجف، وسألته وما النجف؟ قال: إنها مدينة علمية فيه مرقد الإمام على بن أبى طالب، فتعجبت كيف يكون للإمام على قبر معروف. لأن شيوخنا يقولون أنه لا وجود لقبر معروف لسيدنا على، وسافرنا فى سيارة عمومية حتى وصلنا إلى الكوفة وهناك نزلنا لزيارة جامع الكوفة وهو من الآثار الإسلامية الخالدة، وكان صديقى يرينى الأماكن الأثرية ويزورنى جامع مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ويحكى لى بإيجاز كيف استشهدا، كما أدخلنى المحراب الذى استشهد فيه الإمام على، وبعدها زرنا البيت الذى كان يسكنه الإمام مع ابنيه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وفى البيت البئر التى كانوا يشربون منها ويتوضؤون بمائها، وعشت لحظات روحية نسيت خلالها الدنيا وما فيها لأسبح فى زهد الإمام وبساطة عيشه وهو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين. ولا ـ يفوتنى أن أذكر الحفاوة والتواضع اللذين شاهدتهما هناك فى الكوفة، فما مررنا بمجموعة إلا وقاموا إلينا وسلموا علينا، وكان صديقى يعرف الكثير منهم ودعانا أحدهم وهو مدير المعهد بالكوفة إلى بيته حيث التقينا بأولاده وبتنا عندهم ليلة سعيدة، وشعرت وكأنى بين أهلى وعشيرتى، وكانوا إذا تكلموا عن أهل السنة والجماعة يقولون: (إخواننا من السنة) فأنست بحديثهم وسألتهم بعض الأسئلة الاختبارية لأتيقن من صدق كلامهم. [صفحه ۵۰] تحولنا إلى النجف وهى تبعد عن الكوفة حوالى عشرة كيلو مترات وما أن وصلنا حتى تذكرت مسجد الكاظمية فى بغداد فبدت المآذن الذهبية تحيط بقبة من الذهب الخالص ودخلنا إلى حرم الإمام بعد قراءة الإذن بالدخول كما هى عادة الزوار من الشيعة، ورأيت هنا أعجب مما رأيت هناك فى جامع موسى الكاظم، وكالعادة وقفت أقرأ الفاتحة وأنا أشك فى أن هذا القبر يحوى جثمان الإمام على، وكأنى اقتنعت ببساطة ذلك البيت الذى كان يسكنه فى الكوفة وقلت فى نفسى حاشى للإمام على أن يرضى بهذه الزخرفة من الذهب والفضة بينما يموت المسلمون جوعا فى شتى بقاع الدنيا، وخصوصا لما رأيت فقراء فى الطريق يمدون أيديهم للمارة طلبا للصدقة فكان لسان حالى يقول: أيها الشيعة أنتم مخطئون، اعترفوا على الأقل بهذا الخطأ فالإمام على هو الذى بعثه رسول الله لتسوية القبور، فيما لهذه القبور المشيدة بالذهب والفضة إنها وإن لم تكن شركا بالله فهى على الأقل خطأ فادح لا يغفره الإسلام. وسألنى صديقى وهو يمد إلى قطعة من الطين اليابس هل أريد أن أصلى، وأجبته فى حدة: نحن لا ـ نصلى حول القبور! قال: إذا انتظرنى قليلا حتى أصلى ركعتين، وفى انتظاره كنت أقرأ اللوحة المعلقة على الضريح وأنظر إلى داخله من خلال القضبان الذهبية المنقوشة وإذا به ملئ بالأوراق النقدية من كل الألوان من الدرهم والريال إلى الدينار والليرة وكلها يلقيها الزوار تبركا للمساهمة فى المشاريع الخيرية التابعة للمقام وظننت لكثرتها أن لها شهورا، ولكن صديقى أعلمنى فى ما بعد أن المسؤولين عن تنظيف المقام يأخذون كل ذلك فى كل ليلة بعد صلاة العشاء. خرجت وراءه مدهوشا وكأننى تمنيت أن يعطونى منها نصيبا أو يوزعوها على الفقراء والمساكين وما أكثرهم هناك. كنت ألتفت فى كل اتجاه داخل السور الكبير المحيط بالمقام حيث يصلى جماعات من الناس هنا وهناك وينصت آخرون إلى بعض الخطباء الذين اعتلوا منبرا وكأنى سمعت نواح بعضهم فى صوت متهدج. [صفحه ۵۱] ورأيت جموعا من الناس يبكون ويلطمون على صدورهم وأردت أن أسال صديقى، ما بال هؤلاء يبكون ويلطمون ومرت بقربنا جنازة وشاهدت بعضهم يرفع الرخام فى وسط الصحن وينزل الميت هناك، فظننت أن بكاء هؤلاء لأجل الميت العزيز عليهم. [صفحه ۵۳]

لقاء العلماء

أدخلنى صديقى إلى مسجد فى جانب الحرم مفروش كله بالسجاد وفى محرابه آيات قرآنية منقوشة بخط جميل، ولفت انتباهى مجموعة من الصبيان المعممين جالسين قرب المحراب يتدارسون وكل واحد فى يده كتاب، فأعجبت لهذا المنظر الجميل ولم يسبق لى أن رأيت شيوخا بهذا السن أعمارهم تتراوح ما بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة وقد زادهم جمالا ذلك الزى فأصبحوا كالأقمار، سألهم صديقى عن (السيد) فأخبروه بأنه يصلى بالناس جماعة، ولم أفهم من هو (السيد) الذى سألهم عنه غير أننى توقعت أنه أحد العلماء. وعرفت فيما بعد أنه السيد الخوئى زعيم الحوزة العلمية للطائفة الشيعية. مع العلم بأن لقب (السيد) عند الشيعة هو لقب لكل منحدر من سلالة النبى صلى الله عليه وآله، ويرتدى (السيد) العالم أو طالب العلوم الدينية عمامة سوداء، وأما العلماء الآخرون فيرتدون عمامة بيضاء ويلقبون ب (الشيخ) وهناك نوع من الأشراف الذين ليسوا بعلماء فلهم عمامة خضراء. طلب إليهم صديقى أن أجلس معهم ريثما يذهب للقاء (السيد) ورحبوا بى وأحاطونى بنصف دائرة وأنا أنظر فى وجوههم وأستشعر براءتهم ونقاوة سريرتهم وأستحضر فى ذهنى حديث النبى صلى الله عليه وآله حيث قال: (يولد المرء على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وقلت فى نفسى: أو يشيعانه. [صفحه ۵۴] سألونى من أى البلاد أنا، قلت: من تونس، قالوا: هل يوجد عندكم حوزات علمية؟ أجبتهم: عندنا جامعات ومدارس، وانهالت على الأسئلة من كل جانب، وكلها أسئلة مركزة ومحرجة، فماذا أقول لهؤلاء الأبرياء الذين يعتقدون أن فى العالم الإسلامى كله حوزات علمية تدرس الفقه وأصول الدين والشريعة والتفسير، وما يدرون أن فى عالمنا الإسلامى وفى بلداننا التى تقدمت وتطورت، أبدلنا المدارس القرآنية بروضات للأطفال يشرف عليها راهبات نصرانيات فهل أقول لهم إنهم ما زالوا (متخلفين) بالنسبة إلينا؟. وسألنى أحدهم: ما هو المذهب المتبع فى تونس؟ قلت: المذهب المالكى، قال: ألا ـ تعرفون المذهب الجعفرى؟ فقلت: خير إن شاء الله، ما هذا الاسم الجديد؟ لا، نحن لا نعرف غير المذاهب الأربعة وما عداها فليس من الإسلام فى شئ. وابتسم قائلا: عفوا، أن المذهب الجعفرى هو محض الإسلام، ألم تعرف بأن الإمام أبا حنيفة تتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق؟ وفى ذلك يقول أبو حنيفة: (لولا السنتان لهلك النعمان)، سكت ولم أبد جوابا، فقد أدخل على اسما جديدا ما سمعت به قبل ذلك اليوم ولكنى حمدت الله أنه – أى إمامهم جعفر الصادق – لم يكن أستاذا للإمام مالك وقلت نحن مالكية ولسنا أحنافا. فقال: أن المذاهب الأربعة أخذ بعضهم عن بعض فأحمد بن حنبل أخذ عن الشافعى والشافعى أخذ عن مالك وأخذ مالك عن أبى حنيفة وأبو حنيفة أخذ عن جعفر الصادق وعلى هذا فكلهم تلاميذ لجعفر بن محمد، وهو أول من فتح جامعة إسلامية فى مسجد جده رسول الله وقد تتلمذ على يديه أكثر من أربعة آلاف محدث وفقيه، وعجبت لهذا الصبى الذكى الذى يحفظ ما يقول مثل ما يحفظ أحدنا سورة من القرآن، وقد أدهشنى أكثر عندما كان يسرد على بعض المصادر التاريخية التى يحفظ عدد أجزائها وأبوابها، وقد استرسل معى فى الحديث وكأنه أستاذ يعلم تلميذه، وشعرت بالضعف أمامه، وتمنيت لو أنى خرجت مع صديقى ولم أبق مع الصبيان، فما سألنى أحدهم عن شئ يخص الفقه أو التاريخ إلا وعجزت عن الجواب ; سألنى من أقلد من الأئمة؟ قلت: الإمام مالك! [صفحه ۵۵] قال: كيف تقلد ميتا بينك وبينه أربعة عشر قرنا، فإذا أردت أن تسأله الآن عن مسألة مستحدثة فهل يجيبك؟ فكرت قليلا وقلت: وأنت جعفرك مات أيضا منذ أربعة عشر قرنا فمن تقلد؟ أجاب بسرعة هو والباقون من الصبية: نحن نقلد السيد الخوئى فهو إمامنا. ولم أفهم أكان الخوئى أعلم أم جعفر الصادق، وبقيت معهم أحاول تغيير الموضوع فكنت أسألهم عن أى شئ يلهيهم عن مسألتى فسألتهم عن عدد سكان النجف وكم تبعد النجف عن بغداد وهل يعرفون بلدانا أخرى غير العراق، وكلما أجابوا أعددت لهم سؤالا غيره حتى أشغلهم عن سؤالى لأنى عجزت وشعرت بالقصور، ولكن هيهات أن أعترف لهم وإن كنت فى داخلى معترفا إذ أن ذلك المجد والعز والعلم الذى ركبنى فى مصر تبخر هنا وذاب، خصوصا بعد لقاء هؤلاء الصبيان عرفت الحكمة القائلة: فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة عرفت شيئا وغابت عنك أشياء وتصورت أن عقول هؤلاء الصبيان أكبر من عقول أولئك المشايخ الذين قابلتهم فى الأزهر وأكبر من

عقول علمائنا الذين عرفتهم فی تونس. ودخل السید الخوئی ومعه کوکبة من العلماء علیهم هیبة ووقار، وقام الصبیان وقمت معهم، وتقدموا من (السید) یقبلون یده، وبقیت مسمرا فی مکانی، ما إن جلس (السید) حتی جلس الجمیع وبدأ یحییهم بقوله: (مساکم الله بالخیر) یقولها لکل واحد منهم فیجیبه بالمثل حتی وصل دوری فأجبت کما سمعت، بعدها أشار علی صدیقی الذی تکلم مع (السید) همسا، بأن أدنو من (السید) وأجلسنی علی یمینه وبعد التحیة قال لی صدیقی: أحک للسید ماذا تسمعون عن الشیعة فی تونس. فقلت یا أخی کفانا من الحکایات التی نسمعها من هنا وهناک، والمهم هو أن أعرف بنفسی ماذا یقول الشیعة، وعندی بعض الأسئلة أرید الجواب عنها بصراحة. [صفحه ۵۶] فألح علی صدیقی وأصر علی أن أروی (للسید) ما هو اعتقادنا فی الشیعة، قلت: الشیعة عندنا هم أشد علی الإسلام من الیهود والنصاری لأن هؤلاء یعبدون الله ویؤمنون برسالة موسی (ع)، بینما نسمع عن الشیعة أنهم یعبدون علیا ویقدسونه، ومنهم فرقة یعبدون الله ولکنهم ینزلون علیا بمنزلة رسول الله ورویت قصة جبریل کیف أنه خان الأمانة حسب ما یقولون وبدلا من أداء الرسالة إلی علی أداها إلی محمد صلی الله علیه وآله. أطرق (السید) رأسه هنیهة ثم نظر إلی وقال: نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلی الله علیه وعلی آله الطیبین الطاهرین، وما علی إلا عبد من عبید الله والتفت إلی بقیة الجالسین قائلا ومشیرا إلی: أنظروا إلی هؤلاء الأبریاء کیف تغلطهم الإشاعات الکاذبة، وهذا لیس بغریب فقد سمعت أکثر من ذلک من أشخاص آخرین، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم، ثم التفت إلی وقال: هل قرأت القرآن؟ قلت: حفظت نصفه ولم أتخط العاشرة من عمری. قال: هل تعرف أن کل الفرق الإسلامیة علی اختلاف مذاهبها متفقة علی القرآن الکریم، فالقرآن الموجود عندنا هو نفسه موجود عندکم. قلت نعم هذا أعرفه. قال: إذا ألم تقرأ قول الله سبحانه وتعالی: (وما محمد إلا رسول، قدخلت من قبله الرسل) [۱۳] . وقوله أیضا: (محمد رسول الله والذین معه أشداء علی الکفار) [۱۴] . وقوله: (ما کان محمد أبا أحد من رجالکم ولکن رسول الله وخاتم النبیین) [۱۵] . [صفحه ۵۷] قلت بلی أعرف هذه الآیات قال: فأین هو علی؟ إذا کان قرآننا یقول بأن محمدا هو رسول الله فمن أین جاءت هذه الفریة؟ سکت ولم أجد جوابا، وأضاف یقول: وأما خیانة جبریل (حاشاه) فهذه أقبح من الأولی، لأن محمد کان عمره أربعین سنة عندما أرسل الله سبحانه إلیه جبریل (ع)، ولم یکن علی إلا صبیا صغیرا عمره ست أو سبع سنوات، فکیف یا تری یخطئ جبریل ولا یفرق بین محمد الرجل وعلی الصبی؟. ثم سکت طویلا بینما بقیت أفکر فی أقواله وأنا مطرق أحلل وأتذوق هذا الحدیث المنطقی الذی نفذ إلی أعماقی وأزال غشاوة عن بصری وتساءلت فی داخلی کیف لم نحلل نحن بهذا المنطق. أضاف (السید الخوئی) یقول: وأزیدک بأن الشیعة هی الفرقة الوحیدة من بین کل الفرق الإسلامیة الأخری التی تقول بعصمة الأنبیاء والأئمة، فإذا کان أئمتنا سلام الله علیهم معصومین عن الخطأ وهم بشر مثلنا، فکیف بجبریل وهو ملک مقرب سماه رب العزة ب (الروح الأمین). قلت: فمن أین جاءت هذه الدعایات؟. قال: من أعداء الإسلام الذین یریدون تفریق المسلمین وتمزیقهم وضرب بعضهم ببعض وإلا فالمسلمون أخوة سواء کانوا شیعة أم سنة فهم یعبدون الله وحده لا یشرکون به شیئا، وقرآنهم واحد ونبیهم واحد وقبلتهم واحدة، ولا یختلف الشیعة عن السنة إلا فی الأمور الفقهیة کما یختلف أئمة المذاهب السنیة أنفسهم فی ما بینهم فمالک یخالف أبا حنیفة، وهذا یخالف الشافعی وهکذا.. قلت: إذا کل ما یحکی عنکم هو محض افتراء قال: أنت بحمد الله عاقل وتفهم الأمور وقد رأیت بلاد الشیعة وتجولت فی أوساطهم فهل رأیت أو سمعت شیئا من تلک الأکاذیب؟ قلت: لا لم أسمع ولم أر إلا الخیر وإنی أحمد الله سبحانه أن عرفنی بالأستاذ منعم فی الباخرة، فهو السبب فی مجیئی إلی العراق وقد عرفت أشیاء کثیرة کنت أجهلها فضحک صدیقی منعم قائلا: ومنها وجود قبر للإمام علی، فغمزته واستدرکت قائلا: بل تعلمت أشیاء جدیدة حتی من هؤلاء الصبیان [صفحه ۵۸] وتمنیت لو أتیحت لی الفرصة وتعلمت مثلهم فی الحوزة العلمیة هنا. قال (السید:) أهلا وسهلا، إن کنت ترید طلب العلم فالحوزة علی ذمتک، ونحن فی خدمتک، ورحب الحاضرون بهذا الاقتراح وخصوصا صدیقی منعم الذی تهلل وجهه. قلت: أنا متزوج وعندی ولدان: قال: نحن نتکفل بکل مستلزماتکم من سکن ومعاش وکل ما تحتاجون إلیه والمهم هو طلب العلم، فکرت قلیلا وقلت فی نفسی لیس من المعقول أن أصبح تلمیذا بعد ما قضیت خمس سنوات وأنا أستاذ أمارس التعلیم وتربیة النشء ; ولیس من السهولة أن أتخذ قرارا

بمثل هذه السرعة. شكرت السيد الخوئى على هذا العرض وقلت سوف أفكر فى الموضوع بجد بعد رجوعى من العمرة بحول الله ولكنى فى حاجة إلى بعض الكتب، فقال السيد: أعطوه الكتب، ونهض جمع من العلماء وفتحوا عدة خزانات وما هى إلا لحظات حتى وجدت أمامى أكثر من سبعين مجلدا فكل واحد جاءنى بدورة من الكتب وقال: هذه هديتى، ورأيت أنه لا يمكننى حمل هذا العدد الكبير معى خصوصا وأنى متوجه إلى السعودية الذين يمنعون دخول أى كتاب إلى بلادهم خوفا من تفشى بعض العقائد التى تخالف مذهبهم ولكنى ما أردت التفريط بهذه الكتب التى لم تر عينى مثلها فى سابق حياتى. فقلت لصديقى وللحاضرين بأن طريقى طويل يمر بدمشق والأردن إلى السعودية وفى العودة سيكون أطول فسأمر بمصر وليبيا حتى الوصول إلى تونس، وزيادة على ثقل الحمل فإن أغلب الدول تمنع دخول الكتب، فقال (السيد) أترك لنا عنوانك ونحن نتكفل بإرسالها إليك، واستحسنت هذا الرأى وأعطيته بطاقة شخصية بها عنوانى فى تونس، وشكرت فضله، ولما ودعته ونهضت للخروج، نهض معى قائلا: أسأل الله لك السلامة وإذا وقفت على قبر جدى رسول الله فبلغه منى السلام وتأثر الحاضرون وتأثرت كثيرا وأنا أنظر إلى عينيه تدمعان، وقلت فى نفسى حاشى لله أن يكون هذا من المخطئين حاشى لله أن [صفحه ۵۹] يكون هذا من الكاذبين، إن هيبته وعظمته وتواضعه تنبئ حقا أنه من سلالة الشرف، فما كان منى إلا أن أخذت يده وقبلتها رغم ممانعته. وقام الجميع لقيامى وسلموا على، وتبعنى بعض الصبية من الذين كانوا يجادلوننى وطلبوا منى عنوانى للمراسلة فأعطيتهم إياه. اتجهنا من جديد إلى الكوفة بدعوة أحد الذين كانوا فى مجلس السيد الخوئى وهو صديق منعم اسمه أبو شبر، نزلنا فى بيته وسهرنا ليلة كاملة مع مجموعة من الشبان المثقفين وكان من بينهم بعض طلبة السيد محمد باقر الصدر فأشاروا على بمقابلته وتعهدوا بأنهم سيرتبون لقائى مع حضرته فى اليوم التالى، واستحسن صديقى منعم هذا الاقتراح ولكنه تأسف لعدم إمكانية حضوره لأن له شغلا فى بغداد يستلزم حضوره، واتفقنا على أن أبقى فى بيت السيد أبو شبر ثلاثة أيام أو أربعة ريثما يعود منعم، الذى غادرنا بعد صلاة الفجر وقمنا نحن للنوم وقد استفدت كثيرا من طلبة العلوم الذين سهرت معهم وتعجبت من تنوع العلوم التى يتلقونها فى الحوزة فهم زيادة على العلوم الإسلامية من فقه وشريعة وتوحيد يدرسون العلوم الاقتصادية والعلوم الاجتماعية والسياسية، والتاريخ واللغات وعلوم الفلك وغير ذلك. [صفحه ۶۱]

لقاء مع السيد محمد باقر الصدر

اتجهت بصحبة السيد أبو شبر إلى بيت السيد محمد باقر الصدر وفى الطريق كان يلاطفنى ويعطينى بسطة عن العلماء المشهورين وعن التقليد وغير ذلك، ودخلنا على السيد محمد باقر الصدر فى بيته وكان مليئا بطلبة العلوم وأغلبهم من الشبان المعممين وقام السيد يسلم علينا، وقدمونى إليه فرحب بى كثيرا وأجلسنى بجانبه وأخذ يسألنى عن تونس والجزائر وعن بعض العلماء المشهورين أمثال الخضر حسين والطاهر بن عاشور وغيرهم، وأنست بحديثه ورغم الهيبة التى تعلوه والاحترام الذى يحوطه به جلساؤه، وجدت نفسى غير محرج وكأنى أعرفه من قبل واستفدت من تلك الجلسة إذ كنت أسمع أسئلة الطلبة وأجوبة السيد عليها، وعرفت وقتها قيمة تقليد العلماء الأحياء الذين يجيبون عن كل الإشكالات مباشرة وبكل وضوح، وتيقنت أيضا من أن الشيعة مسلمون يعبدون الله وحده ويؤمنون برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كان بعض الشك يراودنى والشيطان يوسوس لى بأن ما شاهدته قبل هو تمثيل، وربما يكون ما يسمونه بالتقية، أى أنهم يظهرون ما لا يعتقدون، ولكن سرعان ما يزول الشك وتضمحل تلك الوساوس إذ لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يتفق كل من رأيتهم وسمعتهم وهم مئات على هذا التمثيل ثم لماذا هذا التمثيل؟ ومن هو أنا، وما يهمهم من أمرى حتى يستعملوا معى هذه التقية ثم هذه كتبهم القديمة التى كتبت منذ قرون والحديثة التى طبعت منذ شهور وكلها توحد الله وتثنى على رسوله [صفحه ۶۲] محمد كما قرأت ذلك فى مقدماتها، وها أنا الآن فى بيت السيد محمد باقر الصدر المرجع المشهور فى العراق وفى خارج العراق وكلما ذكر اسم محمد صاح الجميع فى صوت واحد: (اللهم صل على محمد وآل محمد). وجاء وقت الصلاة وخرجنا إلى المسجد وكان بجوار البيت وصلى بنا السيد محمد باقر الصدر صلاة الظهر والعصر، وأحسست بأنى

أعيش وسط الصحابة الكرام فقد تخلل الصلاتين دعا رهيب من أحد المصلين، وكان له صوت شجى ساحر وبعدما أنهى الدعاء صاح الجميع (اللهم صل على محمد وآل محمد) وكان الدعاء كله ثناء وتمجيدا على الله جل جلاله ثم على محمد وآله الطيبين الطاهرين. وجلس السيد فى المحراب بعد الصلاة. وأخذ بعضهم يسلمون عليه ويسألونه سرا وعلانية وكان يجيب سرا عن بعض الأسئلة التى فهمت أنها تتطلب الكتمان لأنها تتعلق بشؤون خاصة، وكان السائل إذا حصل على الجواب يقبل يده وينصرف، هنيئا لهم بهذا العالم الجليل الذى يحل مشاكلهم ويعيش همومهم. رجعنا بصحبة السيد الذى أولانى من الرعاية والعناية وحسن الضيافة ما أنسانى أهلى وعشيرتى وأحسست بأنى لو بقيت معه شهرا واحدا لتشيعت لحسن أخلاقه وتواضعه وكرم معاملته، فلم أنظر إليه إلا وابتسم فى وجهى وابتدرنى بالكلام، وسألنى هل ينقصنى شئ، فكنت لا أغادره طيلة الأيام الأربعة إلا للنوم، رغم كثرة زواره والعلماء الوافدين عليه من كل الأقطار، فقد رأيت السعوديين هناك ولم أكن أتصور بأن فى الحجاز شيعة، وكذلك علماء من البحرين ومن قطر ومن الإمارات ومن لبنان وسوريا وإيران وأفغانستان ومن تركيا ومن إفريقيا السوداء وكان السيد يتكلم معهم ويقضى حوائجهم ولا يخرجون من عنده إلا وهم فرحون مسرورون، ولا يفوتنى أن أذكر هنا قضية حضرتها وأعجبت فى كيفية فصلها، وأذكرها للتاريخ لما لها من أهمية بالغة حتى يعرف المسلمون ماذا خسروا بتركهم حكم الله. جاء إلى السيد محمد باقر الصدر أربعة رجال أظنهم عراقيين عرفت ذلك [صفحه ۶۳] من لهجتهم، كان أحدهم ورث مسكنا من جده الذى توفى منذ سنوات وباع ذلك المسكن إلى شخص ثان كان هو الآخر حاضرا، وبعد سنة من تاريخ البيع جاء أخوان، وأثبتا أنهما وارثان شرعيان للميت، وجلس أربعتهم أمام السيد وأخرج كل واحد منهم أوراقه وما عنده من حجج وبعد ما قرأ السيد كل أوراقهم وتحدث معهم بضع دقائق حكم بينهم بالعدل، فأعطى الشارى حقه فى التصرف بالمسكن وطلب من البائع أن يدفع للأخوين نصيبهما من الثمن المقبوض، وقام الجميع يقبلون يده، ويتعانقون، ودهشت لهذا ولم أصدق، وسألت أبا شبر، هل انتهت القضية؟ قال: (خلاص كل أخذ حقه)، سبحان الله! بهذه السهولة، وبهذا الوقت الوجيز، بضع دقائق فقط كافية لحسم النزاع؟ إن مثل هذه القضية فى بلادنا تستغرق عشر سنوات على أقل تقدير ويموت بعضهم، ويواصل أولاده بعده تتبع القضية ويصرفون رسوم المحكمة والمحامين ما يكلفهم فى أغلب الأحيان ثمن المسكن نفسه، ومن المحكمة الابتدائية إلى محكمة الاستئناف ثم إلى التعقيب وفى النهاية يكون الجميع غير راضين بعد ما يكونون قد أنهكوا بالتعب والمصاريف والرشوة، والعداوة والبغضاء بين عشائرهم وذويهم، أجابنى أبو شبر، وعندنا أيضا نفس الشئ أو أكثر فقلت: كيف؟ قال: إذا رفع الناس شكواهم إلى المحاكم الحكومية، فيكون مثل ما حكيت أما إذا كانوا يقلدون المرجع الدينى ويلتزمون بالأحكام الإسلامية، فلا يرفعون قضاياهم إلا إليه فيفصلها فى بضع دقائق كما رأيت، ومن أحسن من الله حكما لقوم يعقلون؟ والسيد الصدر لم يأخذ منهم فلسا واحدا، ولو ذهبوا إلى المحاكم الرسمية لتعرت رؤوسهم. ضحكت لهذا التعبير الذى هو سار عندنا أيضا وقلت: سبحان الله! أنا لا زلت مكذبا ما رأيت، ولولا ما شاهدته بعينى ما كنت لأصدق أبدا، فقال أبو شبر: لا تكذب يا أخى فهذه بسيطة بالنسبة إلى غيرها من القضايا التى هى أشد تعقيدا وفيها دماء، ومع ذلك يحكم فيها المراجع ويفصلونها فى سويعات، فقلت متعجبا: إذا عندكم فى العراق حكومتان، حكومة الدولة وحكومة رجال الدين، فقال: كلا عندنا حكومة الدولة فقط، ولكن المسلمين من الشيعة الذين [صفحه ۶۴] يقلدون مراجع الدين، لا علاقة لهم بالحكومة، لأنها ليست حكومة إسلامية فهم خاضعون لها بحكم المواطنية والضرائب والحقوق المدنية والأحوال الشخصية، فلو تخاصم مسلم ملتزم مع أحد المسلمين غير الملتزمين فسوف يضطر حتما لرفع قضيته إلى محاكم الدولة، لأن هذا الأخير لا يرضى بتحكيم رجال الدين – أما إذا كان المتخاصمان متلزمين فلا إشكال هناك، وما يحكم به المرجع الدينى نافذ على الجميع. وعلى هذا الأساس تحل القضايا التى يحكم فيها المرجع فى يومها بينما تظل القضايا الأخرى شهورا بل أعواما. إنها حادثة حركت فى نفسى شعور الرضى بأحكام الله سبحانه وتعالى وفهمت معنى قوله تعالى فى كتابه المجيد: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون..) [۱۶] صدق الله العظيم. كما حركت فى نفسى شعور النقمة والثورة على هؤلاء الظلمة الذين يبدلون أحكام الله العادلة بأحكام وضعية

بشرية جائرة، ولا يكفيهم كل ذلك بل ينتقدون بكل وقاحة وسخرية الأحكام الآلهية، ويقولون بأنها بربرية ووحشية لأنها تقيم الحدود فتقطع يـد السـارق وترجم الزاني، وتقتـل القاتـل، فمن أين جاءتنـا هـذه النظريات الغريبـة عنا وعن تراثنا، لا شك إنها من الغرب ومن أعـداء الإسـلام الـذين يـدركون أن تطبيق أحكـام الله يعنى القضاء عليهم نهائيا، لأنهم سـراق، خونـة، زناة، مجرمون وقتلـة. ولو طبقت أحكام الله عليهم لاسترحنا من هؤلاء جميعا وقد دارت بيني وبين السيد محمد باقر الصدر فى تلك الأيام حوارات عديدة وكنت أسأله عن كل [صفحه ۶۵] صـغيرة وكبيرة من خلال ما عرفته من الأصـدقاء الذين حدثونى عن كثير من عقائدهم وما يقولونه فى الصـحابة رضى الله عنهم وما يعتقدونه فى الأئمة الاثنى عشر على وبنيه، وغير ذلك من الأشياء التى نخالفهم فيها. سألت السيد الصدر عن الإمام على، ولمـاذا يشـهدون له فى الآـذان بـأنه ولى الله؟ أجـاب قائلاـ: إن أمير المـؤمنين عليـا سـلام الله عليه وهـو عبـد من عبيـد الله الـذين اصـطفاهم الله وشـرفهم ليواصـلوا حمل أعباء الرسالـة بعـد أنبيائه وهؤلاء هم أوصـياء الأنبياء، فلكل نبى وصـى وعلى بن أبى طالب هو وصـى محمد، ونحن نفضـله على سائر الصـحابة بما فضله الله ورسوله ولنا فى ذلك أدلة عقلية ونقلية من القرآن والسنة وهذه الأدلة لا يمكن أن يتطرق إليهـا الشـك لأنهـا متواترة وصـحيحة من طرقنـا وحتى من طرق أهـل السـنة والجماعـة، وقـد ألف فى ذلك علماؤنا العديـد من الكتب، ولمـا كـان الحكم الأموى يقوم على طمس هـذه الحقيقـة ومحاربـة أمير المؤمنين على وأبنائه وقتلهم، ووصل بهم الأمر إلى سـبه ولعنه على منابر المسـلمين وحمل الناس على ذلك بالقهر والقوة، فكان شيعته وأتباعه رضى الله عنهم يشهدون أنه ولى الله، ولاـ يمكن للمسـلم أن يسب ولى الله، وذلك تحـديا منهم للسـلطة الغاشـمة حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وحتى تكون حـافزا تاريخيـا لكـل المسلمين عبر الأجيـال فيعرفون حقيقـة على وباطل أعـدائه. ودأب فقهاؤنا على الشـهادة لعلى بالولايـة فى الأذان والإقامـة اسـتحبابا، لاـ بنيـة أنهـا جزء من الآـذان أو الإقامـة فـإذا نوى المؤذن أو المقيم أنهـا جزء بطـل أذانه وإقامته. والمسـتحبات فى العبادات والمعاملات لا تحصـى لكثرتها والمسلم يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، وقد ورد على سبيل المثال أنه يذكر استحبابا بعـد شـهادة أن لاـ إله إلا الله وأن محمـدا رسول الله، بأن يقول المسـلم، وأشـهد أن الجنـة حق والنار حق وأن الله يبعث من فى القبور. قلت: إن علماءنا علمونا: أن أفضل الخلفاء على التحقيق سـيدنا أبو بكر الصديق، ثم سيدنا عمر الفاروق ثم سيدنا عثمان ثم سيدنا على رضـى الله تعالى [صفحه ۶۶] عنهم أجمعين؟ سـكت السـيد قليلا، ثم أجابنى. لهم أن يقولوا ما يشاؤون، ولكن هيهات أن يثبتوا ذلك بالأدلة الشـرعية، ثم إن هذا القول يخالف صـريح ما ورد فى كتبهم الصـحيحة المعتبرة، فقد جاء فيها: أن أفضل الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا وجود لعلى بل جعلوه من سوقة الناس وإنما ذكره المتأخرون استحبابا لذكر الخلفاء الراشدين. سألته بعد ذلك عن التربة التى يسـجدون عليها والتى يسـمونها (بالتربـة الحسـينية) أجاب قائلا: يجب أن يعرف قبل كل شـئ أننا نسـجد على التراب، ولا نسـجد للتراب، كما يتوهم البعض الـذين يشـهرون بالشـيعة، فالسـجود هو لله سـبحانه وتعالى وحـده، والثابت عنـدنا وعند أهل السـنة أيضا أن أفضل السـجود على الأرض أو ما أنبتت الأرض من غير المأكول، ولا يصح السجود على غير ذلك، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفترش التراب وقد اتخذ له خمرة من التراب والقش يسـجد عليها، وعلم أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا يسجدون على الأرض، وعلى الحصـى، ونهاهم أن يسـجد أحدهم على طرف ثوبه، وهذا من المعلومات بالضرورة عندنا. وقد اتخذ الإمام زين العابدين وسيد الساجـدين على بن الحسـين (عليهما السـلام) تربـة من قبر أبيه أبى عبد الله باعتبارها تربة زكية طاهرة سالت عليها دماء سـيد الشـهداء، واستمر على ذلك شيعته إلى يوم الناس هذا، فنحن لا نقول بأن السجود لا يصح إلا عليها، بل نقول بأن السجود يصح على أى تربة أو حجرة طاهرة كما يصح على الحصـير والسـجاد المصـنوع من سـعف النخيل وما شابه ذلك. قلت – على ذكر سـيدنا الحسين رضى الله عنه – لماذا يبكى الشيعة ويلطمون ويضربون أنفسهم حتى تسيل الدماء وهذا محرم فى الإسلام، فقد قال صلى الله عليه وآله: (ليس منا من لطم الخـدود وشق الجيوب ودعـا بـدعوى الجاهليـة). أجاب السـيد قائلا: الحـديث صـحيح لا شك فيه ولكنه لا ينطبق على مأتم [صفحه ۶۷] أبى عبد الله، فالذى ينادى بثأر الحسـين ويمشـى على درب الحسـين دعوته ليست دعوى جاهلية، ثم إن الشـيعة بشـر فيهم العـالم وفيهم الجاهـل ولـديهم عواطف، فـإذا كانت عواطفهم تطغى عليهم فى ذكرى استشـهاد أبى عبـد الله وما جرى عليه وعلى أهله

وأصحابه من قتل وهتك وسبى، فهم مأجورون لأن نواياهم كلها فى سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يعطى العباد على قدر نواياهم، وقد قرأت منذ أسبوع التقارير الرسمية للحكومة المصرية بمناسبة موت جمال عبد الناصر، تقول هذه التقارير الرسمية بأنه سجل أكثر من ثمانى حالات انتحارية قتل أصحابها أنفسهم عند سماع النبأ فمنهم من رمى نفسه من أعلى العمارة ومنهم من ألقى بنفسه تحت القطار وغير ذلك، وأما المجروحون والمصابون فكثيرون، وهذه أمثلة أذكرها للعواطف التى تطغى على أصحابها وإذا كان الناس وهم مسلمون بلا شك يقتلون أنفسهم من أجل موت جمال عبد الناصر وقد مات موتا طبيعيا، فليس من حقنا – بناء على مثل هذا – أن نحكم على أهل السنة بأنهم مخطئون. وليس لإخواننا من أهل السنة أن يحكموا على إخوانهم من الشيعة بأنهم مخطئون فى بكائهم على سيد الشهداء، وقد عاشوا محنة الحسين وما زالوا يعيشونها حتى اليوم، وقد بكى رسول الله نفسه على ابنه الحسين وبكى جبريل لبكائه. – قلت ولماذا يزخرف الشيعة قبور أوليائهم بالذهب والفضة وهو محرم فى الإسلام؟. أجاب السيد الصدر: ليس ذلك منحصرا بالشيعة، ولا ـ هو حرام فها هى مساجد إخواننا من أهل السنة سواء فى العراق أو فى مصر أو فى تركيا أو غيرها من البلاد الإسلامية مزخرفة بالذهب والفضة وكذلك مسجد رسول الله فى المدينة المنورة وبيت الله الحرام فى مكة المكرمة الذى يكسى فى كل عام بحلة ذهبية جديدة يصرف فيها الملايين، فليس ذلك منحصرا بالشيعة. قلت: إن علماء السعودية يقولون: إن التمسح بالقبور ودعوة الصالحين والتبرك بهم، شرك بالله، فما هو رأيكم؟ أجاب السيد محمد باقر الصدر: إذا كان التمسح بالقبور ودعوة أصحابها بنية أنهم يضرون وينفعون، فهذا [صفحه ۶۸] شرك، لا شك فيه: وإنما المسلمون موحدون ويعلمون أن الله وحده هو الضار والنافع وإنما يدعون الأولياء والأئمة (عليهم السلام) ليكونوا وسيلتهم إليه سبحانه وهذا ليس بشرك، والمسلمون سنة وشيعة متفقون على ذلك من زمن الرسول إلى هذا اليوم، عدا الوهابية وهم علماء السعودية الذين ذكرت والذين خالفوا إجماع المسلمين بمذهبهم الجديد الذى ظهر فى هذا القرن، وقد فتنوا المسلمين بهذا الاعتقاد وكفروهم وأباحوا دماءهم، فهم يضربون الشيوخ من حجاج بيت الله الحرام لمجرد قول أحدهم: السلام عليك يا رسول الله، ولا يتركون أحدا يتمسح على ضريحه الطاهر، وقد كان لهم مع علمائنا مناظرات، ولكنهم أصروا على العناد واستكبروا استكبارا. فإن السيد شرف الدين من علماء الشيعة لما حج بيت الله الحرام فى زمن عبد العزيز آل سعود، كان من جملة العلماء المدعوين إلى قصر الملك لتهنئته بعيد الأضحى كما جرت العادة هناك ولما وصل الدور إليه وصافح الملك قدم إليه هدية وكانت مصحفا ملفوفا فى جلد، فأخذه الملك وقبله ووضعه على جبهته تعظيما له وتشريفا، فقال له السيد شرف الدين عندئذ: أيها الملك لماذا تقبل الجلد وتعظمه وهو جلد ماعز؟ أجاب الملك، أنا قصدت القرآن الكريم الذى بداخله ولم أقصد تعظيم الجلد! فقال السيد شرف الدين عند ذلك: أحسنت أيها الملك، فكذلك نفعل نحن عندما نقبل شباك الحجرة النبوية أو بابها فنحن نعلم أنه حديد لا يضر ولا ينفع، ولكننا نقصد ما وراء الحديد وما وراء الأخشاب نحن نقصد بذلك تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله، كما قصدت أنت القرآن بتقبيلك جلد الماعز الذى يغلفه. فكبر الحاضرون إعجابا له وقالوا: صدقت، واضطر الملك وقتها إلى السماح للحجاج أن يتبركوا بآثار الرسول حتى جاء الذى بعده فعاد إلى القرار الأول – فالقضية ليست خوفهم أن يشرك الناس بالله، بقدر ما هى قضية سياسية قامت على مخالفة المسلمين وقتلهم لتدعيم ملكهم وسلطتهم على المسلمين والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوه فى أمة محمد. وسألته عن الطرق الصوفية فأجابنى بإيجاز: بأن فيها ما هو إيجابى وفيها ما [صفحه ۶۹] هو سلبى، فالإيجابى منها تربية النفس وحملها على شظف العيش والزهد فى ملذات الدنيا الفانية، والسمو بها إلى عالم الأرواح الزكية، أما السلبى منها، فهو الانزواء والهروب من واقع الحياة وحصر ذكر الله فى الأعداد اللفظية وغير ذلك، والإسلام – كما هو معلوم – يقر الإيجابيات ويطرح السلبيات ويحق لنا أن نقول بأن مبادئ الإسلام وتعاليمه كلها إيجابية. [صفحه ۷۱]

الشك والحيرة

كانت أجوبة السيد محمد باقر الصدر، واضحة ومقنعة ولكن أنى لها أن تغوص فى أعماق واحد مثلى قضى خمسة وعشرين عاما من

عمره على مبدأ تقديس الصحابة واحترامهم وخصوصا الخلفا الراشدين الذين أمرنا رسول الله بالتمسك بسنتهم والسير على هديهم، وعلى رأس هؤلاء سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق، وإنى لم أسمع لهما ذكرا منذ قدمت العراق، وإنما سمعت أسماء أخرى غريبة عنى أجهلها تماما، وأئمة بعدد اثنى عشر إماما، وادعاء بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نص على الإمام على بالخلافة قبل وفاته، كيف لى أن أصدق ذلك. أى أن يتفق المسلمون وهم الصحابة الكرام خير البشر بعد رسول الله ويتصافقوا ضد الإمام على كرم الله وجهه، وقد علمونا منذ نعومة أظافرنا بأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يحترمون الإمام عليا ويعرفون حقه فهو زوج فاطمة الزهراء وأبو الحسن والحسين وباب مدينة العلم، كما يعرف سيدنا على حق أبى بكر الصديق الذى أسلم قبل الناس جميعا وصاحب رسول الله فى الغار ذكره الله تعالى فى القرآن، وقد ولاه رسول الله إمامة الصلاة فى مرضه وقد قال صلى الله عليه وآله: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكل ذلك اختاره المسلمون خليفة لهم، كما يعرف الإمام على حق سيدنا عمر الذى أعز الله به الإسلام وسماه رسول الله بالفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل كما يعرف حق سيدنا عثمان [صفحه ۷۲] الذى استحت منه ملائكة الرحمن والذى جهز جيش العسرة وسماه رسول الله بذى النورين، فكيف يجهل إخواننا الشيعة كل هذا أو يتجاهلونه ويجعلون من هؤلاء أشخاصا عاديين تميل بهم الأهواء والأطماع الدنيوية عن اتباع الحق فيعصون أوامر الرسول بعد وفاته وهم الذين كانوا يتسابقون لتنفيذ أوامره فيقتلون أولادهم وآباءهم وعشيرتهم فى سبيل عزة الإسلام ونصرته، والذى يقتل أباه وولده طاعة لله ورسوله لا يمكن أن تغره أطماع دنيوية زائلة هى اعتلاء منصة الخلافة فيتجاهل أمر رسول الله ويتركه ظهريا. نعم من أجل كل هذا ما كنت لأصدق الشيعة فى كل ما يقولون رغم أنى اقتنعت بأمور كثيرة، وبقيت بين الشك والحيرة، الشك الذى أدخله علماء الشيعة فى عقلى لأن كلامهم معقول ومنطقى، والحيرة التى غمرتنى فلم أصدق أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ينزلون إلى هذا المستوى الأخلاقى فيصبحون بشرا عاديين مثلنا، لم تصقلهم أنوار الرسالة ولم يهذبهم الهدى المحمدى؟ يا إلهى كيف يكون ذلك؟ أيمكن أن يكون الصحابة على هذا المستوى الذى يقول به الشيعة؟ والمهم هو أن هذا الشك وهذه الحيرة هما بداية الوهن وبداية الاعتراف بأن هناك أمورا مستورة لا بد من كشفها للوصول إلى الحقيقة. جاء صديقى منعم وسافرنا إلى كربلاء، وهناك عشت محنة سيدنا الحسين كما يعيشها شيعته وعلمت وقتئذ بأن سيدنا الحسين لم يمت، فالناس يتزاحمون ويتراصون حول ضريحه كالفراشات ويبكون بحرقة ولهفة لم أشهد لهما مثيلا، فكأن الحسين استشهد الآن، وسمعت الخطباء هناك يثيرون شعور الناس بسردهم لحادثة كربلا فى نواح ونحيب، ولا يكاد السامع لهم أن يمسك نفسه ويتماسك حتى ينهار، فقد بكيت وبكيت وأطلقت لنفسى عنانها وكأنها كانت مكبوتة، وأحسست براحة نفسية كبيرة ما كنت أعرفها قبل ذلك اليوم، وكأنى كنت فى صفوف أعداء الحسين وانقلبت فجأة إلى أصحابه وأتباعه الذين يفدونه بأرواحهم، وكان الخطيب يستعرض قصة الحر وهو أحد القادة المكلفين بقتال الحسين، ولكنه وقف فى المعركة يرتعش كالسعفة ولما سأله بعض أصحابه: أخائف أنت من الموت أجابه الحر، لا ـ والله ولكننى أخير نفسى بين الجنة والنار ثم [صفحه ۷۳] همز جواده وانطلق إلى الحسين قائلا: هل من توبة يا بن رسول الله، ولم أتمالك عند سماع هذا أن سقطت على الأرض باكيا وكأنى أمثل دور الحر وأطلب من الحسين: هل من توبة يا ابن رسول الله، سامحنى يا ابن رسول الله، وكان صوت الخطيب مؤثرا، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء والنحيب عند ذلك سمع صديقى صياحى وانكب على معانقا، باكيا وضمنى إلى صدره كما تضم الأم ولدها وهو يردد يا حسين، يا حسين، كانت دقائق ولحظات عرفت فيها البكاء الحقيقى وأحسست وكان دموعى غسلت قلبى وكل جسدى من الداخل وفهمت وقتها حديث الرسول: (لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا). بقيت كامل اليوم مقبوض النفس وقد حاول صديقى تسليتى وتعزيتى وقدم إلى بعض المرطبات ولكن شهيتى انقطعت تماما، وبقيت أسأله أن يعيد على قصة مقتل سيدنا الحسين، لأنى ما كنت أعرف منها قليلا أو كثيرا غاية ما هناك أن شيوخنا إذا حدثونا عن ذلك يقولون أن المنافقين أعداء الإسلام الذين قتلوا سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا على هم الذين قتلوا سيدنا الحسين، ولا نعرف غير هذا الاقتضاب بل إننا نحتفل بيوم عاشوراء على أنه من الأعياد الإسلامية وتخرج فيه زكاة الأموال وتطبخ فيه شتى المأكولات وأنواع الأطعمة الشهية، ويطوف الصبيان على الكبار ليعطوهم

بعض النقود لشراء الحلويات والألعاب. صحيح أن هناک بعض التقاليد والعادات فی بعض القرى منها أنهم يشعلون النار، ولا يعملون فی ذلک اليوم ولا يتزوجون ولا يفرحون، ولکن نسميها عادات وتقاليد بدون ذکر أی تفسير لها، ويروی علماؤنا فی ذلک أحاديث عن فضائل يوم عاشوراء وما فيه من برکات ورحمات أنه أمر عجيب!. زرنا بعد ذلک ضريح العباس أخی الحسين، ولم أکن أعرف من هو وقد روی لی صديقی قصة بطولته وشجاعته، کما التقينا بالعديد من العلماء الأفاضل الذين لا أتذکر أسماءهم بالتفصيل سوى بعض الألقاب، کبحر العلوم والسيد الحکيم وکاشف الغطاء وآل ياسين والطباطبائی والفيروزآبادی وأسد حيدر وغيرهم ممن تشرفت بمقابلتهم. [صفحه ۷۴] والحق يقال إنهم علماء أتقياء، تعلوهم هيبة ووقار، والشيعة يحترمونهم کثيرا ويؤدون إليهم خمس أموالهم، والتی بها يديرون شؤون الحوزات العلمية ويؤسسون المدارس والمطابع وينفقون على طلاب العلم الوافدين من کل البلاد الإسلامية، إنهم مستقلون ولا ـ يرتبطون بالحکام من قريب أو من بعيد کما هو شأن علمائنا الذين لا يفتون ولا يتکلمون إلا برأی السلطة التی تضمن معاشهم، وتعزل من تشاء منهم وتنصب من تشاء. إنه عالم جديد بالنسبة إلی اکتشفته، أو کشفه الله لی وقد أنست به بعد ما کنت أنفر منه وانسجمت معه بعد ما کنت أعاديه، وقد أفادنی هذا العالم أفکارا جديدة وبعث فی حب الاطلاع والبحث والدراسة حتى أدرک الحقيقة المنشودة التی طالما راودتنی عندما قرأت الحديث الشريف الذی قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: (افترقت بنو إسرائيل إلی إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلی اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتی إلی ثلاثة وسبعين فرقة کلها فی النار إلا فرقة واحدة). فلا کلام لنا مع الأديان المتعددة التی يدعی کل منها أنه هو الحق وغيره الباطل، ولکن أعجب واندهش وأحتار عند قراءة هذا الحديث، وليس عجبی واندهاشی وحيرتی للحديث نفسه ولکن للمسلمين الذی يقرؤون هذا الحديث ويرددونه فی خطبهم ويمرون عليه مر الکرام بدون تحليل، ولا بحث فی مدلوله لکی يتبينوا الفرقة الناجية من الفرق الضالة. والغريب أن کل فرقة تدعی أنها هی وحدها الناجية وقد جاء فی ذيل الحديث: (قالوا من هم يا رسول الله؟ قال من هم على ما أنا عليه أنا وأصحابی) فهل هناک فرقة إلا وهی متمسکة بالکتاب والسنة، وهل هناک فرقة إسلامية تدعی غير هذا؟ فلو سئل الإمام مالک أو أبو حنيفة أو الإمام الشافعی أو أحمد بن حنبل فهل يدعی أی واحد منهم إلا التمسک بالقرآن والسنة الصحيحة؟. فهذه المذاهب السنية وإذا أضفنا إليها الفرق الشيعية التی کنت أعتقد [صفحه ۷۵] بفسادها وانحرافها، فها هی الأخرى تدعی أيضا أنها متمسکة بالقرآن والسنة الصحيحة المنقولة عن أهل البيت الطاهرين، وأهل البيت أدرى بما فيه کما يقولون. فهل يمکن أن يکونوا کلهم على حق کما يدعون؟ وهذا غير ممکن لأن الحديث الشريف يفيد نقيض ذلک، اللهم إلا إذا کان الحديث موضوعا، مکذوبا، وهذا لا سبيل إليه لأن الحديث متواتر عند السنة والشيعة، أم أن الحديث لا معنى له ولا مدلول؟ وحاشی لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول شيئا لا معنى له ولا مدلول وهو الذی لا ـ ينطق عن الهوى وکل أحاديثه حکمة وعبر. إذا لم يبق أمامنا إلا الاعتراف بأن هناک فرقة واحدة على الحق وما بقی فهو باطل، فالحديث يبعث على الحيرة کما يبعث على البحث والتنقيب لمن يريد لنفسه النجاة. ومن أجل هذا داخلنی الشک والحيرة بعد لقائی بالشيعة فمن يدری لعلهم يقولون حقا وينطقون صدقا! ولماذا لا أبحث ولا أنقب. وقد کلفنی الإسلام بقرآنه وسنته أن أبحث وأقارن وأتبين قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) [۱۷] وقال أيضا: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئک الذين هداهم الله وأولئک هم أولو الألباب) [۱۸] . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ابحث عن دينک حتى يقال عنک مجنون) فالبحث والمقارنة واجب شرعی على کل مکلف. بهذا القرار وبهذه العزيمة الصادقة واعدت نفسی وأصدقائی من الشيعة فی العراق وأنا أودعهم معانقا ومتأسفا لفراقهم فقد أحببتهم وأحبونی، وقد ترکت أحباء أعزاء مخلصين ضحوا بأوقاتهم من أجلی لا لشئ کما قالوا لا خوفا ولا طمعا، وإنما ابتغاء مرضاة الله سبحانه فقد ورد فی الحديث الشريف (لأن يهدی [صفحه ۷۶] الله بک رجلا واحدا خير لک مما طلعت عليه الشمس). وغادرت العراق بعد قضاء عشرين يوما فی ربوع الأئمة وشيعتهم، مرت کأنها حلم لذيذ يتمنى النائم أن لا ـ يستيقظ حتى يستوفيه، غادرت العراق متأسفا على قصر المدة، متأسفا على فراق الأفئدة التی أهوى إليها والقلوب التی تنبض بمحبة أهل البيت وتوجهت للحجاز قاصدا بيت الله الحرام وقبر سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

[صفحه ۷۷]

السفر إلى الحجاز

وصلت إلى جدة والتقيت صديقى البشير الذى فرح بقدومى وأنزلنى فى بيته، وأكرمنى غاية الاكرام، وكان يقضى أوقات فراغه معى فى النزهة والمزارات بسيارته، وذهبنا للعمرة معا وعشنا أياما كلها عبادة وتقوى، واعتذرت له عن تأخرى لبقائى فى العراق وحكيت له عن اكتشافى الجديد أو الفتح الجديد، وكان متفتحا ومطلعا فقال: فعلا أنا أسمع أن فيهم بعض العلماء الكبار وعندهم ما يقولون، ولكن عندهم فرقا كثيرة كافرة منحرفة يخلقون لنا مشاكل متعددة فى كل موسم للحج. سألته ما هى هذه المشاكل التى يخلقونها؟. أجاب: إنهم يصلون حول القبور، يدخلون البقيع جماعات فيبكون وينوحون ويحملون فى جيوبهم قطعا من الحجارة يسجدون عليها، وإذا ذهبوا إلى قبر سيدنا الحمزة فى أحد فهناك يقيمون جنازة بلطم وعويل وكان الحمزة مات فى ذلك الحين، ومن أجل كل ذلك منعتهم الحكومة السعودية من الدخول إلى المزارات. ابتسمت، وقلت له: ألهذا تحكم عليهم بأنهم منحرفون عن الإسلام؟. قال: هذا وغيره، أنهم يأتون لزيارة النبى ولكنهم فى نفس الوقت يقفون [صفحه ۷۸] على قبر أبى بكر وعمر ويسبونهما ويلعنونهما ومنهم من يلقى على قبر أبى بكر وقبر عمر القذارات والنجاسات!. وذكرنى هذا القول بالرواية التى سمعتها من والدى غداة رجع من الحج ولكنه قال بأنهم يلقون القذارات على قبر النبى، ولا شك بأن والدى لم يشاهد ذلك بعينيه لأنه قال: شاهدنا جنودا من الجيش السعودى يضربون بعض الحجاج بالعصى ولما استنكرنا عليهم إهانتهم لحجاج بيت الله الحرام: أجابونا بأن هؤلاء ليسوا من المسلمين فهم من الشيعة جاؤوا بالقذارات ليلقوها على قبر النبى، قال والدى: عند ذلك لعناهم وبصقنا عليهم. وها أنا الآن أسمع من صديقى السعودى المولود فى المدينة المنورة بأنهم يأتون لزيارة قبر النبى ولكنهم يلقون النجاسات على قبر أبى بكر وعمر، وشككت فى صحة الروايتين، لأنى حججت ورأيت أن الحجرة المباركة التى يوجد فيها ضريح النبى وأبى بكر وعمر مغلقة ولا يمكن لأى شخص أن يقترب منها للتمسح على بابها أو شباكها، فضلا على أن يلقى فيها أشياء، أولا، لعدم وجود فجوات وثانيا لوجود حراسة مشددة من الجنود الغلاظ الذين يتداولون على الرقابة والحراسة أمام كل باب وفى أيديهم سياط يضربون بها كل من يقترب أو يحاول أن ينظر داخل الحجرة، والغالب على الظن أن بعض الجنود من السعودية وهم يكفرون الشيعة، رماهم بهذه التهمة ليبرر ضربه لهم، وحتى يستفز المسلمين لمقاتلتهم أو على الأقل ليسكتوا على إهانتهم، ويروجوا إذا رجعوا إلى بلدانهم أن الشيعة يبغضون رسول الله ويلقون على قبره النجاسات، وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد. وهذا نظير ما حكاه أحد الفضلاء ممن أثق بهم إذ قال: كنا نطوف بالبيت فإذا بشاب (أصابه مغص من شدة الزحام فتقيأ)، وضربه الجنود الذين كانوا يحرسون الحجر الأسود وأخرجوه وهو فى حالة يرثى لها واتهموه بأنه جاء بالنجاسة لتوسيخ الكعبة وشهدوا عليه وأعدم فى نفس اليوم. وجالت بخاطرى هذه المسرحيات وبقيت أفكر برهة فى تعليل صديقى [صفحه ۷۹] السعودى لتكفير هؤلاء الشيعة، فلم أسمع غير أنهم يبكون ويلطمون ويسجدون على الحجر ويصلون حول القبور، وتساءلت أفى هذا دليل على تكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؟ ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟. وما أردت معاندة صديقى والدخول معه فى جدال لا طائل من ورائه فاقتصرت على القول: هدانا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم ولعن الله أعداء الدين الذين يكيدون للإسلام والمسلمين. وكنت كلما طفت بالبيت العتيق خلال العمرة وفى كل زيارة لمكة المكرمة، ولم يكن يطوف بها إلا نفر قليل من المعتمرين، صليت وسألت الله سبحانه من كل جوارحى أن يفتح بصيرتى ويهدينى إلى الحقيقة. وقفت على مقام إبراهيم (ع) واستعرضت الآية الكريمة (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) [۱۹] صدق الله العظيم. وبدأت أناجى سيدنا إبراهيم أو أبانا إبراهيم كما سماه القرآن: - يا أبتاه، يا من سميتنا المسلمين، ها قد

اختلف أبناؤک من بعدک فأصبحوا يهودا ونصارى ومسلمين، واختلف اليهود فيما بينهم إلى إحدى وسبعين فرقة واختلف النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، واختلف المسلمون إلى ثلاث وسبعين فرقة وكلهم فى الضلالة حسبما أخبر بذلك ابنك محمد وفرقة واحدة بقيت على عهدک يا أبتاه!. أهى سنة الله فى خلقه كما يقول القدرية، فالله سبحانه هو الذى كتب على كل نفس أن تكون يهودية أو نصرانية أو مسلمة، أو ملحدة، أو مشركة، أم أنه [صفحه ۸۰] حب الدنيا والابتعاد عن تعاليمه سبحانه، ذلک بأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، إن عقلى لا ـ يطاوعنى بتصديق أن القضاء والقدر هو الذى حتم مصير الإنسان، بل أميل وأكاد أجزم بأن الله سبحانه خلقنا وهدانا وألهمنا الفجور والتقوى، وأرسل إلينا رسله ليوضحوا لنا ما أشكل علينا ويعرفوننا الحق من الباطل، ولكن الإنسان غرته الحياة الدنيا وزينتها، الإنسان بأنانيته وكبريائه، بجهله وفضوله، بعناده ولجاجته، بظلمه وطغيانه مال عن الحق واتبع الشيطان وابتعد عن الرحمن فورد غير مورده، وأكل غير مأكله، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلک أحسن تعبير وأوجزه بقوله تعالى: (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) [۲۰] . يا أبانا إبراهيم، لا لوم على اليهود والنصارى الذين عاندوا الحق بغيا بينهم لما جاءتهم البينة، فها هى الأمة التى أنقذها الله بولدک محمد وأخرجها من الظلمات إلى النور وجعلها خير أمة أخرجت للناس، فهى الأخرى اختلفت وتفرقت وكفر بعضها بعضا، وقد حذرهم رسول الله ونبههم إلى ذلک وضيق عليهم حتى قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث) فما بال هذه الأمة قد انقسمت وافترقت وأصبحت دويلات يعادى بعضها البعض ويحارب بعضها البعض ويكفر بعضها البعض وحتى لا ـ يعرف بعضها البعض الآخر، فيهجره طيلة حياته، ما لهذه الأمة يا أبانا إبراهيم بعد ما كانت خير الأمم وقد ملكت الشرق والغرب وأوصلت للناس الهداية والعلوم والمعرفة والحضارة، إذا بها اليوم أصبحت أقل الأمم وأذلها فأراضيهم مغتصبة وشعوبهم مشردة ومسجدهم الأقصى تحتله عصابة من الصهاينة ولا يقدرون على تحريره، وإذا زرت بلدانهم فإنک لا ترى إلا الفقر المدقع والجوع القاتل والأراضى القاحلة، والأمراض الفتاكة والأخلاق السيئة، والتخلف الفكرى والتقنى، والظلم والاضطهاد، والأوساخ والحشرات، ويكفيک فقط أن تقارن بيوت الراحة (المراحيض) العمومية كيف هى فى أوروبا وكيف هى عندنا، فإذا دخل المسافر إلى المراحيض [صفحه ۸۱] فى أوروبا بأسرها وجدها نظيفة تلمع كالبلور وفيها روائح طيبة بينما لا يطيق المسافر إلى البلاد الإسلامية الدخول إلى المراحيض لعفونتها ونجاستها ونتونتها ونحن الذين علمنا الإسلام (إن النظافة من الإيمان والوسخ من الشيطان)، فهل تحول الإيمان إلى أوروبا وسكن الشيطان عندنا؟ لماذا أصبح المسلمون يخافون من إظهار عقيدتهم حتى فى بلدانهم، ولا يتحكم المسلم حتى فى وجهه فلا ـ يتمكن من إعفاء لحيته ولا ـ من لبسه الزى الإسلامى بينما يتجاهر الفاسقون بشرب الخمر والزنا وهتک الأعراض ولا يقدر المسلم دفعهم بل ولا حتى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وقد بلغنى أن فى بعض البلاد الإسلامية مثل مصر والمغرب من يبعث الآباء بناتهم للبغاء من شده الفقر والبؤس والاحتياج فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. يا إلهى لماذا ابتعدت عن هذه الأمة وتركتها تتخبط فى الظلمات، لا، لا، أستغفرک يا إلهى وأتوب إليک، فهى التى ابتعدت عنک عن ذكرک، واختارت طريق الشيطان، وأنت جلت حكمتک، وتعالت قدرتک قلت، وقولک الحق: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) [۲۱] وقلت أيضا: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) [۲۲] . ولا شک أن ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من الانحطاط والتخلف والذلة والمسكنة لدليل قاطع على بعدها عن الصراط المستقيم، ولا شک أن القلة القليلة أو الفرقة الواحدة من بين ثلاثة وسبعين، لا تؤثر فى مسيرة أمة بأكملها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم). ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ربنا لا تزغ قلوبنا [صفحه ۸۲] بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنک رحمة إنک أنت الوهاب، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. سافرت إلى المدينة المنورة محملا برسالة من صديقى بشير إلى أحد أقربائه لكى أقيم عنده مدة بقائى هناک، وقد كلمه من قبل بالهاتف، واستقبلنى هذا الأخير ورحب بى وأنزلنى فى بيته وتوجهت فور وصولى إلى زيارة رسول الله، فاغتسلت وتطيبت، ولبست أحسن ثيابى وأطهرها، وكان الزوار قليلين

بالنسبة إلى موسم الحج فتمكنت من الوقوف أمام قبر رسول الله وأبى بكر وعمر، ولم أكن أتمكن من ذلك فى موسم الحج لكثرة الازدحام، وحاولت عبثا أن أمس أحد الأبواب للتبرك، فانتهرنى الحرس الواقف هناك، وكان على كل باب حرس يحرسه، ولما أطلت الوقوف للدعاء وإبلاغ السلام الذى حملنى إياه أصدقائى، أمرنى الحراس بالانصراف، وحاولت أن أتكلم مع واحد منهم ولكن دون جدوى. ورجعت إلى الروضة المطهرة حيث جلست أقرأ ما تيسر من القرآن، وأحسن الترتيل وأعيده مرات لأنى تخيلت وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله يستمع إلى، وقلت فى نفسى أيمكن أن يكون الرسول ميتا كسائر الأموات، فلماذا نقول فى صلاتنا، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته بصفة المخاطب، وإذا كان المسلمون يعتقدون بأن سيدنا الخضر عليه السلام لم يمت ويرد السلام على كل من يسلم عليه بل وأن مشايخ الطرق الصوفية يعتقدون جزما بأن شيخهم أحمد التيجانى أو عبد القادر الجيلانى يأتون إليهم جهارا ويقظة لا مناما، فلماذا نشح على رسول الله بمثل هذه المكرمة وهو أفضل الخلق على الاطلاق، ولكن يخفف على نفسى أن المسلمين لا يشحون بذلك على رسول الله، إلا الوهابية الذين بدأت أنفر منهم لهذا ولعدة أسباب أخرى منها الغلظة التى شاهدتها فيهم والشدة على المؤمنين الذين يخالفونهم فى معتقداتهم. زرت البقيع وكنت واقفا أترحم على أرواح أهل البيت، وكان بالقرب منى شيخ طاعن فى السن يبكى وعرفت من بكائه أنه شيعى، واستقبل القبلة وبدأ يصلى وإذا بالجندى يأتى إليه بسرعة وكأنه كان يراقب تحركاته وركله بحذائه ركلة وهو فى حالة سجود فقلبه على ظهره وبقى [صفحه ۸۳] المسكين فاقد الوعى بضع دقائق وانهال عليه الجندى ضربا وسبا وشتما، ورق قلبى لذلك الشيخ وظننت أنه مات ودفعنى فضولى وأخذتنى الحمية وقلت للجندى: حرام عليك لماذا تضربه وهو يصلى؟ فانتهرنى قائلا: أسكت أنت ولا تتدخل حتى لا أصنع بك مثله. ولما رأيت فى عينيه الشر تجنبته وأنا ساخط على نفسى العاجزة عن نصرة المظلوم، وعلى السعوديين الذين يفعلون بالناس ما بدا لهم بدون رادع ولا وازع ولا من ينكر عليهم، وكان بعض الزائرين حاضرا فمنهم من حوقل [۲۳] ومنهم من قال: إنه يستحق ذلك لأنه يصلى حول القبور وهو محرم، فلم أتمالك وانفجرت على هذا المتكلم قائلا: من قال لك أن الصلاة حول القبور حرام؟ أجابنى: قد نهى رسول الله عن ذلك. فقلت بدون وعى: تكذبون على رسول الله، وخشيت أن يتألب على الحاضرون أو ينادوا الجندى فيفتك بى، فتلطفت قائلا: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن ذلك فلماذا يخالف نهيه الملايين من الحجاج والزوار ويرتكبون حراما لأنهم يصلون حول قبر النبى وقبر أبى بكر وقبر عمر فى المسجد النبوى الشريف، وفى مساجد المسلمين فى كل العالم الإسلامى، وعلى افتراض أن الصلاة حول القبور حرام، أفبهذه الغلظة والشدة نعالجها؟ أم باللين واللطف، واسمحوا لى أن أروى لكم قصة ذلك الأعرابى الذى بال فى مسجد رسول الله بحضرته وبحضرة أصحابه بدون حياء ولا خجل، ولما قام إليه بعض الصحابة شاهرين سيوفهم ليقتلوه، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعهم وقال: (دعوه ولا تزرموه وهريقوا على بوله دلوا من الماء، إنما بعثتم لتيسروا لا لتعسروا، لتبشروا لا لتنفروا) وما كان من الصحابة إلا أن امتثلوا أمره، ونادى رسول الله الأعرابى وأجلسه إلى جانبه ورحب به ولاطفه وأفهمه أن ذلك المكان هو بيت الله ولا يمكن تنجيسه فأسلم الأعرابى ولم ير بعد ذلك إلا وهو آت المسجد فى أحسن ثيابه وأطهرها، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله: (ولو كنت فظا [صفحه ۸۴] غليظ القلب لانفضوا من حولك) [۲۴] . وتأثر بعض الحاضرين عند سماع القصة فاختلى بى أحدهم إلى جانب وسألنى: من أين أنت: قلت من تونس: فسلم على وقال: يا أخى بالله عليك أن تحفظ نفسك ولا تتكلم مثل هذا هنا أبدا. أنصحك لوجه الله. وازددت بغضا وحنقا على هؤلاء الذين يدعون أنهم حماة الحرمين ويعاملون ضيوف الرحمن بهذه القسوة، ولا يقدر أحد أن يبدى رأيه أو يروى أحاديث لا تتفق وما يروونه، أو يعتقد غير ما يعتقدونه. رجعت إلى بيت الصديق الجديد الذى لم أعرف اسمه وقد جاءنى بالعشاء وجلس مقابلى وقبل أن نبدأ فى الأكل سألنى أين ذهبت، ورويت له قصتى من أولها إلى آخرها وقلت فى معرض كلامى: يا أخى أنا بصراحة بدأت أنفر من الوهابية وأميل إلى الشيعة، فتغير وجهه وقال لى: إياك أن تتكلم مثل هذا الكلام م رة أخرى! وغادرنى ولم يأكل معى، وانتظرته طويلا حتى غلبنى النوم، وأفقت باكرا على أذان المسجد النبوى فرأيت أن الاكل لا يزال فى مكانه كما تركته وعلمت بأن مضيفى لم يرجع، وتشككت فى أمره وخشيت أن يكون من المخابرات،

فنهضت مسرعا وغادرت البيت بدون رجعة وقضيت كامل اليوم فى الحرم النبوى أزور وأصلى وأخرج لقضاء الحاجة والوضوء وبعد صلاة العصر سمعت أحد الخطباء يلقى درسا وسط جماعة من المصلين، واتجهت وعلمت من بعض الجالسين أنه قاضى المدينة، واستمعت إليه وهو يفسر بعض آيات من الذكر الحكيم، وبعد ما أتم، درسه وهم بالخروج استوقفته وسألته قائلا: سيدى هل لك أن تعطينى مدلول الآية من قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [۲۵] . فمن هم أهل البيت المقصودون بهذه الآية؟ [صفحه ۸۵] أجابنى على الفور: هم نساء النبى وقد بدأت الآية بذكرهن (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء أن اتقيتن). قلت له: إن علماء الشيعة يقولون بأنها خاصة بعلى وفاطمة والحسن والحسين، وقد اعترضت عليهم طبعا وقلت بأن بداية الآية تقول: (يا نساء النبى)، فأجابونى لما كان الكلام عليهن جاءت الصيغة كلها بنون النسوة، فقال تعالى: لستن، إن اتقيتن، فلا تخضعن، وقلن، وقرن فى بيوتكن، ولا تبرجن، وأقمن الصلاة، وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله، ولما كان هذا المقطع من الآية خاضعا بأهل البيت تغيرت الصيغة فقال: ليذهب عنكم، ويطهركم، فنظر إلى رافعا نظارته وقال: إياك وهذه الأفكار المسمومة، إن الشيعة يؤولون كلام الله على حسب أهوائهم ولهم فى على وذريته آيات لا نعرفها وعندهم قرآن خاص يسمونه مصحف فاطمة، فأنا أحذرك أن يخدعوك. قلت: لا تخف يا سيدى فأنا على حذر وأعرف عنهم الكثير ولكنى أردت أن أتحقق، قال: من أين أنت، قلت من تونس، قال فما اسمك؟ قلت: - التيجانى فضحك مفتخرا، وقال هل تدرى من هو أحمد التيجانى؟ قلت هو شيخ الطريقة، قال وهو عميل للاستعمار الفرنسى، وقد تركز الاستعمار الفرنسى فى الجزائر وتونس بإعانته، وإذا زرت باريس فاذهب للمكتبة القومية واقرأ بنفسك القاموس الفرنسى فى باب (أ) فسترى أن فرنسا أعطت وسام الشرف لأحمد التيجانى الذى قدم لها خدمات لا تقاس فتعجبت من قوله وشكرته وودعته وانصرفت. بقيت فى المدينة أسبوعا كاملا حيث صليت أربعين صلاة وزرت المزارات كلها، وكنت دقيق الملاحظة خلال إقامتى هناك فلم أزدد من الوهابية إلا بعدا ونفورا وارتحلت من المدينة المنورة إلى الأردن حيث التقيت أصدقاء هناك كنت تعرفت عليهم فى ملتقى الحج الذى أشرت إليه سابقا. وبقيت معهم ثلاثة أيام، ووجدت عندهم حقدا على الشيعة أكثر مما عندنا فى تونس فالروايات نفسها، والإشاعات ذاتها، وليس هناك واحد سألته عن [صفحه ۸۶] الدليل إلا وقال بأنه يسمع عنهم ولم أجد أحدا منهم جالس الشيعة أو قرأ كتابا للشيعة ولا حتى التقى شيعيا فى حياته. رجعت من هناك إلى سوريا وفى دمشق زرت الجامع الأموى وإلى جانبه مرقد رأس سيدنا الحسين كما زرت ضريح صلاح الدين الأيوبى والسيدة زينب ومن بيروت قطعت مباشرة إلى طرابلس ودامت الرحلة أربعة أيام فى البحر استرحت خلالها بدنيا وفكريا واستعرضت شريط الرحلة التى أوشكت على النهاية فإذا بى أستنتج ميلا واحتراما للشيعة وفى نفس الوقت بعدا ونفورا وسخطا على الوهابية التى عرفت دسائسها وحمدت الله على ما أنعم به على وما أولانى من عناية ورعاية داعيا إياه سبحانه وتعالى أن يهدينى إلى طريق الحق. ورجعت إلى أرض الوطن وكلى شوق وحنين إلى أسرتى وأهلى وأصدقائى، ووجدت الجميع بخير، وفوجئت عند دخولى إلى منزلى بكثرة الكتب التى وصلت قبلى وعرفت مصدرها. ولما فتحت تلك الكتب التى ملأت البيت ازددت حبا وتقديرا لأولئك. الذين لا يخلفون وعدهم وقد وجدت هنا أضعاف ما أهدى إلى هناك. [صفحه ۸۷]

بداية البحث

فرحت كثيرا ونظمت الكتب فى بيت خاص سميته بالمكتبة، واسترحت أياما، وتسلمت جدول أوقات العمل بمناسبة بداية السنة الدراسية الجديدة فكان عملى ثلاثة أيام متوالية من التدريس وأربعة أيام متوالية من الراحة فى الأسبوع. وبدأت أقرأ الكتب فقرأت كتاب عقائد الإمامية، وأصل الشيعة وأصولها وارتاح ضميرى لتلك العقائد وتلك الأفكار التى يرتئيها الشيعة، ثم قرأت كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوى، وما أن قرأت منه بضع صفحات حتى استهوانى الكتاب وشدنى إليه شدا فكنت لا أتركه إلا غضبا وكنت أحمله فى بعض الأحيان إلى المعهد، وأدهشنى الكتاب بما حواه من صراحة العالم الشيعى وحله لما أشكل على العالم

السنى شيخ الأزهر، وجدت فى الكتاب بغيتى لأنه ليس كالكتب التى يكتب فيها المؤلف ما يشاء بدون معارض ولا مناقش فالمراجعات هو حوارين عالمين من مذهبين مختلفين يحاسب كل منهما صاحبه على كل شاردة وواردة، على كل صغيرة وكبيرة متوخيين فى ذلك المرجعين الأساسيين لكافة المسلمين وهما القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتفق عليها فى صحاح السنة، فكان الكتاب بحق يمثل دورى كباحث يفتش عن الحقيقة ويقبلها أينما وجدت وعلى هذا كان الكتاب مفيدا جدا وله فضل على عميم. ووقفت مبهوتا عندما كان يتكلم عن عدم امتثال الصحابة لأوامر الرسول ويسوق لذلك عدة أمثلة، ومنها حادثة رزية يوم الخميس، إذ لم أكن أتصور أن [صفحه ۸۸] سيدنا عمر بن الخطاب يعترض على أمر رسول الله ويرميه بالهجر، وظننت بادئ الأمر أن الرواية هى من كتب الشيعة، وازدادت دهشتى وحيرتى عندما رأيت العالم الشيعى ينقلها من صحيح البخارى وصحيح مسلم، وقلت فى نفسى (إن وجدت هذا فى صحيح البخارى فسيكون لى رأى). وسافرت إلى العاصمة ومنها اشتريت صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وصحيح الترمذى وموطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب الأخرى المشهورة، ولم أنتظر الرجوع إلى البيت فكنت طوال الطريق بين تونس وقفصة وأنا راكب فى حافلة النقل العمومية أتصفح كتاب البخارى وأبحث عن رزية يوم الخميس متمنيا أن لا أعثر عليها، ورغم أنفى وجدتها وقرأتها مرات عديدة فكانت كما نقلها السيد شرف الدين، وحاولت تكذيب الحادثة برمتها واستبعدت أن يقوم سيدنا عمر بذلك الدور الخطير ولكن أنى لى تكذيب ما ورد فى صحاحنا وهى صحاح أهل السنة والجماعة التى ألزمنا بها أنفسنا وشهدنا بصحتها، والشك فيها، أو تكذيب بعضها يستلزم طرحها لأنه هو الآخر يستلزم طرح كل معتقداتنا، ولو كان العالم الشيعى ينقل من كتبهم ما كنت لأصدق أبدا، وأما أن ينقل من صحاح أهل السنة التى لا مجال للطعن فيها، وقد أخذنا على أنفسنا بأنها أصح الكتب بعد كتاب الله فيصبح الأمر ملزما وإلا استلزم الشك فى هذه الصحاح وعند ذلك لا يبقى معنا من أحكام الإسلام شئ نعتمده، لأن الأحكام التى وردت فى كتاب الله جاءت مجملة غير مفصلة، ولأننا بعيدون عن عصر الرسالة وقد ورثنا أحكام ديننا أبا عن جد عن طريق هذه الصحاح، فلا يمكن بحال من الأحوال طرح هذه الكتب. وأخذت على نفسى عهدا وأنا أدخل هذا البحث الطويل العسير، أن أعتمد الأحاديث الصحيحة التى اتفق عليها السنة والشيعة، وأن أطرح الأحاديث التى انفرد بها فريق دون الآخر، وبهذه الطريقة المعتدلة، أكون قد ابتعدت عن المؤثرات العاطفية، والتعصبات المذهبية والنزعات القومية أو الوطنية، وفى الوقت نفسه أقطع طريق الشك لأصل إلى حبل اليقين وهو صراط الله المستقيم. [صفحه ۸۹]

بداية الدراسة المعمقة الصحابة عند الشيعة والسنة

اشاره

من أهم الأبحاث التى أعتبرها الحجر الأساسى فى كل البحوث التى تقود إلى الحقيقة، هو البحث فى حياة الصحابة وشؤونهم وما فعلوه وما اعتقدوه لأنهم عماد كل شئ، وعنهم أخذنا ديننا وبهم نستضئ فى الظلمات لمعرفة أحكام الله، ولقد سبق لعلماء الإسلام - لقناعتهم بذلك - البحث عنهم وعن سيرتهم. فألفوا فى ذلك كتبا عديدة أمثال: أسد الغابة فى تمييز الصحابة، وكتاب الإصابة فى معرفة الصحابة، وكتاب ميزان الاعتدال وغيرها من الكتب التى تناولت حياة الصحابة بالنقد والتحليل ولكنها من وجهة نظر أهل السنة والجماعة. وثمة إشكال يتلخص فى أن العلماء الأوائل غالبا ما كانوا يكتبون ويؤرخون بالنحو الذى يوافق آراء الحكام من الأمويين والعباسيين الذين عرفوا بعدائهم لأهل البيت النبوى، بل ولكل من يشايعهم ويتبع نهجهم، ولهذا فليس من الإنصاف الاعتماد على أقوالهم دون أقوال غيرهم من علماء المسلمين الذين اضطهدتهم تلك الحكومات وشردتهم وقتلتهم لأنهم كانوا أتباع أهل البيت وكانوا مصدر تلك الثورات ضد السلطات الغاشمة والمنحرفة. والمشكل الأساسى فى كل ذلك هو الصحابة، فهم الذين اختلفوا فى أن يكتب لهم رسول الله ذلك الكتاب الذى يعصمهم من الضلالة إلى قيام الساعة واختلافهم هذا هو الذى حرم الأمة الإسلامية من

هذه الفضيلة ورماها في [صفحه ۹۰] الضلالة حتى انقسمت وتفرقت وتنازعت وفشلت وذهبت ريحها. وهم الذين اختلفوا في الخلافة فتوزعوا بين حزب حاكم وحزب معارض وسبب ذلك تخلف الأمة وانقسامها إلى شيعة على وشيعة معاوية، وهم الذين اختلفوا في تفسير كتاب الله وأحاديث رسوله فكانت المذاهب والفرق والملل والنحل، ونشأت من ذلك المدارس الكلامية والفكرية المختلفة وبرزت فلسفات متنوعة أملتها دوافع سياسية محضة تتصل بطموحات الهيمنة على السلطة والحكم.. فالمسلمون لم ينقسموا ولم يختلفوا في شئ لولا الصحابة وكل خلاف نشأ وينشأ إنما يعود إلى اختلافهم في الصحابة. فالرب واحد والقرآن واحد والرسول واحد والقبلة واحدة وهم متفقون على ذلك وبدأ الخلاف والاختلاف في الصحابة من اليوم الأول بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في سقيفة بني ساعدة، واستمر إلى يوم الناس هذا وسيستمر إلى ما شاء الله. وقد استنتجت من خلال الحديث مع علماء الشيعة أن الصحابة في نظرهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: فالقسم الأول وهم الصحابة الأخيار الذين عرفوا رسول الله حق المعرفة وبايعوه على الموت وصاحبوه بصدق في القول وبإخلاص في العمل، ولم ينقلبوا بعده، بل ثبتوا على العهد وقد امتدحهم الله جل جلاله، في كتابه العزيز في العديد من المواقع، وقد أثنى عليهم رسول الله في العديد من المواقع أيضا، والشيعة يذكرونهم باحترام وتقديس ويترضون عليهم كما يذكرهم أهل السنة باحترام وتقديس أيضا. والقسم الثاني، وهم الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام واتبعوا رسول الله ولكنهم كانوا في بعض الأوقات لا يمتثلون لأوامره ونواهيه بل يجعلون لآرائهم [صفحه ۹۱] مجالا في مقابل النصوص الصريحة والشيعة لا يذكرونهم إلا بأفعالهم بدون احترام ولا تقديس كالصنف الأول. أما القسم الثالث من الصحابة: فهم المنافقون الذين صحبوا رسول الله للكيد له وقد أظهروا الإسلام وانطوت سرائرهم على الكفر وقد تقربوا ليكيدوا للإسلام والمسلمين عامة وقد أنزل الله فيهم سورة كاملة وذكرهم في العديد من المواقع وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وحذر منهم وعلم بعضا من أصحابه أسماءهم وعلاماتهم، وهؤلاء يتفق الشيعة والسنة على لعنهم والبراءة منهم. وهناك قسم خاص وإن كانوا من الصحابة فهم يتميزون عليهم بالقرابة وبفضائل خلقية ونفسية وخصوصيات اختصهم الله ورسوله بها لا يلحقهم فيها لاحق، وهؤلاء هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا [۲۶] وأوجب الصلاة عليهم كما أوجبها على رسوله، وأوجب لهم سهما من الخمس [۲۷] كما أوجب مودتهم على كل مسلم كأجر للرسالة المحمدية [۲۸] ، فهم أولو الأمر الذين أمر بطاعتهم [۲۹] وهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن ويعلمون المتشابه منه والمحكم [۳۰] ، وهم أهل الذكر الذين قرنهم رسول الله بالقرآن في حديث الثقلين وأوجب التمسك بهما [۳۱] ، وجعلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق [۳۲] ، والصحابة يعرفون قدر أهل البيت ويعظمونهم ويحترمونهم، والشيعة يقتدون بهم ويقدمونهم على كل الصحابة، ولهم في ذلك أدلة من النصوص الصريحة. [صفحه ۹۲] أما أهل السنة والجماعة فإنهم مع احترامهم لأهل البيت وتعظيمهم وتفضيلهم إلا أنهم لا يعترفون بهذا التقسيم للصحابة ولا يعدون المنافقين في الصحابة، بل الصحابة في نظرهم خير الخلق بعد رسول الله. وإذا كان هناك تقسيم فهو من باب فضيلة السبق للإسلام والبلاء الحسن فيه فيفضلون الخلفاء الراشدين بالدرجة الأولى ثم الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة على ما يروونه. ولذلك تراهم عندما يصلون على النبي وأهل بيته يلحقون بهم الصحابة أجمعين بدون استثناء. هذا ما أعرفه من علماء أهل السنة والجماعة، وذاك ما سمعته من علماء الشيعة في تقسيم الصحابة، وهذا ما دعاني إلى أن أجعل بحثي يبدأ بهذه الدراسة المعمقة حول الصحابة وعاهدت ربي - إن هداني - أن أتجرد من العاطفة لأكون حياديا، موضوعيا ولأسمع القول من الطرفين فأتبع أحسنه، ومرجعي في ذلك: ۱ - القاعدة المنطقية السليمة ؛ وهي أن لا أعتمد إلا ما اتفقوا عليه جميعا بشأن التفسير لكتاب الله والصحيح من السنة النبوية الشريفة. ۲ - العقل ؛ فهو أكبر نعمة من نعم الله على الإنسان ؛ إذ به كرمه وفضله على سائر مخلوقاته، ألا ترى أن الله سبحانه عندما يحتج على عباده يدعوهم للتعقل بقوله: (أفلا يعقلون، أفلا يفقهون، أفلا يتدبرون، أفلا يبصرون الخ..). وليكن إسلامي مبدئيا إيمانا بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الدين عند الله الإسلام، ولا أعتمد في ذلك على أي واحد من الصحابة مهما كانت قرابته ومهما علت منزلته فأنا لست أمويا ولا عباسيا ولا فاطميا، ولا سنيا ولا شيعيا وليست لي أي عداوة لأبي بكر

ولا لعمر ولا لعثمان [صفحه ۹۳] ولا لعلى ولا حتى لوحشى قاتل سيدنا الحمزة ما دام أنه أسلم والإسلام يجب ما قبله وقد عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله. وما دمت أقحمت نفسى فى هذا البحث بغية الوصول للحقيقة وما دمت قد تجردت من كل الأفكار المسبقة بكل إخلاص فأنا أبدأ هذا البحث على بركة الله فى مواقف الصحابة.

الصحابة فى صلح الحديبية

مجمل القصة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج فى السنة السادسة للهجرة يريد العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه فأمرهم أن يضعوا سيوفهم فى القرب، وأحرم هو وأصحابه بذى الحليفة وقلدوا الهدى ليعلم قريشا أنه إنما جاء زائرا معتمرا وليس محاربا، ولكن قريشا بكبريائها خافت أن يسمع العرب بأن محمدا دخل عنوة إلى مكة وكسر شوكتها، فبعثوا إليه بوفد يرأسه سهيل بن عمرو بن عبدود العامرى وطلبوا منه أن يرجع فى هذه المرة من حيث أتى على أن يتركوا له مكة فى العام القادم ثلاثة أيام، وقد اشترطوا عليه شروطا قاسية قبلها رسول الله لاقتضاء المصلحة التى أوحى بها إليه ربه عز وجل. ولكن بعض الصحابة لم يعجبهم هذا التصرف من النبى وعارضوه فى ذلك معارضة شديدة وجاءه عمر بن الخطاب فقال: ألست نبى الله حقا؟ قال: بلى، قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قال عمر: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى، قال عمر: أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. ثم أتى عمر بن الخطاب إلى أبى بكر فقال: يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا؟ قال: بلى، ثم سأله عمر نفس الأسئلة التى سألها رسول الله، وأجابه أبو بكر بنفس الأجوبة قائلا ـ له: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو [صفحه ۹۴] ناصره فاستمسك بغرزه، ولما فرغ رسول الله من كتاب الصلح قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم أحلقوا، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يمتثل لأمره منهم أحد دخل خباءه ثم خرج فلم يكلم أحدا منهم بشئ حتى نحر بدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه، فلما رأى أصحابه ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا [۳۳] . هذه مجمل قصة الصلح فى الحديبية وهى من الأحداث المتفق عليها عند الشيعة والسنة وقد ذكرها المؤرخون وأصحاب السير كالطبرى وابن الأثير وابن سعد وغيرهم كالبخارى ومسلم. وأنا لى هنا وقفة، فلا يمكن لى أن أقرأ مثل هذا ولا أتأثر ولا أعجب من تصرف هؤلاء الصحابة تجاه نبيهم، وهل يقبل عاقل قول القائلين بأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يمتثلون أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وينفذونها، فهذه الحادثة تقطع عليهم ما يرومون، هل يتصور عاقل بأن هذا التصرف فى مواجهة النبى هو أمر هين، أو مقبول ; أو معذور، قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [۳۴] . فهل سلم عمر بن الخطاب هنا ولم يجد فى نفسه حرجا مما قضى الرسول صلى الله عليه وآله؟! أم كان فى موقفه تردد فى ما أمر النبى؟ وخصوصا فى قوله: أولست نبى الله حقا؟ أو لست كنت تحدثنا؟ إلى آخره، وهل سلم بعد ما أجابه رسول الله بتلك الأجوبة المقنعة؟ كلا ـ لم يقتنع بجوابه وذهب يسأل أبا بكر الأسئلة نفسها، وهل سلم بعد ما أجابه ونصحه أن يلزم غرز النبى، لا أدرى إذا كان سلم بذلك، أو اقتنع بجواب النبى أو بجواب أبى بكر!! وإلا ـ لماذا تراه يقول عن [صفحه ۹۵] نفسه: (فعملت لذلك أعمالا.. ولا أدرى سبب تخلف البقية الباقية من الحاضرين بعد ذلك إذ قال لهم رسول الله: قوموا فانحروا ثم أحلقوا، فلم يستمع إلى أمره أحد منهم حتى كررها عليهم ثلاث مرات بدون جدوى. سبحان الله! أنا لا أكاد أصدق ما أقرأ، وهل يصل الأمر بالصحابة إلى هذا الحد فى التعامل مع أمر الرسول، ولو كانت هذه القصة مروية من طريق الشيعة وحدهم لعددت ما قالوا افتراء على الصحابة الكرام، ولكن القصة بلغت من الصحة والشهرة أن تناقلها كل المحدثين من أهل السنة والجماعة أيضا، وبما أننى ألزمت نفسى توثيق ما اتفقوا عليه، فلا أرانى إلا مسلما ومتحيرا: ماذا عسانى أن أقول؟ وبم أعتذر عن هؤلاء الصحابة الذين قضوا مع رسول الله قرابة عشرين عاما من البعثة إلى يوم الحديبية، وهم يشاهدون المعجزات وأنوار النبوة، والقرآن يعلمهم ليلا ـ نهارا كيف يتأدبون مع حضرة الرسول وكيف يكلموه، حتى

هـددهم الله بإحباط أعمالهم إن رفعوا أصواتهم فوق صوته. ويدفعنى إلى الاحتمال بأن عمر بن الخطاب هو الذى أثار بقيهٔ الحاضـرين ودفعهم إلى التردد والتخلف عن أمر الرسول – زيـادهٔ على اعترافه بـأنه عمـل لـذلك أعمالاـ لم يشأ ذكرهـا – مـا يردده هو فى موارد أخرى قائلا: ما زلت أصوم وأتصـدق وأصـلى وأعتق مخافهٔ كلامى الذى تكلمت به. إلى آخر ما هو مأثور عنه فى هذه القضـيهٔ [۳۵] . مما يشعرنا بأن عمر نفسه كان يدرك بعد الموقف الذى وقفه ذلك اليوم إنها قصهٔ عجيبهٔ وغريبهٔ ولكنها حقيقيهٔ..

الصحابهٔ ورزيهٔ يوم الخميس

ومجمل القصهٔ أن الصـحابهٔ كانوا مجتمعين فى بيت رسول الله قبل وفاته بثلاثهٔ أيام، فأمرهم أن يحضروا له الكتف والدواهٔ ليكتب لهم كتابا يعصـمهم من [صفحه ۹۶] الضـلالهٔ، ولكن الصـحابهٔ اختلفوا ومنهم من عصـى أمره واتهمه بالهجر، فغضب رسول الله وأخرجهم من بيته دون أن يكتب لهم شـيئا، وإليـك شـيئا من التفصـيل: قـال ابن عبـاس: يوم الخميس ومـا يوم الخميس اشـتد برسول الله وجعه، فقال: هلم أكتب لكم كتابا لا تضـلوا بعـده، فقال عمر إن النبى قـد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسـبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصـموا، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبى كتابا لا تضـلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبى، قـال لهم رسول الله صـلى الله عليه وآله، قوموا عنى، فكان ابن عباس يقول: إن الرزيـهٔ كل الرزيـهٔ ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلـك الكتـاب من اختلاـفهم [۳۶] ولغطهم، هـذه الحادثـهٔ صـحيحهٔ لا شك فيها، فقـد نقلها علماء الشيعهٔ ومحـدثوهم فى كتبهم، كما نقلها علماء السـنهٔ ومحدثوهم ومؤرخوهم، وهى ملزمهٔ لى على ما ألزمت به نفسـى ومن هنا أقف حائرا فى تفسير الموقف الـذى وقفه عمر بن الخطاب من أمر رسول الله، وأى أمر هو؟ أمر (عاصم من الضـلالهٔ لهـذه الأمـهٔ، ولا شك أن هـذا الكتاب كان فيه شئ جديـد للمسـلمين سوف يقطع عليهم كل شك). ولنترك قول الشـيعهٔ: (بأن رسول أراد أن يكتب اسم على خليفهٔ له، وتفطن عمر لذلك فمنعه). فلعلهم لا يقنعوننا بهذا الزعم الذى لا يرضـينا مبدئيا، ولكن هل نجد تفسـيرا معقولا لهذه الحادثهٔ المؤلمهٔ التى أغضـبت الرسول حتى طردهم وجعلت ابن عباس يبكى حتى يبل دمعه الحصـى ويسـميها أكبر رزيـهٔ ; أهل السـنهٔ يقولون بأن عمر أحس بشدهٔ مرض النبى فأشفق عليه وأراد أن يريحه، وهذا التعليل لا يقبله [صفحه ۹۷] بسطاء العقول فضلا عن العلماء، وقد حاولت مرارا وتكرارا التماس بعض الأعـذار لعمر ولكن واقع الحادثـهٔ يأبى على ذلك، وحتى لو أبدلت كلمهٔ يهجر (والعياذ الله) بلفظهٔ (غلبه الوجع) فسوف لن نجـد مبررا لقول عمر: (عنـدكم القرآن) (وحسـبنا كتاب الله)، أو كان هو أعلم بالقرآن من رسول الله الذى أنزل عليه، أم أن رسول الله لاـ يعى مـا يقول (حاشـاه) أم أنه أراد بـأمره ذلـك أن يبعث فيهم الاختلاـف والفرقـهٔ! (أسـتغفر الله). ثم لو كـان تعليـل أهل السـنهٔ صحيحـا، فلم يكن ذلك ليخفى على الرسول ولا يجهل حسن نيـهٔ عمر، ولشـكره رسول الله على ذلك وقربه بـدلا من أن يغضب عليه ويقـول أخرجـوا عنى. وهـل لى أن أتسـأل لمـاذا امتثلوا أمره عنـدما طردهم من الحجرهٔ النبويـهٔ، ولم يقولوا بـأنه يهجر؟ ألأـنهم نجحوا بمخططهم فى منع الرسول من الكتابـهٔ، فلاـ داعى بعـد ذلـك لبقائهم، والـدليل أنهم أكثروا اللغط والاختلاف بحضـرته صـلى الله عليه وآله، وانقسـموا إلى حزبين منهم من يقول: قربوا إلى رسول الله يكتب لكم ذلك الكتاب ومنهم من يقول ما قال عمر أى إنه (يهجر). والأمر لم يعد بتلك البساطهٔ يتعلق بشخص عمر وحده ولو كان كذلك لأسكته رسول الله وأقنعه بأنه لا ينطق عن الهوى ولا يمكن أن يغلب عليه الوجع فى هدايهٔ الأمهٔ وعدم ضـلالتها ولكن الأمر استفحل واستشرى ووجد له أنصارا كأنهم متفقون مسبقا، ولذلك أكثروا اللغط والاختلاف ونسوا أو تناسوا قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضـكم لبعض أن تحبـط أعمالكم وأنتم لا تشـعرون) [۳۷] . وفى هـذه الحادثـهٔ تعـدوا حـدود رفع الأصوات والجهر بالقول إلى رميه صلى الله عليه وآله بالهجر والهـذيان (والعياذ بالله) ثم أكثروا اللغط والاختلاف وصارت معركهٔ كلاميهٔ بحضـرته. [صـفحه ۹۸] وأكاد أعتقـد بأن الأكثريهٔ الساحقهٔ كانت على قول عمر ولذلك رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله عدم الجدوى فى كتابهٔ الكتاب لأنه علم بأنهم لم يحترموه ولم يمتثلوا لأمر الله فيه فى عـدم رفع أصواتهم بحضـرته، وإذا كانوا لأمر الله عاصـين فلن يكونوا لأمر رسوله طائعين.

واقتضت حكمة الرسول بأن لا ـ يكتب لهم ذلك الكتاب لأنه طعن فيه فى حياته، فكيف يعمل بما فيه بعد وفاته، وسيقول الطاعنون: بأنه هجر من القول ولربما سيشككون فى بعض الأحكام التى عقدها رسول الله فى مرض موته. إذ أن اعتقادهم بهجره ثابت. أستغفر الله، وأتوب إليه من هذا القول فى حضرة الرسول الأكرم، وكيف لى أن أقنع نفسى وضميرى الحر بأن عمر بن الخطاب كان عفويا فى حين أن أصحابه ومن حضروا محضره بكوا لما حصل حتى بل دمعهم الحصى وسموها رزية المسلمين. ولهذا فقد خلصت إلى أن أرفض كل التعليلات التى قدمت لتبرير ذلك، ولقد حاولت أن أنكر هذه الحادثة وأكذبها لأستريح من مأساتها، ولكن كتب الصحاح نقلتها وأثبتتها وصححتها ولم تحسن تبريرها. وأكاد أميل إلى رأى الشيعة فى تفسير هذا الحدث لأنه تعليل منطقى وله قرائن عديدة. وإنى لا زلت أذكر إجابة السيد محمد باقر الصدر عندما سألته: كيف فهم سيدنا عمر من بين الصحابة ما يريد الرسول كتابته وهو استخلاف على – على حد زعمكم –، فهذا ذكاء منه. قال السيد الصدر: لم يكن عمر وحده فهم مقصد الرسول، ولكن أكثر الحاضرين فهموا ما فهمه عمر، لأنه سبق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن قال مثل هذا إذ قال لهم إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا، وفى مرضه قال لهم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده [صفحه ۹۹] أبدا، ففهم الحاضرون ومن بينهم عمر أن رسول الله يريد أن يؤكد ما ذكره فى غدير خم كتابيا، وهو التمسك بكتاب الله وعترته، وسيد العترة هو على، فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أن يقول: عليكم بالقرآن وعلى، وقد قال مثل ذلك فى مناسبات أخرى كما ذكر لمحدثون. وكان أغلبية قريش لا يرضون بعلى لأنه أصغر القوم ولأنه حطم كبرياءهم وهشم أنوفهم وقتل أبطالهم، ولكنهم لا يجرؤون على رسول الله مثل عمر فقد كان جريئا على النحو الذى حصل فى صلح الحديبية وفى المعارضة الشديدة للنبى عندما صلى على عبد الله بن أبى، المنافق، وفى عدة مواقف أخرى سجلها التاريخ، وهذا الموقف منها، وأنت ترى أن المعارضة لكتابة الكتاب فى مرض النبى شجعت بعض الآخرين من الحاضرين على الجرأة ومن ثم الاكثار من اللغط فى حضرة الرسول صلى الله عليه وآله. إن هذه المقولة: جاءت ردا مطابقا تماما لمقصود الحديث، فمقولة: عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله مخالفة لمحتوى الحديث الذى يأمرهم بالتمسك بكتاب الله وبالعترة معا، فكأن المقصود هو: حسبنا كتاب الله فهو يكفينا، ولا حاجة لنا بالعترة. وليس هناك تفسير معقول غير هذا، – بالنسبة إلى هذه الحادثة – اللهم إلا إذا كان المراد هو القول بإطاعة الله دون إطاعة رسوله، وهذا أيضا باطل وغير معقول... وأنا إذا طرحت التعصب الأعمى والعاطفة الجامحة وحكمت العقل السليم والفكر الحر لملت إلى هذا التحليل وذلك أهون من اتهام عمر بأنه أول من رفض السنة النبوية بقوله: (حسبنا كتاب الله). وإذا كان بعض الحكام قد رفض السنة النبوية بدعوى أنها متناقضة، فإنه اتبع فى ذلك سابقة تاريخية فى حياة المسلمين. وإنى لأعجب لمن يقرأ هذه الحادثة ويمر بها وكأن شيئا لم يكن، مع أنها من أكبر الرزايا كما سماها ابن عباس، وعجبى أكبر من الذين يحاولون جهدهم [صفحه ۱۰۰] الحفاظ على كرامة صحابى وتصحيح خطئه ولو كان ذلك على حساب كرامة رسول الله وعلى حساب الإسلام ومبادئه. ولماذا نهرب من الحقيقة ونحاول طمسها عندما لا تتماشى مع أهوائنا، لماذا لا نعترف بأن الصحابة بشر مثلنا، لهم أهواء وميول ويخطئون ويصيبون. ولا يزول عجبى إلا عندما أقرأ كتاب الله وهو يروى لنا قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما لاقوه من شعوبهم فى المعاندة رغم ما يشاهدونه من معجزات.. (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب). وهكذا أصبحت أدرك خلفية موقف الشيعة من بعض الصحابة الذين يحملونهم مسؤولية الكثير من المآسى التى وقعت فى حياة المسلمين منذ رزية يوم الخميس التى حرمت الأمة من كتاب الهداية الذى أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يكتبه لهم.

الصحابة فى سرية أسامة

مجمل هذه القصة: أنه صلى الله عليه وآله، جهز جيشا لغزو الروم قبل وفاته بيومين، وأمر على هذه السرية أسامة بن زيد بن حارثة وعمره ثمانية عشر عاما، وقد عبأ صلى الله عليه وآله فى هذه السرية وجوه المهاجرين والأنصار كأبى بكر وعمر وأبى عبيدة وغيرهم

من كبار الصحابة المشهورين فطعن قوم منهم فى تأمير أسامة، وقالوا: كيف يؤمر علينا شاب لا نبات بعارضيه، وقد طعنوا من قبل فى تأمير أبيه، وقد قالوا فى ذلك وأكثروا النقد، حتى غضب صلى الله عليه وآله غضبا شديدا مما سمع من طعنهم وانتقادهم، فخرج صلى الله عليه وآله معصب الرأس محموما، يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان فى الأرض بأبى هو وأمى، من شدة ما به من لغوب، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأمير أسامة، ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة فقد طعنتم فى تأميرى أبيه من قبله، وأيم الله إنه كان خليقا [صفحه ۱۰۱] بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها..) [۳۸] . ثم جعل صلى الله عليه وآله يحضهم على التعجيل وجعل يقول: جهزوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة أرسلوا بعث أسامة، يكرر ذلك على مسامعهم وهم متثاقلون وعسكروا بالجرف وما كادوا يفعلون. إن مثل ذلك يدفعنى إلى أن أتسأل: ما هذه الجرأة على الله ورسوله؟!، وما هذا العقوق فى حق الرسول الأكرم الذى هو حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم؟ لم أكن أتصور كما لا يمكن لأحد أن يتصور تفسيرا مقبولا لهذا العصيان، وهذه الجرأة. وكالعادة، عند قراءة مثل هذه الأحداث التى تمس كرامة الصحابة من قريب أو بعيد أحاول تكذيب مثل هذه القضايا وتجاهلها، ولكن لا يمكن تكذيب ما أجمع عليه المؤرخون والمحدثون من علماء السنة والشيعة، وتجاهل ذلك. وقد عاهدت ربى أن أكون منصفا، فلا أتعصب لمذهبى ولا أقيم وزنا لغير الحق، والحق هنا مر كما يقال، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (قل الحق ولو كان على نفسك وقل الحق ولو كان مرا...) والحق فى هذه القضية: هو أن هؤلاء الصحابة الذين طعنوا فى تأمير أسامة قد خالفوا أمر ربهم وخالفوا الصريح من النصوص التى لاـ تقبل الشك ولا تقبل التأويل، وليس لهم عذر فى ذلك، إلا ما يلتمسه البعض من أعذار باردة حفاظا على كرامة الصحابة و (السلف الصالح) والعاقل الحر لا يقبل بحال من الأحوال هذه التمحلات. اللهم إلا إذا كان من الذين لا يفقهون حديثا، ولا يعقلون، أو من الذين أعمت العصبية أعينهم فلم يعودوا يفرقون بين الفرض الواجب طاعته والنهى الواجب تركه، ولقد فكرت مليا عسانى أجد عذرا لهؤلاء مقبولا، فلم يسعفنى تفكيرى بطائل، وقرأت اعتذار أهل السنة على هؤلاء بأنهم كانوا مشايخ قريش وكبراءها، ولهم [صفحه ۱۰۲] الأسبقية فى الإسلام بينما أسامة كان حدثا ولم يشارك فى المعارك المصيرية لعزة الإسلام، كمعركة بدر وأحد وحنين، ولم تكن له سابقة بل كان صغير السن عندما ولاه رسول الله إمارة السرية، وطبيعة النفوس البشرية تأبى بجبلتها إذا كانت بين كهول وشيوخ أن تنقاد إلى الأحداث وتنفر بطبعها من النزول على حكم الشبان ولذلك طعنوا فى تأميره وأرادوا منه صلى الله عليه وآله أن يستبدله بأحد من وجوه الصحابة وكبرائهم. إنه اعتذار لا يستند إلى دليل عقلى ولا شرعى ولا يمكن لأى مسلم قرأ القرآن وعرف أحكامه إلا أن يرفض مثل هذا، لأن الله عز وجل يقول: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [۳۹] (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) [۴۰] . فأى عذر بعد هذه النصوص الصريحة يقبله العاقلون وماذا عسانى أن أقول فى قوم أغضبوا رسول الله وهم يعلمون أن غضب الله فى غضبه، وذلك بعد أن رموه بالهجر وقالوا بحضرته ما قالوا وأكثروا اللغط والاختلاف وهو مريض، بأبى هو وأمى، حتى أخرجهم من حجرته، أو لم يكفهم كل هذا، وبدلا من أن يثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى الله ويستغفروه مما فعلوا ويطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم كما علمهم القرآن، عوضا عن ذلك فقد زادوا فى الطين بلة كما يقول المثل الشعبى عندنا، فطعنوا فى تأميره أسامة بعد يومين من رميه بالهجر والجرح لما يندمل، حتى أجبروه أن يخرج صلى الله عليه وآله بتلك الحالة التى وصفها المؤرخون، لاـ يقدر على المشى من شدة المرض وهو يتهادى بين رجلين، ثم يقسم بالله بأن أسامة خليق بالإمارة، ويزيدنا الرسول بأنهم هم أنفسهم الذين طعنوا فى تأميره زيد بن حارثة من قبل ليعلمنا أن هؤلاء لهم معه مواقف سابقة متعددة وسوابق شاهدة على أنهم لم يكونوا من الذين لا يجدون فى أنفسهم حرجا مما قضى ويسلمون تسليما، [صفحه ۱۰۳] بل كانوا من الذين جعلوا لأنفسهم حق النقد والمعارضة حتى ولو خالفوا بذلك أحكام الله ورسوله. ومما يدلنا على المعارضة الصريحة، أنهم رغم ما شاهدوه من غضب رسول الله ومن عقد اللواء له بيده الشريفة والأمر لهم بالإسراع والتعجيل، تثاقلوا وتباطأوا، ولم يذهبوا حتى توفى بأبى هو وأمى وفى قلبه حسرة على أمته المنكوبة التى سوف تنقلب على أعقابها وتهوى فى النار ولاـ ينجو منها إلا القليل الذى شبهه رسول الله بهمل

النعم. وإذا أردنا أن نتمعن فی هـذه القضـية فإننا سـنجد الخليفـة الثانی من أبرز عناصـرها إذ أنه هو الـذی جاء بعد وفاة رسول الله إلی الخليفـة أبی بکر وطلب منه أن يعزل أسامـة ويبـدله بغيره فقـال له أبو بکر: ثکلتـک أمک يا ابن الخطاب! أتأمرنی أن أعزله وقـد ولاه رسول الله [۴۱] . فأين هو عمر من هذه الحقيقة التی أدرکها أبو بکر، أم أن فی الأمر سـرا آخر خفی عن المؤرخين، أم أنهم هم الذين أسروه حفاظا علی کرامته کما هی عادتهم وکما أبدلوا عبارة (يهجر) بلفظ (غلبه الوجع). عجبی من هؤلاء الصحابة الذين أغضبوه يوم الخميس واتهموه بـالهجر والهـذيان وقـالوا حسـبنا کتـاب الله، وکتاب الله يقول لهم فی محکم آياته:(قل إن کنتم تحبون الله، فاتبعونی يحببکم الله) [۴۲] . وکأنهم هم أعلم بکتاب الله وأحکامه من الـذی أنزل عليه وها هم بعـد يومين فقط من تلک الرزيـة المؤلمـة وقبل يومين فقـط من لحوقه بـالرفيق الأـعلی يغضـبونه أکثر فيطعنون فی تـأميره ولاـ يطيعون أمره، وإذا کـان فی الرزيـة الأولی مريضا طريح الفراش، فقد اضطر فی الثانية أن يخرج معصب الرأس مدثرا بقطيفة يتهادی بين رجلين ورجلاه تخطان فی الأرض وخطب فيهم خطبة کاملة من [صفحه ۱۰۴] فوق المنبر بدأها بتوحيد الله والثناء عليه ليشـعرهم بذلک بأنه بعيد عن الهجر ثم أعلمهم بما عرفه من طعنهم، ثم ذکرهم بقضـية أخری طعنوا فيها من قبل أربع سـنوات خلت، أفهل يعتقـدون بعـد ذلک بأنه يهجر أو أنه غلبه الوجع لدرجـة أنه لم يعد يعی ما يقول؟. سـبحانک اللهم وبحمدک کيف يجرؤ هؤلاء علی رسولک فلا يرضون بالعقد الذی أبرمه، ويعارضونه بشدة حتی يأمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلا يسـتجيب منهم أحد، ومرة أخری يجذبونه من قميصه ويمنعونه من الصـلاة علی عبد الله بن أبی ويقولون له: إن الله قـد نهـاک أن تصـلی علی المنـافقين! وکأنهم يعلمونه ما نزل إليه فی حين أنک فی قرآنک: (وأنزلنا إليک الـذکر لتبين للنـاس ما نزل إليهم) [۴۳] . وقلت أيضـا: (إنـا أنزلنـا إليک الکتاب بالحق لتحکم بين الناس بما أراک الله) [۴۴] . وقلت وقولک الحق: (کمـا أرسـلنا فيکم رسولا منکم يتلو عليکم آياتنا ويزکيکم ويعلمکم الکتاب والحکمـة ويعلمکم ما لم تکونوا تعلمون) [۴۵] . عجبـا لهؤلاـء القوم! فمرة لاـ يمتثلون لأمره ومرة يتهمونه بالهجر ويکثرون اللغط بحضـرته فی غير احترام ولا أدب، وأخری يطعنون فی تأميره زيد بن حارثة ومن بعده فی تأمير ابنه أسامة بن زيد فکيف يبقی بعد کل هذا شک عند الباحثين من أن الشـيعة علی حق عندما يحيطون مواقف بعض الصـحابة بعلامات الاسـتفهام ويمتعضون منها احتراما وحبا ومودة لصاحب الرسالة وأهل بيته. علی أنی لم أذکر من المخالفات غير أربع أو خمس وذلک للاختصار ولتکون أمثلة فقط، ولکن علماء الشيعة قد أحصوا مئات الموارد التی خالف فيها الصحابة [صفحه ۱۰۵] النصوص الصـريحة ولم يسـتدلوا إلا بما أخرجه علماء السـنة فی صحاحهم ومسانيدهم. وإنی عندما أستعرض بعض المواقف التی وقفها بعض الصـحابة من رسول الله أبقی حائرا مدهوشا، لا من تصـرفات هؤلاء الصحابة فحسب ولکن من موقف علماء السـنة والجماعة الذين يصورون لنا الصحابة دوما علی حق لا يمکن التعرض لهم بأی نقد، وبذلک يمنعون الباحث من الوصول إلی الحقيقـة ويبقی يتخبـط فی التناقضـات الفکريـة. وزيـادة علی مـا سـبق أسوق بعض الأمثلـة التی تعطينـا صورة حقيقيـة علی هؤلاـء الصـحابة ونفهم بذلک موقف الشـيعة منهم: أخرج البخاری فی صحيحه ج ۴ ص ۴۷ فی بـاب الصبر علی الأذی وقول الله تعالی (إنما يوفی الصـابرون أجرهم) من کتاب الأدب، قال: حـدثنا الأعمش قال سـمعت شـقيقا يقول قال عبـد الله: قسم النبی صـلی الله عليه وآله قسـمة کبعض ما کان يقسم فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسـمة ما أريد بها وجه الله، قلت أما أنی لأقولن للنبی صلی الله عليه وآله فـأتيته وهو فی أصـحابه فساورته فشق ذلک علی النبی وتغير وجهه وغضـب حتی وددت أنی لم أکن أخبرته ثم قال: قـد أوذی موسـی بأکثر من ذلک فصبر. کما أخرج البخاری فی الکتاب نفسه أعنی کتاب الأدب فی باب التبسم والضـحک. قال حـدثنا أنس بن مالک قال کنت أمشـی مع رسول الله صـلی الله عليه وآله وعليه برد نجرانی غليظ الحاشـية فأدرکه أعرابی فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس فنظرت إلی صـفحة عاتق النبی صـلی الله عليه وآله وقـد أثرت بها حاشـية الرداء من شـدة جبـذته، ثم قال: يا محمـد مر لی من مال الله الـذی عنـدک فـالتفت إليه فضـحک ثم أمر له بعطـاء. کمـا أخرج البخاری فی کتاب الأدب فی باب من لم يواجه الناس بالعتاب قال: قالت عائشة صـنع النبی صـلی الله عليه وآله شـيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم فبلغ ذلک [صفحه ۱۰۶] النبی صـلی الله عليه وآله فخطب فحمـد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشـئ أصـنعه فوالله أنی لأعلمهم بالله وأشدهم له خشـية..!. ولعمری إن الذين يعتقدون أن

رسول الله صلى الله عليه وآله يميل به الهوى ويحيد به عن طريق الحق فيقسم قسمة لا يريد بها وجه الله وإنما تبعا لهواه وعاطفته، والذين يتنزهون عن أشياء يصنعها رسول الله اعتقادا منهم بأنهم أتقى لله وأعلم به من رسوله، فهؤلاء ليسوا جديرين بذلك التقديس حيث ينزلهم البعض منزلة الملائكة فيحكمون بأنهم أفضل الخلق بعد رسول الله وأن المسلمين مدعوون لاتباعهم والاقتداء بهم والسير على سنتهم لا لشئ إلا لأنهم صحابة رسول الله وهذا يتناقض مع أهل السنة والجماعة الذين لا يصلون على محمد وآله إلا ويضيفون إليهم الصحابة أجمعين وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد عرف قدرهم وأنزلهم منزلتهم فأمرهم بأن يصلوا على رسوله وأهل بيته الطاهرين ليا لأعناقهم ليخضعوا ويعرفوا مكانة هؤلاء عند الله فلماذا نجعلهم نحن في منزلة فوق منزلتهم ونسويهم بمن رفع الله قدرهم وفضلهم على العالمين. ودعني أستنتج بأن الأمويين والعباسيين الذين ناصبوا أهل البيت النبوي العداء فأبعدوهم وشردوهم وقتلوهم وأتباعهم وشيعتهم، تفطنوا لما في هذه المزية من الفضل العميم والخطر الجسيم، فإذا كان الله سبحانه لا يقبل صلاة مسلم إلا إذا صلى عليهم، فبماذا يبررون عداءهم وانحرافهم عن أهل البيت، ولذلك تراهم ألحقوا الصحابة بأهل البيت ليموهوا على الناس بأن أهل البيت والصحابة في الفضل سواء. وخصوصا إذا عرفنا أن ساداتهم وكبراءهم هم بعض الصحابة الذين استأجروا ضعفاء العقول ممن صحبوا رسول الله أو من التابعين ليرووا الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة وبالأخص في من اعتلوا منصة الخلافة وكانوا سببا مباشرا في وصولهم - أي الأمويين والعباسيين - إلى الحكم والتحكم في رقاب المسلمين والتاريخ خير شاهد على ما أقول ; إذ أن عمر بن الخطاب الذي اشتهر بمحاسبة ولاته وعزلهم لمجرد شبهة نراه يلين مع معاوية بن أبي سفيان ولا يحاسبه قط وقد ولاه أبو بكر وأقره عمر طيلة حياته ولم يعترض عليه حتى بالعتاب [صفحه ۱۰۷] واللوم، رغم كثرة الساعين الذين يشتكون من معاوية ويقولون له إن معاوية يلبس الذهب والحرير اللذين حرمهما رسول الله على الرجال، فكان عمر يجيبهم: (دعوه فإنه كسرى العرب) واستمر معاوية في الولاية أكثر من عشرين عاما لم يتعرض له أحد بالنقد ولا بالعزل ولما ولي عثمان خلافة المسلمين أضاف إليه ولآيات أخرى مكنته من الاستيلاء على الثروة الإسلامية وتعبئة الجيوش وأوباش العرب للقيام بالثورة على إمام الأمة والاستيلاء على الحكم بالقوة والغصب والتحكم في رقاب المسلمين وإرغامهم بالقوة والقهر على بيعة ابنه الفاسق شارب الخمر يزيد وهذه قصة أخرى طويلة لست بصدد تفصيلها في هذا الكتاب والمهم هو أن أعرف نفسيات هؤلاء الصحابة الذين اعتلوا منصة الخلافة ومهدوا لقيام الدولة الأموية بصفة مباشرة نزولا على حكم قريش التي تأبى أن تكون النبوة والخلافة في بني هاشم [۴۶] . وللدولة الأموية الحق بل من واجبها أن تشكر أولئك الذين مهدوا لها، وأقل الشكر أن تستأجروا رواة مأجورين يروون في فضائل أسيادهم ما تسير به الركبان وفي نفس الوقت يرفعون هؤلاء فوق منزلة خصومهم أهل البيت باختلاق الفضائل والمزايا التي يشهد الله أنها إذا ما بحثت تحت ضوء الأدلة الشرعية والعقلية والمنطقية، فلن يبقى منها شئ يذكر، اللهم إلا إذا أصاب عقولنا مس وآمنا بالتناقضات. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإننا نسمع الكثير من عدل عمر الذي سارت به الركبان حتى قيل (عدلت فنمت) وقيل دفن عمر واقفا لئلا يموت العدل معه وفي عدل عمر حدث ولا حرج، ولكن التاريخ الصحيح يحدثنا بأن عمر حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة لم يتوخ سنة رسول الله ولم يتقيد بها، فقد ساوى النبي صلى الله عليه وآله بين جميع المسلمين في العطاء فلم يفضل أحدا على [صفحه ۱۰۸] أحد، واتبعه في ذلك أبو بكر مدة خلافته، ولكن عمر بن الخطاب اخترع طريقة جديدة وفضل السابقين على غيرهم وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على سائر العجم، وفضل الصريح على المولى [۴۷] وفضل مضر على ربيعة، ففرض لمضر ثلاثمائة ولربيعة مائتين [۴۸] وفضل الأوس على الخزرج [۴۹] . فأين هذا التفضيل من سنة رسول الله؟ ونسمع عن علم عمر بن الخطاب الكثير الذي لا حصر له حتى قيل أنه أعلم الصحابة وقيل أنه وافق ربه في كثير من آرائه التي ينزل القرآن بتأييدها في العديد من الآيات التي يختلف فيها عمر والنبي صلى الله عليه وآله. ولكن الصحيح من التاريخ يدلنا على أن عمر لم يوافق القرآن حتى بعد نزوله، عندما سأله أحد الصحابة أيام خلافته فقال: يا أمير المؤمنين أني أجنبت فلم أجد الماء فقال له عمر: لا تصل واضطر عمار بن ياسر أن يذكره بالتيمم ولكن عمر لم يقنع بذلك وقال لعمار: إنا نحملك ما تحملت [۵۰] . فأين عمر

من آية التيمم المنزلة فى كتاب الله وأين علمه من سنة النبى صلى الله عليه وآله الذى علمهم كيفية التيمم كما علمهم الوضوء، وعمر نفسه يعترف فى العديد من القضايا بأنه ليس بعالم، بل بأن كل الناس أفقه منه حتى ربات الحجال وبقوله عدة مرات، لولا على لهلك عمر، ولقد أدركه الأجل ومات ولم يعرف حكم الكلالة التى حكم فيها بأحكام متعددة ومختلفة كما يشهد بذلك التاريخ. كذلك نسمع عن بطولة عمر وشجاعته وقوته الشئ الكثير حتى قيل إن قريش خافت عندما أسلم عمر، وقويت شوكة المسلمين بإسلامه، وقيل إن الله أعز الإسلام بعمر بن الخطاب وقيل إن رسول الله لم يجهر بدعوته إلا بعد إسلام [صفحه ۱۰۹] عمر، ولكن التاريخ الثابت الصحيح، لا يوقفنا على شئ من هذه البطولة والشجاعة، ولا يعرف التاريخ رجلا واحدا من المشاهير أو حتى من العاديين الذين قتلهم عمر بن الخطاب فى مبارزة أو فى معركة كبدر وأحد والخندق وغيرها، بل العكس هو الصحيح فالتاريخ يحدثنا أنه هرب مع الهاربين فى معركة أحد وكذلك هرب يوم حنين، وبعثه رسول الله لفتح مدينة خيبر فرجع مهزوما، وحتى السرايا التى شارك فيها كان تابعا غير متبوع، وآخرها سرية أسامة التى كان فيها مأمورا تحت قيادة الشاب أسامة بن زيد. فأين دعوى البطولات والشجاعة من هذه الحقائق..؟ ونسمع عن تقوى عمر بن الخطاب ومخافته وبكائه من خشية الله الشئ الكثير، حتى قيل إنه كان يخاف أن يحاسبه الله لو عثرت بغلة فى العراق لأنه لم يعبد لها الطريق، ولكن التاريخ الثابت الصحيح يحدثنا بأنه كان فظا غليظا لا يتورع ولا يخاف فيضرب من يسأله عن آية من كتاب الله حتى يدميه بدون ذنب اقترفه، بل وتسقط المرأة حملها لمجرد رؤيته هيبة ومخافة منه، ولماذا لم يتورع مخافة من الله عندما سل سيفه وهدد كل من يقول بأن محمدا قد مات وأقسم بالله أنه لم يمت وإنما ذهب يناجيربه كما فعل موسى بن عمران وتوعد من يقول بموته بضرب عنقه [۵۱] . ولماذا لم يتورع ولم يخش الله سبحانه فى تهديد حرق بيت فاطمة الزهراء بالنار إن لم يخرج المتخلفون فيه للبيعة [۵۲] وقيل له إن فيها فاطمة فقال: وإن ; وتجرأ على كتاب الله وسنة رسوله فحكم فى خلافته بأحكام تخالف النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة [۵۳] . وإنما أخذت هذا الصحابى الكبير الشهير كمثل واختصرت كثيرا لعدم الإطالة ولو شئت الدخول فى التفاصيل لملأت كتبا عديدة، ولكن كما قلت: إنما أذكر هذه الموارد على سبيل المثال لا الحصر. [صفحه ۱۱۰] والذى ذكرته هو نزر يسير يعطينا دلالة واضحة على نفسيات الصحابة وموقف العلماء من أهل السنة المتناقض، فبينما يمنعون على الناس نقدهم والشك فيهم، يروون فى كتبهم ما يبعث على الشك والطعن فيهم، وليت علماء السنة والجماعة لم يذكروا مثل هذه الأشياء الصريحة التى تمس كرامة الصحابة وتخدش فى عدالتهم إذن لأراحونا من عناء الارتباك. وإنى أتذكر لقائى مع أحد علماء النجف الأشرف وهو أسد حيدر مؤلف كتاب (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) وكنا نتحدث عن السنة والشيعة، فروى لى قصة والده الذى التقى فى الحج عالما تونسيا من علماء الزيتونة، وذلك منذ خمسين عاما، ودار بينهما نقاش فى إمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فكان العالم التونسى يستمع إلى والدى وهو يعدد الأدلة على إمامته (ع) وأحقيته فى الخلافة فأحصى أربعة أو خمسة أدلة، ولما انتهى سأله العالم الزيتونى هل لديك غير هذا؟ قال: لا، فقال التونسى: أخرج مسبحتك وابدأ فى العد، وأخذ يذكر الأدلة على خلافة الإمام على (ع) حتى عدد له مائة دليل لا يعرفها والدى، وأضاف الشيخ أسد حيدر: لو يقرأ أهل السنة والجماعة ما فى كتبهم، لقالوا مثل مقالتنا ولانتهى الخلاف بيننا من زمان بعيد. ولعمرى إنه الحق الذى لا مفر منه لو يتحرر الإنسان من تعصبه الأعمى وكبريائه وينصاع للدليل الواضح. [صفحه ۱۱۱]

رأى القرآن فى الصحابة

اشاره

قبل كل شئ لا بد لى أن أذكر أن الله سبحانه وتعالى قد مدح فى كتابه العزيز فى العديد من المواقع صحابة رسول الله الذين أحبوا الرسول واتبعوه وأطاعوه فى غير مطمع وفى غير معارضة ولا استعلاء ولا استكبار، بل ابتغاء مرضاة الله ورسوله، أولئك رضى الله عنهم

ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه. وهذا القسم من الصحابة الذين عرف المسلمون قدرهم من خلال مواقفهم وأفعالهم معه صلى الله عليه وآله أحبوهم وأجلوهم وعظموا قدرهم وترضوا عنهم كلما ذكروهم. وبحثى لا يتعلق بهذا القسم من الصحابة الذين هم محط الاحترام والتقدير من السنة والشيعة. كما لا يتعلق بالقسم الذى اشتهر بالنفاق والذين هم معرضون للعن المسلمين جميعا من السنة والشيعة. ولكن بحثى يتعلق بهذا القسم من الصحابة الذين اختلف فيهم المسلمون، ونزل القرآن بتوبيخهم وتهديدهم فى بعض المواقع، والذين حذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله فى العديد من المناسبات أو حذر منهم. نعم الخلاف القائم بين الشيعة والسنة هو فى هذا القسم من الصحابة إذ أن الشيعة ينتقدون أقوالهم وأفعالهم ويشكون فى عدالتهم، بينما يحترمهم أهل السنة [صفحه ۱۱۲] والجماعة رغم كل ما ثبت عنهم من مخالفات. وبحثى إنما يتعلق بهؤلاء (هذا القسم من الصحابة) حتى أتمكن من خلاله من الوصول إلى الحقيقة أو بعض الحقيقة. أقول هذا حتى لا يتوهم أحد أنى أغفلت الآيات التى تمدح أصحاب رسول الله وأبرزت الآيات القادحة فقط، بل إنى خلال البحث اكتشفت أن هناك آيات مادحة تتضمن فى طيها قدحا أو ما هو نقيض ذلك. وسوف لن أكلف نفسى جهدا كبيرا كما فعلت ذلك خلال السنوات الثلاث من البحث، بل سأكتفى بذكر بعض الآيات كأمثلة، كما جرت العادة وذلك للاختصار، وعلى الذين يريدون التوسع أن يتكبدوا عناء البحث والتنقيب والمقارنة كما فعلت لتكون هدايتهم بعرق الجبين وعصارة الفكر كما يطلبه الله من كل أحد وما يتطلبه الوجدان لقناعة راسخة لا تزحزحها الرياح والعواصف ومن المعلوم بالضرورة أن الهداية التى تكون عن قناعة نفسية أفضل بكثير من التى تكون بمؤثرات خارجية.قال تعالى يمدح نبيه: (ووجدك ضالا فهدى) [۵۴] أى وجدك تبحث عن الحق فهداك إليه، وقال أيضا: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) [۵۵] .

محمد رسول الله

والمثال الأول على ذلك هو آية محمد رسول الله، يقول الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على [صفحه ۱۱۳] سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما). فهذه الآية الكريمة كلها مدح لرسول الله والصحابة الذين معه الذين هم – على الوصف الذى ذكره الله تعالى – من الشدة على الكفار ومن الرحمة على بعضهم البعض، وتمضى الآية الكريمة فى مدح هؤلاء وذكر أوصافهم حتى تنتهى بوعده سبحانه وتعالى بالمغفرة والأجر العظيم ليس لكل الصحابة المذكورين ولكن للبعض منهم، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فكلمة منهم التى ذكرها الله تعالى دلت على التبعيض وأوحت أن البعض من هؤلاء لا تشملهم مغفرة الله ورضوانه ودلت أيضا على أن البعض من الصحابة انتفت منهم صفة الإيمان والعمل الصالح، فهذه من الآيات المادحة والقادحة فى آن واحد فهى بينما تمدح نخبة من الصحابة تقدح فى آخرين. ومن المؤسف المثير أن الكثيرين يستدلون بهذه الآية الكريمة على عصمة الصحابة وعدالتهم ويحتجون بها على الشيعة، فى حين أنها حجة عليهم واضحة جلية فى تأييد الشيعة القائلين بتقسيم الصحابة إلى مؤمن مخلص استكمل الإيمان وعمل الصالحات فوعده الله المغفرة والرضوان والأجر العظيم، وآخر أسلم ولما يدخل الإيمان فى قلبه أو آمن وعمل صالحا فى عهد الرسالة ولكنه انقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وقد توعده الله بإحباط أعماله لمجرد رفع صوته فوق صوت النبى، فما بالك بمن عصى الله ورسوله، وضل ضلالا مبينا، ثم ما بالك بمن حكم بما لم ينزل إليه أو بدل أحكام الله فأحل ما حرمه الله وحرم ما أحله الله، واتبع فى كل ذلك رأيه وهواه.

آية الانقلاب

قال تعالى فى كتابه العزيز: [صفحه ۱۱۴] (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن

ینقلب علی عقبیه فلن یضر الله شیئا وسیجزی الله الشاکرین) [۵۶] صدق الله العظیم. فهذه الآیة الکریمة صریحة وجلیة فی أن الصحابة سینقلبون علی أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة ولا یثبت منهم إلا القلیل کما دلت علی ذلک الآیة فی تعبیر الله عنهم – أی عن الثابتین الذین لا ینقلبون – بالشاکرین، فالشاکرون لا یکونون إلا قلة قلیلة کما دل علی ذلک قوله سبحانه وتعالی: (وقلیل من عبادی الشکور) [۵۷] . وکما دلت علیه أیضا الأحادیث النبویة الشریفة التی فسرت هذا الانقلاب، والتی سوف نذکر البعض منها وإذا کان الله سبحانه لم یبین عقاب المنقلبین علی أعقابهم فی هذه الآیة واکتفی بتمجید الشاکرین الذین استحقوا جزاءه سبحانه وتعالی، غیر أنه من المعلوم بالضرورة أن المنقلبین علی الأعقاب لا یستحقون ثواب الله وغفرانه، کما أکد ذلک رسول الله صلی الله علیه وآله فی أحادیث متعددة سوف نبحث فی البعض منها إن شاء الله فی هذا الکتاب. ولا یمکن تفسیر الآیة الکریمة بطلیحة وسجاح والأسود العنسی، وذلک حفاظا علی کرامة الصحابة، فهؤلاء قد انقلبوا وارتدوا عن الإسلام وادعوا النبوة فی حیاته صلی الله علیه وآله وقد حاربهم رسول الله وانتصر علیهم، کما لا یمکن تفسیر الآیة الکریمة بمالک بن نویرة وأتباعه الذین منعوا الزکاة فی زمن أبی بکر لعدة أسباب، منها: أنهم إنما منعوها ولم یعطوها إلی أبی بکر تریثا منهم حتی یعرفوا حقیقة الأمر، إذ أنهم حجوا مع رسول الله صلی الله علیه وآله فی حجة الوداع وقد بایعوا الإمام علی بن أبی طالب فی غدیر خم بعد ما نصبه رسول الله للخلافة کما بایعه أبو بکر نفسه، ففوجئوا عند قدوم رسول الخلیفة بنعی رسول الله وطلبه الزکاة باسم الخلیفة الجدید أبی بکر، وهی قضیة لا یرید التاریخ الغوص فی أعماقها حفاظا علی کرامة الصحابة أیضا، ومنها أن مالکا وأتباعه مسلمون شهد بذلک عمر وأبو [صفحه ۱۱۵] بکر نفسه وعدة من الصحابة الذین أنکروا علی خالد بن الولید قتله مالک بن نویرة، والتاریخ یشهد أن أبا بکر أدی دیة مالک لأخیه متمم من بیت مال المسلمین واعتذر له عن قتله، ومن المعلوم أن المرتد عن الإسلام یجب قتله ولا تؤدی دیته من بیت المال، ولا یعتذر عن قتله. والمهم أن آیة الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة الذین یعیشون معه صلی الله علیه وآله فی المدینة المنورة وترمی إلی الانقلاب مباشرة بعد وفاته صلی الله علیه وآله بدون فصل والأحادیث النبویة توضح ذلک بما لا یدع مجالا للشک وسوف نطلع علیها قریبا إن شاء الله، والتاریخ أیضا خیر شاهد علی الانقلاب الذی وقع بعد وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله ومن یستعرض الأحداث التی وقعت بین الصحابة عند وفاة النبی لا یبقی لدیه أی ریب فی أن الانقلاب وقع فی صفوفهم ولم ینج منهم إلا القلیل.

آیة الجهاد

قال تعالی: (یا أیها الذین آمنوا ما لکم إذا قیل لکم انفروا فی سبیل الله اثاقلتم إلی الأرض أرضیتم بالحیاة الدنیا من الآخرة فما متاع الحیاة الدنیا فی الآخرة إلا قلیل. إلا تنفروا یعذبکم عذابا ألیما ویستبدل قوما غیرکم ولا تضروه شیئا والله علی کل شئ قدیر) [۵۸] صدق الله العظیم. هذه الآیة صریحة أیضا فی أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد واختاروا الرکون إلی الحیاة الدنیا رغم علمهم بأنها متاع قلیل، حتی استوجبوا توبیخ الله سبحانه وتهدیده إیاهم بالعذاب الألیم، واستبدال غیرهم من المؤمنین الصادقین بهم. وقد جاء هذا التهدید باستبدال غیرهم فی العدید من الآیات مما یدل دلالة واضحة علی أنهم تثاقلوا عن الجهاد فی مرات عدیدة، فقد جاء فی قوله تعالی:(وأن تتولوا یستبدل قوما غیرکم ثم لا یکونوا أمثالکم) [۵۹] . [صفحه ۱۱۶] وکقوله تعالی أیضا: (یا أیها الذین آمنوا من یرتد منکم عن دینه فسوف یأتی الله بقوم یحبهم ویحبونه أذلة علی المؤمنین أعزة علی الکافرین یجاهدون فی سبیل الله ولا یخافون لومة لائم ذلک فضل الله یؤتیه من یشاء والله واسع علیم) [۶۰] . ولو أردنا استقصاء ما هنالک من الآیات الکریمة التی تؤکد هذا المعنی وتکشف بوضوح عن حقیقة هذا التقسیم الذی یقول به الشیعة بشأن هذا القسم من الصحابة لاستوجب ذلک کتابا خاصا، وقد عبر القرآن الکریم عن ذلک بأوجز العبارات وأبلغها حین قال: (ولتکن منکم أمة یدعون إلی الخیر ویأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر وأولئک هم المفلحون، ولا تکونوا کالذین تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البینات وأولئک لهم عذاب عظیم، یوم تبیض وجوه وتسود وجوه، فأما الذین اسودت وجوههم أکفرتم بعد إیمانکم فذوقوا العذاب بما کنتم تکفرون، وأما الذین ابیضت وجوههم ففی

رحمة الله هم فيها خالدون) [۶۱] صدق الله العلى العظيم. وهذه الآيات كما لا يخفى على كل باحث مطلع تخاطب الصحابة وتحذرهم من التفرقة والاختلاف من بعد ما جاءهم البينات وتتوعدهم بالعذاب العظيم وتقسمهم إلى قسمين قسم يبعث يوم القيامة بيض الوجوه وهم الشاكرون الذين استحقوا رحمة الله، وقسم يبعث مسود الوجوه وهم الذين ارتدوا بعد الإيمان وقد توعدهم الله سبحانه بالعذاب العظيم. ومن البديهى المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبى واختلفوا وأوقدوا نار الفتنة حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحروب الدامية التى سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم، والآية المذكورة لا يمكن تأويلها وصرفها عن مفهومها المتبادر للأذهان. [صفحه ۱۱۷]

آية الخشوع

قال تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) [۶۲] صدق الله العلى العظيم. وفى الدر المنثور جلال الدين السيوطى قال: لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت: (ألم يأن للذين آمنوا) وفى رواية أخرى عن النبى صلى الله عليه وآله أن الله سبحانه استبطأ قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فأنزل الله (ألم يأن للذين آمنوا). وإذا كان هؤلاء الصحابة وهم خيرة الناس على ما يقوله أهل السنة والجماعة، لم تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق طيلة سبعة عشر عاما حتى استبطأهم الله وعاتبهم وحذرهم من قسوة القلوب التى تجرهم إلى الفسوق، فلا لوم على المتأخرين من سراة قريش الذين أسلموا فى السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة. فهذه بعض الأمثلة التى استعرضتها من كتاب الله العزيز كافية للدلالة على أن الصحابة ليسوا كلهم عدولا كما يقوله أهل السنة والجماعة. وإذا فتشنا فى أحاديث النبى صلى الله عليه وآله فسنجد أضعاف الأضعاف من الأمثلة الأخرى ولكن توخيا للاختصار أسوق بعض الأمثلة وعلى الباحث أن يتوسع إذا أراد ذلك. [صفحه ۱۱۹]

رأى الرسول فى الصحابة

حديث الحوض

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال، هلم، فقلت إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم) [۶۳]. وقال صلى الله عليه وآله: (إنى فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم فأقول: أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدى) [۶۴]. فالمتمعن فى هذه الأحاديث العديدة التى أخرجها علماء أهل السنة فى صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك فى أن أكثر الصحابة قد بدلوا [صفحه ۱۲۰] وغيروا بل ارتدوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وآله إلا القليل الذى عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأى حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث وهم المنافقون، لأن النص يقول: فأقول أصحابى. ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبى وإلا لأصبح المنافق بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله مؤمنا. كما أن هذه الأحاديث هى مصداق وتفسير لما سجلناه سابقا من الآيات الكريمة التى تحدثت عن انقلابهم وارتدادهم وتوعدهم بالعذاب الأليم.

حديث اتباع اليهود والنصارى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يـا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن) [۶۵] . وللباحث أن يتسأل عنـدما يقرأ هذا الحديث المجمع على صحته، ماذا فعل الصحابة المقصودون بهـذا الحـديث من فعـل اليهود والنصارى حتى وصـفهم رسول الله بأنهم يتبعونهم شبرا بشبر وذراعا بـذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لـدخلوا مـدخلهم. ومن المعلـوم من القرآن الكريم ومن التاريـخ الصـحيح أن اليهـود تمردوا على موسـى رسـول الله إليهم وعصوا أمره وآذوه، وعبدوا العجل فى غيابه وتآمروا على أخيه هارون وكادوا يقتلونه، وضـربت عليهم الذلة والمسـكنة وباؤوا بغضـب من الله جزاء بما كانوا يفعلون، وقـد ارتـدوا بعد إيمانهم وتآمروا على أنبياء الله وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسـهم ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون، ووصل بهم الأمر أن تآمروا على سـيدنا عيسـى وبهتوا أمه الطاهرة ولم يهدؤوا حتى قتلوه وصلبوه بزعمهم [۶۶] واختلفوا بعد ذلك وتفرقوا فيه فمن قائل بأنه دجال كذاب، ومن [صـفحه ۱۲۱] مغال أنزله منزلة الإله فقال هو ابن الله. ولمصداق هذا الحديث فمن حقى أن أتصـور بـأن الصـحابة أيضـا عصوا أمر رسول الله فى أمور كـثيرة منهـا منعهم أن يكتب لهم الكتـاب الـذى يصونهم من الضـلالة، ومنها طعنهم فى تأميره أسامة ورفضـهم أن يخرجوا معه حتى بعد وفاة الرسول وقد لعن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم المتخلف عنه ممن عبأهم، ومنها تفرقهم واختلافهم فى سـقيفة بنى ساعدة لاسـتخلاف الخليفة، ولم يقبلوا بمن نص عليه رسول الله فى غدير خم وهو على بن أبى طالب حسـبما يدعيه الشـيعة ولهم شواهد لا تقبل التأويل فى صـحاح السـنة وتواريخهم وهددوا ابنته فاطمة الزهراء سـيدة النساء بحرق دارها إذا لم يخرج المتخلفون للبيعة قهرا، ومن المعقول جدا أن يقبل الباحث المنصف النص الصريح على على بن أبى طالب، لأنه ليس من المعقول أن يموت رسول الله ولا يعين أحـدا، وهو الـذى لم يخرج من المدينة إلى غزوة أو سـفر إلا واستخلف عليهم أحدا، ومن المعقول أيضا أن يقبل الباحث المنصف بقول الإمام شرف الدين فى كتابه (المراجعات) حيث قال لشيخ الأزهر الشـيخ سـليم البشـرى: - سلمتم - سلمكم الله تعالى - بتأخرهم فى سرية أسامة، على السير، وتثاقلهم فى الجرف تلك المدة مع مـا قـد أمروا من الاسـراع والتعجيـل وسـلمتم بطعنهم فى تـأمير أسامـة مع مـا وعوه ورأوه من النصوص قولا وفعلا على تأميره وسـلمتم بطلبهم من أبى بكر عزله بعد غضب النبى صلى الله عليه وآله وسلم من طعنهم فى إمارته، وخروجه بسبب ذلك محموما معصبا مدثرا، وتنديـده بهم فى خطبته تلك على المنبر التى قلتم إنهـا كـانت من الوقـائع التاريخيـة وقـد أعلن فيه كون أسامـة أهلاـ لتلـك الإمـارة. وسـلمتم يطلبهم من الخليفة إلغاء البعث الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحل اللواء الذى عقده بيده الشريفة، مع ما رأوه من اهتمامه فى [صفحه ۱۲۲] إنفاذه وعنايته التامة فى تعجيل إرساله، ونصوصه المتوالية فى وجوب ذلك. وسـلمتم بتخلف بعض من عبأهم صـلى الله عليه وآله وسـلم، فى ذلك الجيش وأمرهم بالنفوذ تحت قيادة أسامـة. وسـلمتم بكل هذا كما نص عليه أهل الأخبار، واجتمعت عليه كلمـة المحـدثين وحفظـة الآثار، وقلتم إنهم كانوا معذورين فى ذلك، وحاصل ما ذكرتموه من عذرهم أنهم آثروا فى هذه الأمور مصلحة الإسلام بما اقتضته أنظارهم لا بما أوجبته النصوص النبوية ونحن ما ادعينا - فى هذا المقام - أكثر من هذا. وبعبارة أخرى فإن تساؤلنا يـدور حول ما يلى: هل كانوا فى تعبدهم وفق النصوص جميعها أم بعضـها؟ لقد اخترتم الأول، ونحن اخترنا الثانى، فاعترافكم الآن بعـدم تعبـدهم فى هـذه الأوامر يثبت ما اخترناه، وكونهم معـذورين أو غير معذورين خارج عن موضوع البحث كما لا يخفى، وحيث ثبت لديكم إيثارهم فى سـرية أسامة مصـلحة الإسلام بما اقتضته أنظارهم على التعبد بما أوجبته تلك النصوص، فلم لا تقولون أنهم آثروا فى أمر الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، مصلحة الإسلام بما اقتضته أنظارهم على التعبد بنصوص الغدير وأمثالهـا. اعتـذرتم عن طعن الطاعنين فى تأمير أسامـة بأنهم إنما طعنوا بتأميره لحـداثته مع كونهم بين كهول وشـيوخ، وقلتم إن نفوس الكهول والشـيوخ تأبى بجبلتها وطبعها أن تنقاد إلى الأحداث، فلم لم تقولوا هذا بعينه فيمن لم يتعبدوا بنصوص الغدير المقتضية لتأمير على وهو شاب على كهول الصـحابة وشـيوخهم، لأنهم بحكم الضـرورة من أخبارهم، قد اسـتحدثوا سـنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، كمـا اسـتحدثوا سن أسامـة يوم ولاـه صـلى الله عليه وآله وسـلم عليهم فى تلك السن وشـتان ما بين الخلافـة وإمارة السـرية، فإذا أبت نفوسهم بجبلتها أن تنقاد للحدث فى سرية واحدة، فهى أولى بأن تأبى أن تنقاد للحدث مدة حياته فى جميع الشؤون

الدنيوية والأخروية، على أن ما ذكرتموه من أن نفوس الشيوخ والكهول تنفر بطبعها من الانقياد للأحداث ممنوع، إن كان مرادكم [صفحه ۱۲۳] الاطلاق في هذا الحكم، لأن نفوس المؤمنين من الشيوخ الكاملين في إيمانهم لا تنفر من طاعة الله ورسوله في الانقياد للأحداث، ولا في غيره من سائر الأشياء (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) انتهى كلامه نقلناه من كتاب المراجعات (المراجعة رقم ۹۲).

حديث البطانتين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصمه الله) [۶۷] . وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا قسمين بطانة تأمر الرسول بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، وإذا أردنا التوسع في هذا الموضوع لازددنا يقينا بأن بعض الصحابة كانوا يشيرون على رسول الله بغير المعروف. ومثال ذلك ما أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد من جزئه الأول وحكم ابن جرير بصحته، قال: جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا جيرانك وحلفاؤك وإن أناسا من غلماننا قد أتوك ليس بهم رغبة في الإسلام ولا رغبة في الفقه إنما فروا من ضياعنا، فقال النبي لأبي بكر ما تقول قال صدقوا إنهم جيرانك وحلفاؤك فتغير وجه النبي بما أشار به ثم قال لعمر ما تقول قال صدقوا إنهم جيرانك وحلفاؤك فتغير وجه النبي بما أشار به هو الآخر عليه [۶۸] . [صفحه ۱۲۴] وهذه القصة هي مصداق لحديث البطانتين والذي أشار به أبو بكر وعمر لم يكن من الخير ولا من المعروف وإلا لما تغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم. كما أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ومسلم في صحيحه قال سمعت عمر يقول: قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسمة فقلت يا رسول الله لغير هؤلاء أحق منهم، أهل الصفة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنكم تسألوني بالفحش، وتبخلوني ولست بباخل [۶۹] . وهذه القصة هي الأخرى صريحة في أن عمر بن الخطاب ليس من البطانة التي تأمر بالمعروف وتحض عليه بل هو من الذين يسألون بالفحش ويأمرون بالبخل على ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

حديث التنافس على الدنيا

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض (أو مفاتيح الأرض) وإني والله ما أخاف عليكم أنتشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) [۷۰] . صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تنافسوا على الدنيا حتى سلت سيوفهم وتحاربوا وكفر بعضهم بعضا، وقد كان بعض هؤلاء الصحابة المشهورين يكنز الذهب والفضة في حين يموت بعض المسلمين جوعا ويحدثنا المؤرخون كالمسعودي في مروج الذهب والطبري وغيرهم أن ثروة الزبير وحده بلغت خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعا كثيرة في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها [۷۱] . [صفحه ۱۲۵] كما بلغت غلة طلحة من العراق وحده كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك [۷۲] . وكان لعبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة،وبلغ ربع ثمن ماله الذي قسم على زوجاته بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا [۷۳] . وترك عثمان بن عفان يوم مات مائة وخمسين ألف دينار عدا المواشي والأراضي والضياع مما لا يحصى وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس حتى مجلت أيدي الناس، ما عدا الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار [۷۴] . هذه بعض الأمثلة البسيطة وفي التاريخ شواهد كثيرة لا نريد الدخول في بحثها الآن ونكتفي بهذا القدر للدلالة على صدق الحديث وأنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها، فكدسوا الأموال على حساب المستضعفين من المسلمين. [صفحه ۱۲۷]

رأى الصحابة بعضهم فى بعض

شهادتهم على أنفسهم بتغيير سنة النبى

عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شئ يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقول مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بحثا قطعه أو يأمر بشئ أمر به ثم ينصرف، قال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى فجبذت بثوبه فجبذنى فارتفع فخطب قبل أن يصلى فقلت له غيرتم والله ; فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلت ; ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال إن الناس لم يكونوا يجلسوننا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة [۷۵] . وقد بحثت كثيرا عن الدوافع التى جعلت هؤلاء الصحابة يغيرون سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، واكتشفت أن الأمويين وأغلبهم من صحابة النبى وعلى رأسهم معاوية بن أبى سفيان (كاتب الوحى) كما يسمونه كان يحمل الناس ويجبرهم على سب على بن أبى طالب ولعنه من فوق منابر المساجد، كما ذكر ذلك المؤرخون، [صفحه ۱۲۸] وقد أخرج مسلم فى صحيحه فى باب (فضائل على بن أبى طالب) مثل ذلك ; وأمر - يعنى معاوية - عماله فى كل الأمصار باتخاذ ذلك اللعن سنة يقولها الخطباء على المنابر، ولما استاء من ذلك بعض الصحابة واستنكر هذا الفعل أمر معاوية بقتلهم وحرقهم وقد قتل من مشاهير الصحابة حجر بن عدى الكندى وأصحابه ودفن بعضهم أحياء لأنهم امتنعوا عن لعن على واستنكروه وقد أخرج أبو الأعلى المودودى فى كتابه (الخلافة والملك) نقلا عن الحسن البصرى قال: أربع خصال كن فى معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة له: (۱) أخذه الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة ذوو الفضيلة. (۲) استخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب الطنابير. (۳) ادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر. (۴) قتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجروأصحاب حجر [۷۶] . وكان بعض المؤمنين من الصحابة يفرون من المسجد بعد الفراغ من الصلاة حتى لا يحضروا الخطبة التى تختم بلعن على وأهل بيته، ومن أجل ذلك غير بنو أمية سنة رسول الله وقدموا الخطبة على الصلاة حتى يحضرها الناس ويرغموا بذلك أنوفهم. مرحى لهؤلاء الصحابة الذين لا يتورعون عن تغيير سنة الرسول وحتى أحكام الله للوصول إلى أغراضهم الدنيئة وأحقادهم الدفينة ومطامعهم الخسيسة، ويلعنون رجلا أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيرا وأوجب الصلاة عليه كالصلاة على رسوله، وأوجب الله ورسوله مودته وحبه حتى قال النبى:(حب على إيمان وبغضه نفاق) [۷۷] . ولكن هؤلاء الصحابة بدلوا وغيروا وقالوا سمعنا وعصينا وبدلا من أن [صفحه ۱۲۹] يصلوا عليه ويحبوه ويطيعوه، شتموه ولعنوه طيلة ستين عاما كما جاء فى كتب التاريخ. فإذا كان أصحاب موسى قد تآمروا على هارون وكادوا يقتلونه، فإن بعض أصحاب محمد قتلوا هارونه وتتبعوا أولاده وشيعته تحت كل حجر ومدر ومحوا أسماءهم من الديوان ومنعوا أن يتسمى أحد باسمه، ولم يكتفوا بكل ذلك بل لعنوه وحملوا الصحابة المخلصين على ذلك قهرا وظلما. وإنى والله لأقف حائرا مبهوتا عندما أقرأ صحاحنا وما سجل فيها من حب الرسول لأخيه وابن عمه على وتقديمه على كل الصحابة حتى قال فيه: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى [۷۸] . وقال له: أنت منى وأنا منك [۷۹] وقال: حب على إيمان وبغضه نفاق [۸۰] ،وقال أنا مدينة العلم وعلى بابها [۸۱] وقال: على ولى كل مؤمن بعدى [۸۲] . وقال: من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [۸۳] ، ولو أردنا استقصاء الفضائل التى ذكرها النبى فى على والتى أخرجها علماؤنا معترفين بصحتها لاستوجب كتابا خاصا، فكيف يا ترى يتجاهل الصحابة هذه النصوص ويسبون عليا وينصبون له العداء ويلعنونه فوق المنابر وكيف يقاتلونه ويقتلونه. وإنى أحاول عبثا أن أجد مبررا لهؤلاء فلا أجد غير حب الدنيا والتنافس فيها أو النفاق أو الارتداء والانقلاب على الأعقاب، وأحاول أيضا إلصاق هذه [صفحه ۱۳۰] المسؤولية بحثالة الصحابة وبعض المنافقين، ولكن هؤلاء - للأسف الشديد - معدودون من أكابرهم وأفاضلهم ومشاهيرهم، فأول من هدد بحرق بيته - بمن فيه - هو عمر بن الخطاب، وأول من حاربه

هو طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر، ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وأمثالهم كثيرون. وإن عجبى لكبير وسوف لن ينتهى، كما يؤيدنى فى ذلك كل مفكر حر، عاقل، كيف يجمع علماء أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة كافة ويترضون عليهم بل ويصلون عليهم أجمعين، لا ـ يستثنون منهم واحدا حتى قال بعضهم: (العن يزيد ولا تزيد) فأين يزيد من هذه المآسى التى لا يقرها دين ولا عقل، وإننى أربأ بأهل السنة والجماعة إن كانوا حقا يتبعون سنة الرسول، أن يحكموا بعدالة من حكم القرآن والسنة بفسقه وارتداده وكفره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله (من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله، ومن سب الله أكبه على منخريه فى النار) [۸۴] . هذا جزاء من سب عليا فما بالك بمن لعنه وحاربه وقاتله فأين علماؤنا من كل هذه الحقائق، أم على قلوب أقفالها. وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون.

الصحابة غيروا حتى فى الصلاة

قال أنس بن مالك: ما عرفت شيئا مما كان على عهد النبى صلى الله عليه وآله مثل الصلاة، قال أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها. وقال الزهرى دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت ما يبكيك فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت [۸۵] . [صفحه ۱۳۱] وحتى لا يتوهم أحد أن التابعين هم الذين غيروا ما غيروا بعد تلك الفتن والحروب، أود أن أذكر بأن أول من غير سنة الرسول فى الصلاة هو خليفة المسلمين نفسه عثمان بن عفان وكذلك أم المؤمنين عائشة، فقد أخرج الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله، صلى بمنى ركعتين، وأبو بكر بعده، وعمر بعد أبى بكر وعثمان صدرا من خلافته، ثم أن عثمان صلى بعد أربعا [۸۶] . كما أخرج مسلم فى صحيحه، قال الزهرى قلت لعروة ما بال عائشة تتم الصلاة فى السفر؟ قال إنها تأولت كما تأول عثمان. سبحان الله! وهل هناك تأويل يمحق السنة النبوية غير هذا وأمثاله من التأويلات؟ وهل يلوم أحد بعد هذا أبا حنيفة، أو أحد الأئمة أصحاب المذاهب الذين تأولوا، فحللوا وحرموا وفق تأويلهم واجتهادهم مقتدين فى ذلك بسنة هؤلاء الصحابة. وكان عمر بن الخطاب يجتهد ويتأول مقابل النصوص الصريحة من السنن النبوية بل فى مقابل النصوص الصريحة من القرآن الحكيم فيحكم برأيه، كقوله: (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما)، ويقول لمن أجنب ولم يجد ماء: (لا تصل). رغم قول الله تعالى فى سورة المائدة: (فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا). أخرج البخارى فى صحيحه فى باب (إذا خاف الجنب على نفسه) قال: سمعت شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبد الله وأبى موسى فقال له أبو موسى أرأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع فقال عبد الله لا يصلى حتى يجد الماء فقال أبو موسى فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبى صلى الله عليه وآله كان يكفيك أن تضرب ضربتين وعلمه التيمم، قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك فقال أبو موسى فدعنا من قول عمار كيف تصنع بهذه الآية فما درى عبد الله ما يقول [صفحه ۱۳۲] فقال إنا لو رخصنا لهم فى هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم فقلت لشقيق: فإنما كره عبد الله لهذا، قال: نعم [۸۷] . ما شاء الله! لقد نصب عبد الله هذا نفسه إماما على الأمة فأفتى بما يحلو له وبما شاء هو، لا بما اقتضته أحكام الله التى أنزلها فى القرآن، ورغم استدلال أبى موسى الأشعرى بآية التيمم يقول عبد الله: (إنا لو رخصنا لهم فى هذا) فمن أنت يا هذا؟؟ حتى تحلل وتحرم وترخص وتمنع كما تريد، ولعمرى إنك اتبعت فى ذلك سنة من قبلك وأصررت على العناد لتأييد رأيه الذى كان يفتى بترك الصلاة عند فقدان الماء ولم يقتنع باحتجاج عمار بن ياسر عليه بالسنة النبوية كما لم تقتنع أنت باحتجاج أبى موسى بالآية القرآنية!، أفبعد هذا يدعى علماؤنا بأن الصحابة كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا، (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون!!) (النجم: ۵۹).

الصحابة يشهدون على أنفسهم

روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للأنصار: إنكم سترون بعدى أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله

على الحوض. قال أنس فلم نصبر [۸۸] . وعن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضى الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبى صلى الله عليه وآله وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخى إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده. وإذا كان هذا الصحابى من السابقين الأولين الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، ورضى الله عنهم وعلم ما فى قلوبهم فأثابهم فتحا قريبا، يشهد على نفسه وعلى أصحابه بأنهم أحدثوا بعد النبى وهذه الشهادة هى مصداق ما أخبر [صفحه ۱۳۳] به صلى الله عليه وآله وتنبأ به من أن أصحابه سيحدثون بعده ويرتدون على أدبارهم فهل يمكن لعاقل بعد هذا أن يصدق بعدالة الصحابة كلهم أجمعين (أكتعين أبصعين) على ما يقول به أهل السنة والجماعة، والذى يقول هذا القول فإنه يخالف العقل والنقل ولا يبقى للباحث أى مقاييس فكرية يعتمدها للوصول إلى الحقيقة.

شهادة الشيخين على نفسيهما

أخرج البخارى فى صحيحه فى باب مناقب عمر بن الخطاب قال: لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت صحابتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه فإنما ذاك من من الله تعالى من به على، وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه فإنما ذاك من من الله جل ذكره من به على، وأما ما ترى من جزعى فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه [۸۹] . وقد سجل التاريخ له أيضا قوله: ليتنى كنت كبش أهلى يسمنوننى ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضى شواء وقطعونى قديدا ثم أكلونى وأخرجونى عذرة ولم أكن بشرا [۹۰] . كما سجل التاريخ لأبى بكر مثل هذا، قال لما نظر أبو بكر إلى طائر على شجرة: طوبى لك يا طائر تأكل الثمر وتقع على الشجر وما من حساب ولا عقاب عليك، لوددت أنى شجرة على جانب الطريق مر على جمل فأكلنى وأخرجنى فى بعره ولم أكن من البشر [۹۱] . [صفحه ۱۳۴] وقال مرة أخرى: (ليت أمى لم تلدنى، ليتنى كنت تبنة فى لبنة) [۹۲] . تلك بعض النصوص أوردتها على نحو المثال لا الحصر. وهذا كتاب الله يبشر عباده المؤمنين بقوله: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هوالفوز العظيم) [۹۳] . ويقول أيضا: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا منغفور رحيم) [۹۴] صدق الله العلى العظيم. فكيف يتمنى الشيخان أبو بكر وعمر أن لا يكونا من البشر الذى كرمه الله على سائر مخلوقاته. وإذا كان المؤمن العادى الذى يستقيم فى حياته تتنزل عليه الملائكة وتبشره بمقامه فى الجنة فلا يخاف من عذاب الله ولا يحزن على ما خلف وراءه فى الدنيا وله البشرى فى الحياة الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة، فما بال عظماء الصحابة الذين هم خير الخلق بعد رسول الله - كما تعلمنا ذلك - يتمنون أن يكونوا عذرة، وبعرة، وشعرة، وتبنة، ولو أن الملائكة بشرتهم بالجنة ما كانوا ليتمنوا أن لهم مثل طلاع الأرض ذهبا ليفتدوا به من عذاب الله قبل لقاه. قال تعالى: (ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) [۹۵] . [صفحه ۱۳۵] وقال أيضا: (ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) [۹۶] . وإننى أتمنى من كل قلبى أن لا تشمل هذه الآيات، صحابة كبارا أمثال أبى بكر الصديق وعمر الفاروق.. بيد أننى أتوقف كثيرا عند مثل هذ النصوص لأطل على مقاطع مثيرة من علاقتهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وما شهدتها تلك العلاقة من تخلف عن إجراء أوامره وتلبية طلبه فى اللحظات الأخيرة من عمره المبارك الشريف مما أغضبه ودفعه إلى أن يأمر الجميع بمغادرة المنزل وتركه، كما أننى أستحضر أمامى شريط الحوادث التى جرت

بعـد وفاة الرسول وما جرى مع ابنته الزهراء الطاهرة (ع) من إيـذاء وهضم وغمط وقـد قال صـلى الله عليه وآله: (فاطمـة بضـعة منى من أغضبها فقد أغضبنى) [٩٧] . وقالت فاطمة لأبى بكر وعمر: نشدتكما الله تعالى ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (رضا فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن أحب ابنتى فاطمة فقد أحبنى ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى، قالا: نعم سـمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: فإنى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتمانى وما أرضيتمانى ولئن لقيت النبى لأشكونكما إليه) [٩٨] . ودعنا من هـذه الروايـة التى تـدمى القلوب، فلعل ابن قتيبة وهو من علماء أهل السـنة المبرزين فى كثير من الفنون وله تآليف عديـدة فى التفسير والحـديث واللغة والنحو والتاريخ، لعله تشيع هو الآخر كما قال لى أحد المعاندين مرة عنـدما أطلعته على كتـابه تاريـخ الخلفـاء، وهـذه هى الدعايـة التى يلجأ إليها بعض علمائنا بعـدما تعييهم الحيلـة، فالطبرى عنـدنا تشيع والنسائى الذى ألف كتابا فى [صفحه ١٣٦] خصائص الإمام على تشيع وابن قتيبة تشيع وحتى طه حسين من المعاصرين لما ألف كتابه الفتنـة الكبرى وذكر حـديث الغـدير واعترف بكثير من الحقائق الأخرى فهو أيضا تشيع!!. والحقيقـة أن كل هؤلاء لم يتشـيعوا وعندما يتكلمون عن الشـيعة لا يـذكرون عنهم إلا ما هو مشـين، وهم يـدافعون عن عدالة الصـحابة بكل ما أمكنهم، ولكن الذى يذكر فضائل على بن أبى طالب ويعترف بما فعله كبار الصحابة من أخطاء نتهمه بأنه تشيع، ويكفى أن تقول أمام أحدهم عند ذكر النبى: (صلى الله عليه وآله) أو (تقول على (ع))، حتى يقـال: إنـك شـيعى، وعلى هـذا الأسـاس قلت يومـا لأحـد علمائنـا وأنـا أحـاوره: مـا رأيـك فى البخـارى؟ قـال: هو من أئمـة الحـديث وكتابه أصـح الكتب بعـد كتاب الله عنـدنا وقـد أجمع على ذلك علماؤنا. فقلت له: إنه شـيعى، فضـحك مستهزئا وقال: حاشـى الإمام البخارى أن يكون شيعيا!! قلت: أوليس أنك ذكرت بأن كل من يقول: (على (ع)) فهو شيعى؟ قـال: بلى، فـأطلعته ومن حضـر معه على صـحيح البخـارى وفى عـدة مواقع عنـدما يأتى باسم على يقول: (عليه السـلام) وفاطمـة (عليها السـلام) والحسين بن على (عليهما السلام) [٩٩] فبهت وما درى ما يقول. وأعود إلى روايـة ابن قتيبة التى ادعى فيها أن فاطمة غضـبت على أبى بكر وعمر، فإذا شـككت فيها فإنه لا يمكننى أن أشك فى صـحيح البخارى الـذى هو عندنا أصح الكتب بعد كتاب الله، وقد ألزمنا أنفسـنا بأنه صـحيح وللشـيعة أن يحتجوا به علينا ويلزموننا بما ألزمنا به أنفسـنا وهـذا هو الإنصاف للقوم العاقلين. فها هو البخارى يخرج من باب مناقب قرابة رسول الله، أن رسول الله صـلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضـعة منى فمن أغضـبها أغضـبنى. كما أخرج فى باب غزوة خيبر، عن عائشة أن فاطمة (عليها السـلام) بنت النبى أرسـلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله فأبى أبو بكر أن يدفع إلى [صفحه ١٣٧] فاطمة منه شيئا فوجدت [١٠٠] فاطمـة على أبى بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت [١٠١] . والنتيجة فى النهايـة هى واحـدة ذكرها البخارى باختصار وذكرها ابن قتيبـة بشـئ من التفصـيل، ألا وهى أن رسول الله صـلى الله عليه وآله يغضـب لغضب فاطمـة ويرضـى لرضاها وأن فاطمـة ماتت وهى غاضـبة على أبى بكر وعمر. وإذا كان البخارى قد قال: ماتت وهى واجدة على أبى بكر فلم تكلمه حتى توفيت فـالمعنى واحـد كما لا يخفى، وإذا كانت فاطمـة سـيدة نساء العالمين كما صـرح بـذلك البخارى فى كتـاب الاسـتئذان بـاب من ناجى ين يـدى الناس، وإذا كانت فاطمـة هى المرأة الوحيـدة فى هـذه الأمـة، التى أذهب الله عنها الرجس وطهرهـا تطهيرا، فلا يكون غضـبها لغير الحق ولـذلك يغضب الله ورسوله لغضـبها، ولهـذا قال أبو بكر: أنا عائـذ بالله تعالى من سـخطه وسـخطك يـا فاطمـة، ثم انتحب أبو بكر باكيا حتى كادت نفسه أن تزهق، وهى تقول: والله لأدعون الله عليك فى كل صـلاة أصـليها، فخرج أبـو بكر يبكى ويقول: لا ـ حاجـة لى فى بيعتكم، أقيلونى بيعـتى [١٠٢] . غير أن كـثيرا من المؤرخين ومن علمائنـا، يعترفون بـأن فاطمة (عليها السلام) خاصمت أبا بكر فى قضية النحلة والإرث وسهم ذى القربى فردت دعواها حتى ماتت وهى غاضبة عليه، إلا أنهم يمرون بهـذه الأحـداث مرور الكرام ولا يريـدون التكلم فيها حفاظا على كرامة أبى بكر كما هى عادتهم فى كل ما يمسه من قريب أو بعيد ; ومن أعجب ما قرأته فى هذا الموضوع قول بعضـهم بعد ما ذكر الحادثة بشئ من التفصيل قال: (حاشى لفاطمة من أن تدعى ما ليس لها بحق، وحاشـى لأبى بكر من أن يمنعها حقها). وبهذه السفسـطة ظن هذا العالم أنه حل المشـكلة وأقنع الباحثين وكلامه هذا [صفحه ١٣٨] كقول القائـل: (حاشـى للقرآن الكريم أن يقول غير الحق، وحاشـى لبنى إسـرائيل أن يعبـدوا العجـل). لقـد ابتلينـا بعلماء

يقولون مـا لاـ يفقهون ويؤمنون بالشـئ ونقيضه فى نفس الوقت والحـال يؤكـد أن فاطمـة ادعت وأبـا بكر رفض دعواها فإما أن تكون كاذبـة و (العيـاذ بـالله) حاشاهـا، أو أن يكون أبو بكر ظالمـا لهـا وليس هنـاك حل ثالث للقضيـة كما يريـدها بعض علمائنا. وإذا امتنع بالأدلـة العقليـة والنقليـة أن تكون سـيدة النساء كاذبـة لما ثبت عن أبيها رسول الله قوله: فاطمـة بضـعة منى من آذاها فقـد آذانى، ومن البديهى أن الذى يكذب لا يستحق مثل هذا النص من قبل الرسول صـلى الله عليه وآله، فالحديث بذاته دال على عصمتها من الكذب وغيره من الفواحش، كما أن آية التطهير دالة هى الأخرى على عصـمتها وقد نزلت فيها وفى بعلها وابنيها بشـهادة عائشة نفسها [۱۰۳]، فلم يبق إذن إلاـ أن يعترف العقلاـء بأنها ظلمت فليس تكـذيبها فى دعواها إلا أمرا ميسورا لمن اسـتباح حرقها إن لم يخرج المتخلفون فى بيتهـا لبيعتهم [۱۰۴]. ولكـل هـذا تراهـا – سـلام الله عليهـا – لم تـأذن لهما فى الـدخول عليها عنـدما اسـتأذنها أبو بكر وعمر، ولما أدخلهمـا على أدارت بوجههـا إلى الحائط وما رضـيت أن تنظر إليهما [۱۰۵]. وقـد توفيت ودفنت فى الليـل سـرا بوصـية منها حتى لا يحضـر جنازتها أحد منهم [۱۰۶]، وبقى قبر بنت الرسول مجهولاـ حتى يوم النـاس هـذا وإننى أتسـأل لماذا يسـكت علماؤنا عن هـذه الحقائق ولا يريـدون البحث فيها ولا حتى ذكرها، ويصورون لنا صـحابة رسول الله صـلى الله عليه وآله وكأنهم ملائكـة لا يخطئون ولا يذنبون!. وإذا ما سألت أحدهم كيف يقتل خليفة المسـلمين سـيدنا عثمان ذو النورين [صـفحه ۱۳۹] فسـيجيبك بأن المصريين – وهم كفرة – جـاؤوا وقتلـوه وينهى الموضـوع كله بجملـتين. ولكن عنـدما وجـدت الفرصـة للبحث وقراءة التاريـخ وجـدت أن قتلـة عثمـان بالدرجة الأولى هم الصحابة أنفسهم و فى مقدمتهم أم المؤمنين عائشة التى كانت تنادى بقتله وإباحة دمه على رؤوس الأشهاد فكانت تقول (اقتلوا نعثلا فقد كفر) [۱۰۷]. كذلك نجد طلحة والزبير ومحمد بن أبى بكر وغيرهم من مشاهير الصـحابة وقد حاصروه ومنعوه من شـرب الماء ليجبروه على الاسـتقالة، ويحدثنا المؤرخون أن الصحابة هم الذين منعوا دفن جثته فى مقابر المسلمين فدفن فى (حش كوكب) بـدون غسل ولا كفن، سـبحان الله، كيف يقال لنا إنه قتل مظلوما وأن الـذين قتلوه ليسوا مسـلمين، وهذه القضـية هى الأخرى كقضـية فاطمـة وأبى بكر، فإمـا أن يكون عثمـان مظلومـا وعنـد ذلـك نحكم على الصـحابة الـذين قتلوه أو شاركوا فى قتله بأنهم قتلة مجرمون لأنهم قتلوا خليفة المسلمين ظلما وعدوانا وتتبعوا جنازته يحصبونها بالحجارة وأهانوه حيا وميتا أو أن هؤلاء الصحابة استباحوا قتـل عثمـان لما اقترفه من أفعال تتنافى مع الإسـلام كما جاء ذلك فى كتب التاريـخ، وليس هناك احتمال وسط إلا إذا كـذبنا التاريخ وأخذنا بالتمويه (بأن المصريين وهم كفرة هم الذين قتلوه). وفى كلا الاحتمالين نفى قاطع لمقولة عدالة الصحابة أجمعين دون استثناء فأمـا أن يكون عثمـان غير عـادل أو يكون قتلته غير عـدول وكلهم من الصـحابة وبـذلك تبطل دعوانا. وتبقى دعوى شـيعة أهل البيت القائلين بعدالـة البعض منهم دون الآخر. ونتسأل عن حرب الجمل التى أشـعلت نارها أم المؤمنين عائشـة إذ كانت [صـفحه ۱۴۰] هى التى قادتها بنفسـها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشـة من بيتها التى أمرها الله بالاسـتقرار فيه بقوله تعالى: (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الأولى) [۱۰۸]. ونسـأل بـأى حق اسـتباحت أم المؤمنين قتال خليفـة المسـلمين على بن أبى طالب، وهو ولى كل مؤمن ومؤمنة. وكالعادة وبكل بساطة يجيبنا علماؤنا بأنها لا تحب الإمام عليا لأنه أشار على رسول الله بتطليقها فى حادثة الإفك، ويريد هؤلاء إقناعنا بأن هذه الحادثة (إن صحت) وهى إشارة على على النبى بتطليقها كافية بأن تعصى أمر ربها وتهتك سترا ضربه عليها رسول الله، وتركب جملاـ نهاهـا رسول الله أن تركبه وحـذرها أن تنبحهـا كلاب الحوأب [۱۰۹]، وتقطع المسافات البعيـدة من المدينـة إلى مكة ومنها إلى البصـرة، وتسـتبيح قتل الأبرياء ومحاربـة أمير المؤمنين والصـحابة الـذين بايعوه، وتتسـبب فى قتل ألوف المسـلمين كما ذكر ذلك المؤرخون [۱۱۰] كـل ذلـك لأنها لا تحب الإمام عليا الـذى أشار بتطليقها ومع ذلك لم يطلقها النبى، فلماذا كل هـذه الكراهية وقد سـجل المؤرخون لها مواقف عدائية للإمام على لا يمكن تفسيرها، فقد كانت راجعة من مكة عندما أعلموها فى الطريق بأن عثمانا قتل ففرحت فرحا شديدا ولكنها عندما علمت بأن الناس بايعوا عليا غضبت وقالت: وددت أن السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبى طالب وقالت ردونى وبدأت تشـعل نار الفتنة للثورة على على الذى لا تريد ذكر اسـمه كما سجله المؤرخون عليها، أفلم تسمع أم المـؤمنين قـول الرسـول صـلى الله عليه وآله: (بـأن حب على إيمـان وبغضه نفـاق) [۱۱۱] حتى قـال بعض الصـحابة: (كنـا لا نعرف

المنافقين إلا ببغضهم لعلى). أولم تسمع أم المؤمنين قول النبى: (من كنت مولاه فعلى مولاه). إنها [صفحه ۱۴۱] لا شك سمعت كل ذلك ولكنها لا تحبه ولا تذكر اسمه بل إنها لما سمعت بموته سجدت شكرا لله [۱۱۲] . ودعنى من كل هذا فأنا لا أريد البحث عن تاريخ أم المؤمنين عائشة ولكن أريد الاستدلال على مخالفة كثير من الصحابة لمبادئ الإسلام وتخلفهم عن أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله، ويكفينى من فتنة أم المؤمنين دليل واحد أجمع عليه المؤرخون ; قالوا لما جازت عائشة ماء الحواب ونبحتها كلابها تذكرت تحذير زوجها رسول الله ونهيه إياها أن تكون هى صاحبة الجمل، فبكت وقالت ردونى، ردونى. ولكن طلحة والزبير جاءاها بخمسين رجلا جعلا لهم جعلا، فأقسموا بالله أن هذا ليس بماء الحوأب فواصلت مسيرها حتى البصرة، ويذكر المؤرخون أنها أول شهادة زور فى الإسلام [۱۱۳] . دلونا أيها المسلمون يا أصحاب العقول النيرة على حل لهذا الإشكال، أهؤلاء هم الصحابة الأجلاء الذين نحكم نحن بعدالتهم ونجعلهم أفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله! فيشهدون شهادة الزور التى عدها رسول الله صلى الله عليه وآله من الكبائر الموبقة التى تقود إلى النار. والسؤال نفسه يعود دائما ويتكرر أيهم على الحق وأيهم على الباطل، فإما أن يكون على ومن معه ظالمين وعلى غير الحق، وإما أن تكون عائشة ومن معها وطلحة والزبير ومن معهم ظالمين وعلى غير الحق وليس هناك احتمال ثالث، والباحث المنصف لا أراه إلا مائلا لأحقية على الذى يدور الحق معه حيث دار، نابذا فتنة (أم المؤمنين عائشة) وأتباعها الذين أوقدوا نارها وما أطفأوها حتى أكلت الأخضر واليابس وبقيت آثارها إلى اليوم. ولمزيد البحث وليطمئن قلبى أقول أخرج البخارى فى صحيحه من كتاب الفتن باب الفتنة التى تموج كموج البحر، قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى [صفحه ۱۴۲] البصرة بعث على عمار بن ياسر والحسن بن على فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن على فوق المنبر فى أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارا يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة ووالله إنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هى [۱۱۴] . كما أخرج البخارى أيضا فى كتاب الشروط باب ما جاء فى بيوت أزواج النبى، قال: قام النبى صلى الله عليه وآله خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان [۱۱۵] . كما أخرج البخارى فى صحيحه عنها أشياء عجيبة وغريبة فى سوء أدبها مع النبى حتى ضربها أبوها فأسال دمها وفى تظاهرها على النبى حتى هددها الله بالطلاق وأن يبدله ربه خيرا منها وهذه قصص أخرى يطول شرحها. وبعد كل هذا أتسأل كيف استحقت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، ألأنها زوج النبى، فزوجاته كثيرات وفيهن من هى أفضل من عائشة بتصريح النبى نفسه [۱۱۶] . أم لأنها ابنة أبى بكر! أم لأنها هى التى لعبت الدور الكبير فى إنكار وصية النبى لعلى حتى قالت عندما ذكروا عندها أن النبى أوصى لعلى: قالت من قاله لقد رأيت النبى صلى الله عليه وآله و إنى لمسندته إلى صدرى فدعا بالطست فانحنى فمات فماشعرت فكيف أوصى إلى على [۱۱۷] . أم لأنها حاربته حربا لا هوادة فيها وأولاده من بعده حتى اعترضت جنازة الحسن سيد شباب أهل الجنة ومنعت أن يدفن بجانب جده رسول الله قائلة: لا تدخلوا بيتى من لا أحب ونسيت أو تجاهلت قول الرسول فيه وفى أخيه: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، أو قوله: (أحب الله من أحبهما وأبغض الله [صفحه ۱۴۳] من أبغضهما)، أو قوله: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم ;) وغير ذلك كثير لست فى معرض الكلام عنه.. كيف لا ـ وهما ريحانتاه من هذه الأمة. ولا غرابة فقد سمعت فى حق على أضعاف ذلك ولكنها ورغم تحذير النبى صلى الله عليه وآله لها، أبت إلا محاربته وتأليب الناس عليه وإنكار فضله وفضائله. ومن أجل ذلك أحبها الأمويون وأنزلوها تلك المنزلة العظيمة التى تقصر عنها المنازل ورووا فى فضلها ما ملأ المطامير وسارت به الركبان حتى جعلوها المرجع الأكبر للأمة الإسلامية لأن عندها وحدها نصف الدين. ولعل نصف الدين الثانى خصوا به أبا هريرة الذى روى لهم ما يشتهون فقربوه وولوه إمارة المدينة وبنوا له قصر العقيق بعد ما كان معدما، ولقبوه براوية الإسلام. وبذلك سهل على بنى أمية أن يكون لهم دين كامل جديد ليس فيه من كتاب الله وسنة رسوله إلا ما تهواه أنفسهم ويتقوى به ملكهم وسلطانهم وخليق بهذا الدين أن يكون لعبا وهزوا مليئا بالمتناقضات والخرافات، وبذلك طمست الحقائق وحلت محلها الظلمات، وقد حملوا الناس عليها وأغروهم بها حتى أصبح دين الله عندهم مهزلة من المهازل لا يقيمون له وزنا

ولا ـ يخافون من الله كخوفهم من معاوية. وعندما نسأل بعض علمائنا عن حرب معاوية لعلى وقد بايعه المهاجرون والأنصار، تلك الحرب الطاحنة التى سببت انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة وانصدع الإسلام ولم يلتئم حتى اليوم، فإنهم يجيبون كالعادة وبكل سهولة قائلين: إن عليا ومعاوية صحابيان جليلان اجتهدا فعلى اجتهد وأصاب فله أجران أما معاوية فاجتهد وأخطأ وله أجر واحد. وليس من حقنا نحن أن نحكم لهم أو عليهم وقد قال الله تعالى: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون). هكذا - وللأسف - تكون إجاباتنا وهى كما ترى سفسطة لا يقول بها عقل ولا دين ولا يقر بها شرع، اللهم إنى أبرأ إليك من خطل الآراء وزلل الأهواء [صفحه ۱۴۴] و (أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون). كيف يحكم العقل السليم باجتهاد معاوية ويعطيه أجرا على حربه إمام المسلمين وقتله المؤمنين الأبرياء وارتكابه الجرائم والآثام التى لا يحصى عددها إلا الله وقد اشتهر عند المؤرخين بقتله معارضيه وتصفيتهم بطريقته المشهورة وهو إطعامهم عسلا مسموما وكان يقول: (إن لله جنودا من عسل). كيف يحكم هؤلاء باجتهاده ويعطونه أجرا وقد كان إمام الفئة الباغية؟ ففى الحديث المشهور الذى أخرجه كل المحدثين من السنة والشيعة وسواهم: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) ولم يختلف اثنان من المسلمين على أن الذى قتل عمارا وأصحابه هو معاوية! كيف يحكمون باجتهاده وقد قتل حجر بن عدى وأصحابه صبرا ودفنهم فى مرج عذراء ببادية الشام لأنهم امتنعوا عن سب على بن أبى طالب. كيف يريدونه صحابيا عادلا وقد دس السم للحسن بن على سيد شباب أهل الجنة وقتله. كيف ينزهونه وقد أخذ البيعة من الأمة بالقوة والقهر لنفسه أولا ثم لابنه الفاسق يزيد من بعده وبدل نظام الشورى بالملكية القيصرية [۱۱۸] . كيف يحكمون باجتهاده ويعطونه أجرا وقد حمل الناس على لعن على وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر، وقتل الصحابة الذين امتنعوا عن ذلك وأصبحت سنة متبعة يهرم عليها الكبير ويشيب عليها الصغير فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. والسؤال يعود دائما ويتكرر ويلح: ترى أى الفريقين على الحق وأيهما على الباطل؟ فإما أن يكون على وشيعته ظالمين وعلى غير الحق. وإما أن يكون معاوية وأتباعه ظالمين وعلى غير الحق، وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله كل شئ. [صفحه ۱۴۵] وفى كلا الحالين فإن عدالة الصحابة كلهم من غير استثناء أمر مستحيل، لا ينسجم مع المنطق السليم. ولكل هذه المواضيع أمثلة كثيرة لا يحصى عددها إلا الله ولو أردت الدخول فى التفصيل وبحث هذه المواضيع من كل جانبها لاحتجت إلى مجلدات كثيرة ولكننى رمت الاختصار وأخذت فى هذا البحث بعض الأمثلة وهى بحمد الله كافية لإبطال مزاعم قومى الذين جمدوا فكرى ردحا من الزمن وحجروا على أن أفقه الحديث أو أحلل الأحداث التاريخية بميزان العقل والمقاييس الشرعية التى علمنا إياها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ولذلك سوف أتمرد على نفسى وأنفض عنى غبار التعصب الذى غلفونى به وأتحرر من القيود والأغلال التى كبلونى بها أكثر من عشرين عاما ولسان حالى يقول لهم: يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين. يا ليت قومى اكتشفوا العالم الذى يجهلونه ويعادونه دون أن يعرفوه. [صفحه ۱۴۷]

بداية التحول

اشاره

بقيت متحيرا ثلاثة أشهر مضطربا حتى فى نومى تتجاذبنى الأفكار وتموج بى الظنون والأوهام خائفا على نفسى من بعض الصحابة الذين أحقق فى تاريخهم فأقف على بعض المفارقات المذهلة فى سلوكهم، لأن التربية التى تلقيتها طيلة حياتى تدعونى إلى احترام أولياء الله والصالحين من عباده وتقديسهم، الذين (يؤذون) من يقول فيهم سوءا أو يسئ إليهم الأدب حتى فى غيابهم وإن كانوا موتى. ولقد قرأت فى ما سبق فى كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى [۱۱۹] : أن رجلا كان يشتم عمر بن الخطاب وكان أصحابه فى القافلة ينهونه فلما ذهب يتبول لدغه أسود سالخ فمات لحينه وحفروا له لدفنه فوجدوا فى القبر أسود سالخا ثم حفروا قبورا أخرى وفى كل

مرة يجدون أسود سالخا، فقال لهم أحد العارفين ادفنوه أنى شئتم فلو حفرتم الأرض كلها لوجدتم أسود سالخا ذلك ليعذبه الله في الدنيا قبل الآخرة على شتمه سيدنا عمر!. ولذلك وجدتني وأنا أقحم نفسي في هذا البحث العسير خائفا محتارا وخصوصا لأنني تعلمت في الفرع الزيتوني بأن أفضل الخلفاء على التحقيق سيدنا أبو بكر الصديق ثم يأتي بعده سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق الذي يفرق الله به بين الحق والباطل، ثم بعده سيدنا عثمان بن عفان ذو النورين الذي استحت منه [صفحه ۱۴۸] ملائكة الرحمن، ثم بعده سيدنا على باب مدينة العلم، ثم يأتي بعد هؤلاء الأربعة الستة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة وهم، طلحة والزبير وسعد وسعيد، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، ثم يأتي بعد هؤلاء الصحابة جميعا، وكثيرا ما كانوا يعلموننا الاستدلال بالآية الكريمة (لا نفرق بين أحد من رسله) على وجوب النظر إلى بقية الصحابة بالمنظار نفسه دون خدش أي واحد منهم. وعلى هذا خشيت على نفسي واستغفرت ربي مرات عديدة أردت فيها الانقطاع عن البحث في مثل هذه الأمور التي تشككني في صحابة رسول الله وبالتالي تشككني في ديني ولكني وجدت من خلال الحديث مع بعض العلماء طيلة تلك المدة تناقضات لا يقبلها العقل وبدأوا يحذرونني من أنني إن واصلت البحث في أحوال الصحابة فسوف يسلب الله نعمته عني ويهلكني، ومن كثرة معاندتهم وتكذيبهم كل ما أقول دفعني فضولي العلمي وحرصي على بلوغ الحقيقة إلى أن أقحم نفسي من جديد في البحث ووجدت قوة داخلية تدفعني دفعا. [صفحه ۱۴۹]

محاورة مع عالم

قلت لأحد علمائنا: إذا كان معاوية قتل الأبرياء وهتك الأعراض وتحكمون بأنه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد. وإذا كان يزيد قتل أبناء الرسول وأباح المدينة لجيشه وتحكمون بأنه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد حتى قال بعضكم: (قتل الحسين بسيف جده!) لتبرير فعل يزيد. فلماذا لا أجتهد أنا في البحث وهو ما يجرني للشك في الصحابة وتعرية البعض منهم وهذا لا يقاس بالنسبة للقتل الذي فعله معاوية وابنه يزيد في العترة الطاهرة، فإن أصبت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر (واحد)، على أن انتقاصي لبعض الصحابة لا أريد منه السب والشتم واللعن، وإنما أريد الوصول إلى الحقيقة لمعرفة الفرقة الناجية من بين الفرق الضالة. وهذا واجبي وواجب كل مسلم، والله سبحانه يعلم السرائر وما تخفي الصدور. أجابني العالم قائلا: - يا بني لقد أغلق باب الاجتهاد من زمان. - فقلت ومن أغلقه؟. - قال الأئمة الأربعة. [صفحه ۱۵۰] - فقلت متحررا: الحمد لله إذ لم يكن الله هو الذي أغلقه ولا رسول الله ولا الخلفاء الراشدون الذين (أمرنا بالاقتداء بهم) فليس على حرج إذا اجتهدت كما اجتهدوا. - فقال: لا يمكنك الاجتهاد إلا إذا عرفت سبعة عشر علما، منها علم التفسير واللغة والنحو والصرف والبلاغة والأحاديث والتاريخ وغير ذلك. - وقاطعته قائلا: أنا لن اجتهد لأبين للناس أحكام القرآن والسنة أو لأكون صاحب مذهب في الإسلام، كلا، ولكن لأعرف من على الحق ومن على الباطل، ولمعرفة إن كان الإمام على على الحق، أو معاوية مثلا ولا يتطلب ذلك الإحاطة بسبعة عشر علما، ويكفي أن أدرس حياة كل منهما وما فعلاه حتى أتبين الحقيقة. - قال: وما يهمك أن تعرف ذلك (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون). قلت: أتقرأ (ولا تسألون) بفتح التاء أم بضمها؟. - قال: تسألون بالضم. قلت: الحمد لله لو كانت بالفتح لامتنع البحث، وما دامت بالضم فمعناها أن الله سبحانه سوف لن يحاسبنا عما فعلوا وذلك كقوله تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) و (أن ليس للإنسان إلا ما سعى). وقد حثنا القرآن الكريم على استطلاع أخبار الأمم السابقة ولنستخلص منها العبرة، وقد حكى الله لنا عن فرعون وهامان ونمرود وقارون وعن الأنبياء السابقين وشعوبهم، لا ـ للتسلية ولكن ليعرفنا الحق من الباطل. أما قولك (وما يهمني من هذا البحث)؟. فأجيب عليه بقولي: يهمني: أولا: لكي أعرف ولي الله فأواليه وأعرف عدو الله فأعاديه وهذا ما طلبه مني القرآن بل أوجبه علي. [صفحه ۱۵۱] ثانيا: يهمني أن أعرف كيف أ عبد الله وأتقرب إليه بالفرائض التي افترضها وكما يريدها هو جل وعلا لا كما يريدها مالك أو أبو حنيفة أو غيرهم من المجتهدين لأني وجدت مالكا يقول بكراهة البسملة في الصلاة بينما يقول أبو حنيفة بوجوبها، ويقول غيره ببطلان الصلاة بدونها وبما أن الصلاة هي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها، فلا أريد أن تكون صلاتي باطلة، كما أن الشيعة

يقولون بمسح الرجلين فى الوضوء ويقول السنة بغسلهما بينما نقرأ فى القرآن (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) وهى صريحة فى المسح، فكيف تريد يا سيدى أن يقبل المسلم العاقل قول هذا ويرد قول ذاك بدون بحث ودليل. – قال: بإمكانك أن تأخذ من كل مذهب ما يعجبك لأنها مذاهب إسلامية وكلهم من رسول الله ملتمس. – قلت: أخاف أن أكون ممن قال الله فيهم: (أفرأيت من اتخذ إلهه من هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [۱۲۰] يا سيدى أنا لا أعتقد بأن المذاهب كلها على حق ما دام الواحد منهم يبيح الشئ ويحرمه الآخر، فلا يمكن أن يكون الشئ حراما وحلالا فى آن واحد والرسول صلى الله عليه وآله لم يتناقض فى أحكامه لأنه (وحى من القرآن)(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) [۱۲۱] وبما أن المذاهب الأربعة فيها اختلاف كثير فليست من عند الله ولا من عند رسوله لأن الرسول لا يناقض القرآن. ولما رأى الشيخ العالم كلامى منطقيا وحجتى مقبولة. – قال: أنصحك لوجه الله تعالى مهما شككت فلا تشك فى الخلفاء الراشدين فهم أعمدة الإسلام الأربعة إذا هدمت عمودا منها سقط البناء.. – قلت: استغفر الله يا سيدى فأين رسول الله إذن إذا كان هؤلاء هم أعمدة الإسلام؟ [صفحه ۱۵۲] أجاب: رسول الله هو ذاك البناء! هو الإسلام كله. ابتسمت من هذا التحليل وقلت: استغفر الله مرة أخرى يا سيدى الشيخ فأنت تقول من حيث لا تشعر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن ليستقيم إلا بهؤلاء الأربعة بينما يقول الله تعالى: (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) [۱۲۲] . فقد أرسل محمدا بالرسالة ولم يشركه فيها أحدا من هؤلاء الأربعة ولا من غيرهم وقد قال الله تعالى فى هذا الصدد: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو: عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) [۱۲۳] . – قال: هذا ما تعلمناه نحن من مشايخنا وأئمتنا، ولم نكن نحن فى جيلنا نناقش ولا نجادل العلماء مثلكم اليوم الجيل الجديد أصبحتم تشكون فى كل شئ وتشككون فى الدين، وهذه من علامات الساعة فقد قال صلى الله عليه وآله: (لن تقوم الساعة إلا على شرار الخلق). – فقلت: يا سيدى لماذا هذا التهويل أعوذ بالله أن أشك فى الدين أو أشكك فيه، فقد آمنت بالله وحده لا شريك له وملائكته وكتبه ورسله، وآمنت بأن سيدنا محمدا عبده ورسوله وهو أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وأنا من المسلمين، فكيف تتهمنى بهذا؟. – قال: أتهمك بأكثر من هذا لأنك تشكك فى سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وقد قال (ص): (لو وزن إيمان أمتى بإيمان أبى بكر لرجح إيمان أبى بكر). وقال فى حق سيدنا عمر (عرضت على أمتى وهى ترتدى قمصا لم تبلغ الثدى وعرض على عمر وهو يجر قميصه، قالوا ما أولته يا رسول الله قال: الدين). [صفحه ۱۵۳] وتأتى أنت اليوم فى القرن الرابع عشر لتشكك فى عدالة الصحابة وبالخصوص أبى بكر وعمر. ألم تعلم بأن أهل العراق هم أهل الشقاق، هم أهل الكفر والنفاق!!. – ماذا أقول لهذا العالم المدعى العلم الذى أخذته العزة بالإثم، فتحول من الجدال بالتى هى أحسن إلى التهريج والافتراء وبث الإشاعات أمام مجموعة من الناس المعجبين به والذين احمرت أعينهم وانتفخت أوداجهم ولاحظت فى وجوههم الشر. فما كان منى إلا أن أسرعت إلى البيت وأتيتهم بكتاب الموطأ للإمام مالك وصحيح البخارى وقلت يا سيدى: إن الذى بعثنى على هذا الشك هو رسول الله نفسه وفتحت كتاب الموطأ وفيه روى مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق، ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى ولكن لا أدرى ما تحدثون بعدى! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: (إننا لكائنون بعدك) [۱۲۴] . ثم فتحت صحيح البخارى وفيه دخل عمر بن الخطاب على حفصة وعندها أسماء بنت عميس فقال – حين رآها – من هذه؟ قالت أسماء بنت عميس، قال عمر الحبشية هذه، البحرية هذه. قالت أسماء نعم، قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم. فغضبت وقالت كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا فى دار أو فى أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك فى الله وفى رسوله وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك للنبى أسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبى صلى الله عليه وآله قالت يا نبى الله، عمر قال كذا وكذا [صفحه ۱۵۴] قال فما قلت له قالت كذا وكذا. قال: ليس بأحق بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان قالت

فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوننى أرسالا يسألوننى عن هذا الحديث ما من الدنيا شئ هم به أفرح ولا أعظم ما فى أنفسهم مما قال لهم النبى صلى الله عليه وآله [۱۲۵] . وبعد ما قرأ الشيخ العالم والحاضرون معه الأحاديث تغيرت وجوههم وبدأوا ينظرون بعضهم إلى بعض ينتظرون رد العالم الذى صدم فما كان منه إلا أن رفع حاجبيه علامة التعجب وقال: (وقل رب زدنى علما). فقلت: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو أول من شك فى أبى بكر ولم يشهد عليه لأنه لا يدرى ماذا سوف يحدث من بعده، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقر بتفضيل عمر بن الخطاب على أسماء بنت عميس بل فضلها عليه، فمن حقى أن أشك وأن لا ـ أفضل أحدا حتى أتبين وأعرف الحقيقة ومن المعلوم أن هذين الحديثين يناقضان كل الأحاديث الواردة فى فضل أبى بكر وعمر ويبطلانها، لأنهما أقرب إلى الواقع المعقول من أحاديث الفضائل المزعومة ; قال الحاضرون! وكيف ذلك؟. قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشهد على أبى بكر وقال له إننى لا أدرى ماذا تحدثون بعدى! فهذا معقول جدا وقد قرر ذلك القرآن الكريم والتاريخ يشهد أنهم بدلوا بعده ولذلك بكى أبو بكر وقد بدل وأغضب فاطمة الزهراء بنت الرسول – كما سبق – وقد بدل حتى ندم قبل وفاته وتمنى أن لا يكون بشرا. أما الحديث الذى يقول: (لو وزن إيمان أمتى بإيمان أبى بكر لرجح إيمان أبى بكر) فهو باطل وغير معقول، ولا يمكن أن يكون رجل قضى أربعين سنة من عمره يشرك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيمانا من أمة محمد بأسرها، وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلها جهادا فى سبيل الله، [صفحه ۱۵۵] ثم أين أبو بكر من هذا الحديث؟ لو كان صحيحا لما كان فى آخر حياته يتمنى أن لا يكون بشرا. ولو كان إيمانه يفوق إيمان الأمة ما كانت سيدة النساء، فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله، تغضب عليه وتدعو الله عليه فى كل صلاة تصليها. ولم يرد العالم بشئ، ولكن بعض الجالسين قالوا: لقد بعث – والله – هذا الحديث الشك فينا، عند ذلك تكلم العالم ليقول لى: أهذا ما تريده؟ لقد شككت هؤلاء فى دينهم وكفانى أحدهم الرد عليه إذ قال: كلا، إن الحق معه، نحن لم نقرأ فى حياتنا كتابا كاملا، واتبعناكم واقتدينا بكم فى ثقة عمياء بدون نقاش، وقد تبين لنا الآن أن ما يقوله الحاج صحيح، فمن واجبنا أن نقرأ ونبحث!! ووافقه على رأيه بعض الحاضرين، وكان ذلك انتصارا للحق والحقيقة، ولم يكن انتصارا بالقوة والقهر ولكنه انتصار العقل والحجة والبرهان (وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين). ذلك ما دفعنى وشجعنى على الدخول فى البحث وفتح الباب على مصراعيه فدخلته باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، راجيا منه سبحانه وتعالى التوفيق والهداية فهو الذى وعد بهداية كل باحث عن الحق وهو لا يخلف وعده. قرأت كتاب المراجعات للإمام شرف الدين وراجعته عدة مرات وقد فتح أمامى آفاقا سببت هدايتى وشرحت صدرى لحب أهل البيت ومودتهم. وقرأت كتاب الغدير للشيخ الأمينى وأعدته ثلاث مرات لما فيه من حقائق دامغة واضحة جلية وقرأت كتاب فدك فى التاريخ للسيد محمد باقر الصدر وكتاب السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر وفهمت منهما أسرارا غامضة اتضحت، كما قرأت كتاب النص والاجتهاد فازددت يقينا ثم قرأت كتاب أبى هريرة لشرف الدين وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية المصرى وعرفت أن الصحابة الذين غيروا بعد رسول الله قسمان، قسم غير الأحكام بما له من السلطة والقوة الحاكمة، وقسم غير الأحكام بوضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قرأت كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر وعرفت [صفحه ۱۵۶] الفرق بين العلم الموهوب والعلم المكسوب عرفت الفرق بين حكمة الله التى يؤتيها من يشاء وبين التطفل على العلم والاجتهاد بالرأى الذى أبعد الأمة عن روح الإسلام. وقرأت كتبا أخرى عديدة للسيد جعفر مرتضى العاملى والسيد مرتضى العسكرى والسيد الخوئى والسيد الطباطبائى والشيخ محمد أمين زين الدين وللفيروزآبادى ولابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه لنهج البلاغة والفتنة الكبرى لطه حسين، ومن كتب التاريخ قرأت تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير وتاريخ المسعودى وتاريخ اليعقوبى، وقرأت الكثير حتى اقتنعت بأن الشيعة الإمامية على حق فتشيعت وركبت على بركة الله سفينة أهل البيت وتمسكت بحبل ولائهم لأنى وجدت بمحمد الله البديل عن بعض الصحابة الذين ثبت عندى أنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى ولم ينج منهم إلا القليل وأبدلتهم بأئمة أهل البيت النبوى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وافترض مودتهم على الناس أجمعين. فالشيعة ليسوا كما يدعى بعض علمائنا، هم الفرس والمجوس الذين حطم سيدنا عمر كبرياءهم

ومجدهم وعظمتهم فی حرب القادسیة ولذلک یبغضونه ویکرهونه!. وأجبت هؤلاء الجاهلین بأن التشیع لأهل البیت النبوی لا یختص بالفرس بل الشیعة فی العراق وفی الحجاز وفی سوریا ولبنان کل هؤلاء عرب کما یوجد الشیعة فی الباکستان والهند وفی إفریقیا وأمریکا وکل هؤلاء لیسوا من العرب ولا من الفرس. ولو اقتصرنا علی شیعة إیران فإن الحجة تکون أبلغ إذ أننی وجدت الفرس یقولون بإمامة الأئمة الاثنی عشر وکلهم من العرب من قریش من بنی هاشم عترة النبی، فلو کان الفرس متعصبین ویکرهون العرب کما یدعی البعض لاتخذوا سلمان الفارسی إماما لهم لأنه منهم وهو صحابی جلیل عرف قدره کل من الشیعة والسنة علی حد سواء. بینما وجدت أهل السنة والجماعة ینقطعون فی الإمامة إلی الفرس فأغلب [صفحه ۱۵۷] أئمتهم من الفرس کأبی حنیفة والإمام النسائی والترمذی والبخاری ومسلم وابن ماجة والرازی والإمام الغزالی وابن سینا والفارابی وغیرهم کثیرون یضیق بهم المقام فإذا کان الشیعة من الفرس یرفضون عمر بن الخطاب لأنه حطم کبریاءهم وعظمتهم فبماذا نفسر رفض الشیعة له من العرب وغیر الفرس فهذه دعوی لا تقوم علی دلیل، وإنما رفض هؤلاء عمر للدور الذی قام به فی إبعاد أمیر المؤمنین وسید الوصیین علی بن أبی طالب عن الخلافة بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وما سبب ذلک من فتن ومحن وقلاقل وانحلال لهذه الأمة ویکفی أن یزاح الحجاب عن أی باحث حر وتکشف له الحقیقة حتی یرفضه بدون عداوة سابقة. والحق إن الشیعة سواء کانوا من الفرس أم من العرب أم من غیر هؤلاء قد خضعوا للنصوص القرآنیة والنصوص النبویة واتبعوا إمام الهدی وأولاده مصابیح الدجی ولم یرضوا بغیرهم رغم سیاسة الترغیب والترهیب التی قادها الأمویون ومن بعدهم العباسیون طیلة سبعة قرون تتبعوا خلالها الشیعة تحت کل حجر ومدر وقتلوهم وشردوهم ومنعوهم العطاء ومحوا آثارهم وأثاروا حولهم الإشاعات والدعایات التی تنفر الناس منهم وبقیت هذه الآثار حتی الیوم. ولکن الشیعة ثبتوا وصمدوا وصبروا وتمسکوا بالحق لا تأخذهم فی الله لومة لائم وهم یدفعون حتی الیوم ثمن هذا الصمود، وإنی أتحدی أی عالم من علمائنا أن یجلس مع علمائهم ویجادلهم فلا یخرج إلا مستبصرا بالهدی الذی هم علیه. نعم وجدت البدیل والحمد لله الذی هدانی لهذا وما کنت لأهتدی لولا أن هدانی الله. الحمد لله والشکر له علی أن دلنی علی الفرقة الناجیة التی کنت أبحث عنها بلهف ولم یبق عندی أی شک فی أن المتمسک بعلی وأهل البیت قد تمسک بالعروة الوثقی لا انفصام لها، والنصوص النبویة علی ذلک کثیرة أجمع علیها المسلمون، والعقل وحده خیر دلیل لمن ألقی السمع وهو شهید، فعلی کان أعلم الصحابة وأشجعهم علی الاطلاق وذلک بإجماع الأمة، وهذا وحده کاف للدلالة علی أحقیته (ع) للخلافة دون غیره، قال الله تعالی: (وقال لهم نبیهم إن الله قد [صفحه ۱۵۸] بعث لکم طالوت ملکا، قالوا أنی یکون له الملک علینا ونحن أحق بالملک منه ولم یؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه علیکم وزاده بسطة فی العلم والجسم والله یؤتی ملکه من یشاء والله واسع علیم) [۱۲۶] . وقد قال رسول الله صلی الله علیه وآله:(إن علیا منی وأنا منه وهو ولی کل مؤمن من بعدی) [۱۲۷] . وقال الإمام الزمخشری فی أبیات له: کثر الشک والخلاف وکل یدعی أنه الصراط السوی فتمسکت بلا إله إلا الله وحبی لأحمد وعلی فاز کلب بحب أصحاب کهف کیف أشقی بحب آل النبی نعم وجدت البدیل بحمد الله، وصرت أقتدی – بعد رسول الله – بأمیر المؤمنین وسید الوصیین وقائد الغر المحجلین أسد الله الغالب الإمام علی بن أبی طالب وبسیدی شباب أهل الجنة وریحانتی النبی من هذه الأمة الإمام أبی محمد الحسن الزکی والإمام أبی عبد الله الحسین وببضعة المصطفی سلالة النبوة وأم الأئمة معدن الرسالة ومن یغضب لغضبها رب العزة والجلالة سیدة النساء فاطمة الزهراء. وأبدلت الإمام مالک بأستاذ الأئمة ومعلم الأمة الإمام جعفر الصادق. وتمسکت بالأئمة التسعة المعصومین من ذریة الحسین أئمة المسلمین وأولیاء الله الصالحین. وأبدلت الصحابة المنقلبین علی أعقابهم أمثال معاویة وعمرو بن العاص، والمغیرة بن شعبة وأبی هریرة وعکرمة وکعب الأحبار وغیرهم بالصحابة الشاکرین الذین لم ینقضوا عهد النبی أمثال عمار بن یاسر وسلمان الفارسی وأبی ذر الغفاری [صفحه ۱۵۹] والمقداد بن الأسود وخزیمة بن ثابت ذی الشهادتین وأبی بن کعب وغیرهم والحمد لله علی هذا الاستبصار. وأبدلت علماء قومی، الذین جمدوا عقولنا واتبع کثیر منهم السلاطین والحکام فی کل زمان، بعلماء الشیعة الأبرار الذین ما أغلقوا یوما باب الاجتهاد ولا وهنوا ولا استکانوا للأمراء والسلاطین الظالمین. نعم أبدلت أفکارا متحجرة متعصبة تؤمن بالتناقضات بأفکار نیرة متحررة ومتفتحة

تؤمن بالدلیل والحجهٔ والبرهان. وکما یقال فی عصرنا الحاضر: (غسلت دماغی) من أوساخ کثفتها علیه – طوال ثلاثین عاما – أضالیل بنی أمیهٔ وطهرته بعقیدهٔ المعصومین الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا لما تبقی من حیاتی). اللهم أحینا علی ملتهم وأمتنا علی سنتهم واحشرنا معهم فقد قال نبیک صلی الله علیه وآله (یحشر المرء مع من أحب). وبذلک أکون قد رجعت إلی أصلی، فقد کان أبی وأعمامی یحدثوننا حسب الشجرهٔ التی یعرفونها أنهم من السادهٔ الذین هربوا من العراق تحت الضغط العباسی ولجأوا إلی شمال إفریقیا حیث أقاموا فی تونس وبقیت آثارهم حتی الیوم. وهناک فی شمال إفریقیا کثیرون مثلنا یسمون الأشراف لأنهم من السلالهٔ الطاهرهٔ ولکنهم تاهوا فی ضلالات الأمویین والعباسیین ولم یبق عندهم من الحقیقهٔ شئ إلا ذلک الاحترام والتقدیر الذی یکنه لهم الناس، فالحمد لله علی هدایته والحمد لله علی استبصاری وفتح بصری وبصیرتی علی الحقیقهٔ [صفحه ۱۶۱]

اسباب الاستبصار

اشاره

أما الأسباب التی دعتنی للاستبصار فکثیرهٔ جدا ولا یمکن لی فی هذه العجالهٔ إلا ذکر بعض الأمثلهٔ منها:

النص علی الخلافهٔ

لقد آلیت علی نفسی عند الدخول فی هذا البحث أن لا أعتمد إلا ما هو موثوق عند الفریقین وأن أطرح ما انفردت به فرقهٔ دون الأخری، وعلی ذلک أبحث فی فکرهٔ التفضیل بین أبی بکر وعلی بن أبی طالب وأن الخلافهٔ إنما کانت بالنص علی علی کما یدعی الشیعهٔ أو بالانتخاب والشوری کما یدعی أهل السنهٔ والجماعهٔ. والباحث فی هذا الموضوع إذا تجرد للحقیقهٔ فإنه سیجد النص علی علی بن أبی طالب واضحا جلیا کقوله صلی الله علیه وآله: (من کنت مولاه فهذا علی مولاه) قال ذلک بعد ما انصرف من حجهٔ الوداع فعقد لعلی موکب للتهنئهٔ حتی أن أبا بکر نفسه وعمر کانا من جماعهٔ المهنئین للإمام (ع) ویقولان: (بخ بخ لک یا ابن أبی طالب أصبحت وأمسیت مولی کل مؤمن ومؤمنهٔ) [۱۲۸] . [صفحه ۱۶۲] وهذا النص مجمع علیه من الشیعهٔ والسنهٔ، ولم أخرج أنا فی البحث – هذا – إلا مصادر أهل السنهٔ والجماعهٔ ومع ذلک لم أذکر المصادر کلها فهی أکثر بکثیر مما ذکرت، وللاطلاع علی مزید من التفصیل أدعو القارئ إلی مطالعهٔ کتاب الغدیر للعلامهٔ الأمینی وقد طبع منه ثلاثهٔ عشر مجلدا یحصی فیها المصنف رواهٔ هذا الحدیث من طریق أهل السنهٔ والجماعهٔ. أما الاجماع المدعی علی انتخاب أبی بکر یوم السقیفهٔ ثم مبایعته بعد ذلک فی المسجد، فإنه دعوی بدون دلیل، إذ کیف یکون الاجماع وقد تخلف عن البیعهٔ علی والعباس وسائر بنی هاشم کما تخلف أسامهٔ بن زید والزبیر وسلمان الفارسی وأبو ذر الغفاری والمقداد بن الأسود وعمار بن یاسر وحذیفهٔ بن الیمان وخزیمهٔ بن ثابت وأبو بریدهٔ الأسلمی والبراء بن عازب وأبی بن کعب وسهل بن حنیف وسعد بن عبادهٔ وقیس بن سعد وأبو أیوب الأنصاری وجابر بن عبد الله وخالد بن سعید وغیر هؤلاء کثیرون [۱۲۹] . فأین الاجماع المزعوم یا عباد الله؟ علی أنه لو کان علی بن أبی طالب وحده تخلف عن البیعهٔ لکان ذلک کافیا للطعن فی ذلک الاجماع إذ أنه المرشح الوحید للخلافهٔ من قبل الرسول علی فرض عدم وجود النص المباشر علیه. وإنما کانت بیعهٔ أبی بکر عن غیر مشورهٔ بل وقعت علی حین غفلهٔ من الناس وخصوصا أولی الحل والعقد منهم کما یسمیهم علماء المسلمین إذ کانوا مشغولین بتجهیز الرسول ودفنه، وقد فوجئ سکان المدینهٔ المنکوبهٔ بموت نبیهم وحمل الناس علی البیعهٔ بعد ذلک قهرا [۱۳۰] کما یشعرنا بذلک تهدیدهم بحرق بیت فاطمهٔ إن لم یخرج المتخلفون عن البیعهٔ فکیف یجوز لنا بعد هذا أن نقول بأن البیعهٔ کانت بالمشورهٔ وبالإجماع. وقد شهد عمر بن الخطاب نفسه بأن تلک البیعهٔ کانت فلتهٔ وقی الله [صفحه ۱۶۳] المسلمین شرها، وقال فمن عاد إلی مثلها فاقتلوه ; أو قال فمن دعا إلی مثلها فلا بیعهٔ له ولا لمن بایعه [۱۳۱] . ویقول الإمام علی فی حقها: (أما والله لقد تقمصها

ابن أبی قحافة وإنه لیعلم أن محلی منها محل القطب من الرحی ینحدر عنی السیل ولا یرقی إلی الطیر [۱۳۲] . ویقول سعد بن عبادة سید الأنصار الذی هاجم أبا بکر وعمر یوم السقیفة وحاول بکل جهوده أن یمنعهم ویبعدهم عن الخلافة ولکنه عجز عن مقاومتهم لأنه کان مریضا لا یقدر علی الوقوف، وبعدما بایع الأنصار أبا بکر قال سعد: والله لا أبایعکم أبدا حتی أرمیکم بکل سهم فی کنانتی من نبل، وأخضب سنانی ورمحی، وأضربکم بسیفی ما ملکته یدی، وأقاتلکم بمن معی من أهلی وعشیرتی ولا ـ والله لو أن الجن اجتمعت لکم مع الإنس ما بایعتکم حتی أعرض علی ربی، فکان لا یصلی بصلاتهم ولا یجتمع بجمعتهم، ولا یفیض بإفاضتهم، ولو یجد علیهم أعوانا لطال بهم، ولو بایعه أحد علی قتالهم لقاتلهم، ولم یزل کذلک حتی قتل بالشام فی خلافة عمر [۱۳۳] . فإذا کانت هذه البیعة فلتة وقی الله المسلمین شرها علی حد تعبیر عمر الذی شید أرکانها وعرفت ما آلت إلیه أمور المسلمین بسببها. وإذا کانت هذه الخلافة تقمصا - من قبل أبی بکر - کما وصفها الإمام علی إذ قال بأنه هو صاحبها الشرعی. وإذا کانت هذه البیعة ظلما کما اعتبرها سعد بن عبادة سید الأنصار الذی فارق الجماعة بسببها. وإذا کانت هذه البیعة غیر شرعیة لتخلف أکابر الصحابة والعباس عم النبی عنها. [صفحه ۱۶۴] فما هی إذن الحجة فی صحة خلافة أبی بکر؟ والجواب لا حجة هناک عند أهل السنة والجماعة. فقول الشیعة إذن هو الصحیح فی هذا الموضوع، لأنه ثبت وجود النص علی خلافة علی عند السنة أنفسهم، وقد تأولوه حفاظا علی کرامة الصحابة، فالمنصف العادل لا یجد مناصا من قبول النص وبالأخص إذا عرف ملابسات القضیة [۱۳۴] .

خلاف فاطمة مع أبی بکر

وهذا الموضوع أیضا مجمع علی صحته من الفریقین فلا یسع المنصف العاقل إلا أن یحکم بخطأ أبی بکر إن لم یعترف بظلمه وحیفه علی سیدة النساء. لأن من یتتبع هذه المأساة ویطلع علی جوانبها یعلم علم الیقین أن أبا بکر تعمد إیذاء الزهراء وتکذیبها لئلا تحتج علیه بنصوص الغدیر وغیرها علی خلافة زوجها وابن عمها علی ونجد قرائن عدیدة علی ذلک، منها ما أخرجه المؤرخون من أنها - سلام الله علیها - خرجت تطوف علی مجالس الأنصار وتطلب منهم النصرة والبیعة لابن عمها، فکانوا یقولون: (یا ابنة رسول الله قد مضت بیعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجک وابن عمک سبق إلینا قبل أبی بکر ما عدلنا به، فیقول علی کرم الله وجهه: أفکنت أدع رسول الله صلی الله علیه وآله فی بیته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما کان ینبغی له، ولقد صنعوا ما الله حسیبهم وطالبهم [۱۳۵] . ولو کان أبو بکر مخطئا عن حسن نیة أو علی اشتباه لأقنعته فاطمة الزهراء ولکنها غضبت علیه ولم تکلمه حتی ماتت، لأنه رد فی کل مرة دعواها ولم یقبل شهادتها ولا شهادة زوجها ولکل هذا اشتد غضبها علیه حتی أنها لم تأذن له بحضور جنازتها حسب وصیتها لزوجها الذی دفنها فی اللیل سرا [۱۳۶] . [صفحه ۱۶۵] وعلی ذکر دفنها - سلام الله علیها - سرا فی اللیل فقد سافرت خلال سنوات البحث إلی المدینة المنورة لأطلع بنفسی علی بعض الحقائق، واکتشفت. أولا: أن قبر الزهراء مجهول لا ـ یعرفه أحد فمن قائل بأنه فی الحجرة النبویة ومن قائل بأنه فی بیتها مقابل الحجرة النبویة، وثالث یقول: (إنه فی البقیع وسط قبور أهل البیت بدون تحدید). هذه الحقیقة الأولی التی استنتجت منها أنها - سلام الله علیها - أرادت بهذا أن یتسأل المسلمون عبر الأجیال عن السبب الذی دعاها أن تطلب من زوجها أن یدفنها فی اللیل سرا ولا یحضر جنازتها منهم أحدا!!! وبذلک یمکن لأی مسلم أن یصل إلی بعض الحقائق المثیرة من خلال مراجعة التاریخ. ثانیا: اکتشفت أن الزائر الذی یرید زیارة قبر عثمان بن عفان یمشی مسافة طویلة حتی یصل إلی آخر البقیع فیجده تحت الحائط بینما یجد أغلب الصحابة مدفونین فی بدایة البقیع قرب المدخل وحتی مالک بن أنس صاحب المذهب وهو من تابعی التابعین مدفون قرب زوجات الرسول، وتحقق لدی ما قاله المؤرخون من أنه دفن بحش کوکب وهی أرض یهودیة لأن المسلمین منعوا دفنه فی بقیع رسول الله، ولما استولی معاویة بن أبی سفیان علی الخلافة اشتری تلک الأرض من الیهود وأدخلها فی البقیع لیدخل بذلک قبر ابن عمه عثمان فیها والذی یزور البقیع حتی الیوم سیری هذه الحقیقة بأجلی ما تکون. وإن عجبی لکبیر حین أعلم أن فاطمة الزهراء - سلام الله علیها - أول من لحق بأبیها فبینها وبینه، ستة أشهر علی أکثر

الاحتمالات ثم لا ـ تدفن إلى جانب أبيها. وإذا كانت فاطمة الزهراء هى التى أوصت بدفنها سرا فلم تدفن بالقرب من قبر أبيها كما ذكرت فما بال ما حصل مع جثمان ولدها الحسن لم يدفن قرب قبر جده؟! فقد منعت هذا (أم المؤمنين) عائشة وقد فعلت ذلك عندما جاء الحسين بأخيه الحسن (ع) ليدفنه إلى جانب جده رسول الله، فركبت عائشة بغلة وخرجت تنادى وتقول: لا تدفنوا فى بيتى من لا أحب [صفحه ۱۶۶] واصطف بنو أمية وبنو هاشم للحرب ولكن الإمام الحسين (ع) قال لها أنه سيطوف بأخيه على قبر جده ثم يدفنه فى البقيع لأن الإمام الحسن أوصاه أن لا يهرقوا من أجله ولو محجمة من دم. وقال لها ابن عباس أبياتا مشهورة ; تجملت [۱۳۷] تبغلت [۱۳۸] . ولو عشت تفيلت لك التسع من الثمن وبالكل تصرفت وهذه حقيقة أخرى من الحقائق المخيفة، فكيف ترث عائشة كل البيت من بين أزواج النبى المتعددات وهن تسع نساء حسب ما قاله ابن عباس: وإذا كان النبى لا يورث كما شهد بذلك أبو بكر نفسه ومنع ذلك ميراث الزهراء من أبيها فكيف ترث عائشة؟ فهل هناك فى كتاب الله آية تعطى الزوجة حق الميراث وتمنع البنت؟ أم أن السياسة هى التى أبدلت كل شئ فحرمت البنت من كل شئ وأعطت الزوجة كل شئ؟. وبالمناسبة أذكر هنا قصة طريفة ذكرها بعض المؤرخين ولها علاقة بموضوع الإرث. قال ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه لنهج البلاغة: جاءت عائشة وحفصة ودخلتا على عثمان أيام خلافته وطلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان عثمان متكئا فاستوى جالسا وقال لعائشة: أنت وهذه الجالسة جئتما بأعرابى يتطهر ببوله وشهدتما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن معشر الأنبياء لا نورث فإذا كان الرسول حقيقة لا ـ يورث فماذا تطلبان بعد هذا، وإذا كان الرسول يورث لماذا منعتم فاطمة حقها؟ فخرجت من عنده [صفحه ۱۶۷] غاضبة وقالت: اقتلوا نعثلا فقد كفر [۱۳۹] .

على أولى بالاتباع

ومن الأسباب التى دعتنى للاستبصار وترك سنة الآباء والأجداد، الموازنة العقلية والنقلية بين على بن أبى طالب وأبى بكر. وكما ذكرت فى الأبواب السابقة من هذا البحث إنى أعتمد على الاجماع الذى يوافق عليه أهل السنة والشيعة. وقد فتشت فى كتب الفريقين فلم أجد إجماعا إلا على على بن أبى طالب فقد أجمع على إمامته الشيعة والسنة فى ما ورد من نصوص ثبتتها مصادر الطرفين، بينما لا يقول بإمامة أبى بكر إلا فريق من المسلمين وقد كنا ذكرنا ما قاله عمر عن بيعة أبى بكر ; كما أن الكثير من الفضائل والمناقب التى يذكرها الشيعة فى على بن أبى طالب لها سند ووجود حقيقى ثابت فى كتب أهل السنة المعتمدة عندهم، ومن عدة طرق لا يتطرق إليها الشك، فقد روى الحديث فى فضائل الإمام على جمع غفير من الصحابة، حتى قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل كما جاء لعلى بن أبى طالب [۱۴۰] . وقال القاضى إسماعيل والنسائى وأبو على النيسابورى: لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء فى على [۱۴۱] . هذا مع ملاحظة أن الأمويين حملوا الناس فى مشارق الأرض ومغاربها على سبه ولعنه وعدم ذكر فضيلة له حتى منعوا أن يتسمى أحد باسمه، ومع كل ذلك [صفحه ۱۶۸] خرجت فضائله ومناقبه سلام الله عليه رغم الجحود ; وفى ذلك يقول الإمام الشافعى (عجبت لرجل كتم أعداؤه فضائله حسدا، وكتمها محبوه خوفا، وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين). أما بشأن أبى بكر فقد فتشت أيضا فى كتب الفريقين فلم أجد له فى كتب أهل السنة والجماعة القائلين بتفضيله ما يوازى أو يعادل فضائل الإمام على، على أن فضائل أبى بكر المذكورة فى الكتب التاريخية مروية إما عن ابنته عائشة وقد عرفنا موقفها من الإمام على فهى تحاول بكل جهدها دعم أبيها ولو بأحاديث موضوعة أو عن عبد الله بن عمر وهو أيضا من البعيدين عن الإمام على وقد رفض مبايعته بعدما أجمع الناس على ذلك وكان يحدث أن أفضل الناس بعد النبى أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم لا تفاضل والناس بعد ذلك سواسية [۱۴۲] يعنى هذا الحديث أن عبد الله بن عمر جعل الإمام على من سوقة الناس كأى شخص عادى ليس له فضل ولا ـ فضيلة. فأين عبد الله بن عمر من الحقائق التى ذكرها أعلام الأمة وأئمتها بأنه لم يرد فى أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء فى على بن أبى طالب، هل أن عبد الله بن عمر لم يسمع بفضيلة واحدة لعلى؟ بلى والله لقد سمع

ووعی ولکن السیاسة وما أدراک ما السیاسة فهی تقلب الحقائق وتصنع الأعاجیب. کذلک یروی فضائل أبی بکر، کل من عمرو بن العاص وأبو هریرة وعروة وعکرمة وهؤلاء کلهم یکشف التاریخ أنهم کانوا متحاملین علی الإمام علی وحاربوه إما بالسلاح وإما بالدس واختلاق الفضائل لأعدائه وخصومه. قال الإمام أحمد بن حنبل: إن علیا کان کثیر الأعداء ففتش أعداؤه عن شئ یعیبونه به فلم یجدوا، فجاؤوا إلی رجل قد حاربه وقاتله، فأطروه کیدا منهم له [۱۴۳] . [صفحه ۱۶۹] ولکن الله یقول: (إنهم یکیدون کیدا، وأکید کیدا، فمهل الکافرین أمهلهم رویدا) [۱۴۴] . وإنه لمن معجزات الله سبحانه أن تخرج فضائل الإمام علی بعد ستة قرون من الحکم الجائر الظالم له ولأهل بیته، إذ لم یکن العباسیون أقل بغضا وحسدا ونکایة وتقتیلا لأهل البیت النبوی من أسلافهم الأمویین حتی قال أبو فراس الحمدانی فی ذلک: ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت تلک الجرائر إلا دون نیلکم کم غدرة لکم فی الدین واضحة وکم دم لرسول الله عندکم أنتم له شیعة فی ما ترون وفی أظفارکم من بنیه الطاهرین دم فإذا خلصت بعد کل ذلک تلکم الأحادیث وخرجت من تلکم الظلمات فلتکن لله الحجة البالغة، ولئلا یکون للناس علی الله حجة بعد ذلک. ورغم أن أبا بکر کان هو الخلیفة الأول وله من النفوذ ما قد عرفنا ورغم أن الدولة الأمویة کانت تجعل عطاء خاصا ورشوة لکل من یروی فی حق أبی بکر وعمر وعثمان ورغم أنها اختلقت لأبی بکر من الفضائل والمناقب الکثیر مما سودت بها صفحات الکتب، مع ذلک فلم یبلغ معشار عشر حقائق الإمام علی وفضائله، أضف إلی ذلک أنک إذا حللت الأحادیث المرویة فی فضائل أبی بکر وجدتها لا تتماشی مع ما سجله له التاریخ من أعمال تناقض ما قیل فیه ولا یقبلها عقل ولا شرع وقد تقدم شرح ذلک فی حدیث (لو وزن إیمان أبی بکر بإیمان أمتی لرجح إیمان أبی بکر) ولو کان یعلم رسول الله أن أبا بکر علی هذه الدرجة من الإیمان ما کان لیؤمر علیه أسامة بن زید ولا لیمتنع من الشهادة له کما شهد علی [صفحه ۱۷۰] شهداء أحد وقال له إنی لا أدری ماذا تحدث من بعدی حتی بکی أبو بکر [۱۴۵] ، وما کان لیرسل خلفه علی بن أبی طالب لیأخذ منه سورة براءة فیمنعه من تبلیغها [۱۴۶] ، وما کان قال یوم إعطاء الرایة فی خیبر: لأعطین رایتی غدا رجلا یحب الله ورسوله ویحبه الله ورسوله کرارا لیس فرارا امتحن الله قلبه بالإیمان ; فأعطاها إلی علی ولم یعطها إلیه [۱۴۷] . ولو علم الله أن أبا بکر علی هذه الدرجة من الإیمان وأن إیمانه یفوق إیمان أمة محمد بأسرها فلم یکن الله سبحانه لیهدده بإحباط عمله عندما رفع صوته فوق صوت النبی [۱۴۸] ولو علم علی بن أبی طالب والصحابة الذین اتبعوه أن أبا بکر علی هذه الدرجة من الإیمان ما جاز لهم أن یتخلفوا عن بیعته ولو علمت فاطمة الزهراء سیدة النساء أن أبا بکر علی هذه الدرجة من الإیمان ما کانت لتغضب علیه وتمتنع عن الکلام معه وعن رد السلام علیه وتدعو الله علیه فی کل صلاة [۱۴۹] ، ثم لا تأذن له – حسب ما ورد فی وصیتها – حتی بحضور جنازتها. ولو علم أبو بکر أنه علی هذه الدرجة من الإیمان ما کان لیتمنی عند احتضاره أنه لو لم یکن یکشف بیت فاطمة (ع). وأنه لو لم یکن أحرق الفجاءة السلمی، ولکان یوم السقیفة قذف الأمر فیعنق أحد الرجلین عمر أو أبی عبیدة [۱۵۰] . فالذی هو علی هذه الدرجة من الإیمان ویرجح إیمانه علی إیمان کل الأمة لا یندم فی آخر لحظات حیاته علی ما فعله مع فاطمة وعلی حرقه الفجاءة السلمی وعلی تولیه الخلافة، کما لا یتمنی أن لا یکون من البشر ویکون شعرة أو بعرة، أفیعادل إیمان مثل هذا الشخص إیمان الأمة الإسلامیة بل یرجح علیها؟!. [صفحه ۱۷۱] وإذا أخذنا حدیث (لو کنت متخذا خلیلا لاتخذت أبا بکر خلیلا). فهو کسابقه، إذ أین کان أبو بکر یوم المؤاخاة الصغری فی مکة قبل الهجرة ویوم المؤاخاة الکبری فی المدینة بعد الهجرة وفی کلتیهما اتخذ رسول الله صلی الله علیه وآله علیا أخا له وقال له: (أنت أخی فی الدنیا والآخرة) [۱۵۱] ولم یلتفت إلی أبی بکر فحرمه من مؤاخاة الآخرة کما حرمه من الخلة، وأنا لا أرید الإطالة فی هذا الموضوع وأکتفی بهذین المثلین اللذین أوردتهما من کتب أهل السنة والجماعة، أما عند الشیعة فلا یعترفون بتلک الأحادیث مطلقا ولدیهم الأدلة الواضحة علی أنها وضعت فی زمن متأخر عن زمن أبی بکر. هذا وإذا ترکنا الفضائل وبحثنا فی المساوئ فإننا لا نحصی لعلی بن أبی طالب سیئة واحدة من کتب الفریقین، بینما نجد لغیره مساوئ کثیرة فی کتب أهل السنة کالصحاح وکتب السیر والتاریخ. وبهذا یکون الاجماع من الفریقین یختص بعلی وحده کما یؤکد التاریخ أن البیعة الصحیحة لم تکن إلا لعلی وحده. فقد امتنع هو وأصر علیها المهاجرون والأنصار وقعد عن بیعته نفر فلم یجبرهم علیها، بینما کانت

بیعة أبی بکر فلتة وقی الله المسلمین شرها – کما یقول عمر بن الخطاب – وکانت خلافة عمر بعهد عهده إلیه أبو بکر وکانت خلافة عثمان مهزلة تاریخیة، ذلک أن عمر رشح ستة للخلافة وألزمهم أن یختاروا من بینهم واحدا وقال إذا اتفق أربعة وخالف اثنان فاقتلوهما وإذا انقسم الستة إلی فریقین ثلاثة فی کل جهة فخذوا برأی الثلاثة الذین یقف معهم عبد الرحمن بن عوف، وإذا مضی وقت ولم یتفق الستة فاقتلوهم، والقصة طویلة وعجیبة، والمهم أن عبد الرحمن بن عوف اختار علیا واشترط علیه أن یحکم فیهم بکتاب الله وسنة رسوله وسنة الشیخین أبی بکر وعمر فرفض علی هذا الشرط، وقبله عثمان فکان [صفحه ۱۷۲] هو الخلیفة، وخرج علی من البیعة وهو یعلم مسبقا النتیجة وقد تحدث عن ذلک فی خطبته المعروفة بالشقشقیة. وبعد علی استولی معاویة علی الخلافة فأبدلها قیصریة ملکیة یتداولها بنو أمیة ومن بعدهم بنو العباس ابنا عن أب ولم یکن هناک خلیفة إلا بنص السابق علی اللاحق أو بقوة السیف والسلاح والاستیلاء، فلم تکن هناک بیعة صحیحة [۱۵۲] فی التاریخ الإسلامی من عهد الخلفاء وحتی عهد کمال أتاتورک الذی قضی علی الخلافة الإسلامیة إلا لأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب.

الاحادیث الواردة فی علی توجب اتباعه

من الأحادیث التی أخذت بها ودفعتنی للاقتداء بالإمام علی، تلک التی أخرجتها صحاح أهل السنة والجماعة وأکدت صحتها والشیعة عندهم أضعافها ولکن – وکالعادة – سوف لا أستدل ولا أعتمد إلا الأحادیث المتفق علیها من الفریقین، ومن هذه الأحادیث. أ – حدیث (أنا مدینة العلم وعلی بابها) [۱۵۳] وهذا الحدیث وحده کاف لتشخیص القدوة الذی ینبغی اتباعه بعد الرسول صلی الله علیه وآله، لأن العالم أولی بالاتباع، أولی أن یقتدی به من الجاهل.قال تعالی: (قل هل یستوی الذین یعلمون والذین لا یعلمون) [۱۵۴] . وقال أیضا: (أفمن یهدی إلی الحق أحق أن یتبع أمن لا یهدی إلا أن یهدی فما لکم کیف تحکمون) [۱۵۵] ومن المعلوم أن العالم هو الذی یهدی والجاهل یستحق الهدایة وهو أحوج إلیها من أی أحد [صفحه ۱۷۳] وفی هذا الصدد سجل لنا التاریخ أن الإمام علیا هو أعلم الصحابة علی الاطلاق وکانوا یرجعون إلیه فی أمهات المسائل ولم نعلم أنه (ع) رجع إلی واحد منهم قط فهذا أبو بکر یقول: لا أبقانی الله لمعضلة لیس لها أبو الحسن، وهذا عمر یقول: لولا علی لهلک عمر [۱۵۶] . وهذا ابن عباس یقول: ما علمی وعلم أصحاب محمد فی علم علی إلا کقطرة فی سبعة أبحر [۱۵۷] . وهذا الإمام علی نفسه یقول: (سلونی قبل أن تفقدونی، والله لا تسألوننی عن شئ یکون إلی یوم القیامة إلا أخبرتکم به وسلونی عن کتاب الله فوالله ما من آیة إلا وأنا أعلم أبلیل نزلت أم بنهار فی سهل أم فی جبل [۱۵۸] . بینما یقول أبو بکر عندما سئل عن معنی الأب فی قوله تعالی: (وفاکهة وأبا متاعا لکم ولأنعامکم) قال أبو بکر: أی سماء تظلنی وأی أرض تقلنی أن أقول فی کتاب الله بما لا أعلم. وهذا عمر بن الخطاب یقول: (کل الناس أفقه من عمر حتی ربات الحجال) ویسأل عن آیة من کتاب الله فینتهر السائل ویضربه بالدرة حتی یدمیه ویقول: (لا تسألوا عن أشیاء إن تبد لکم تسؤکم) [۱۵۹] وقد سئل عن الکلالة فلم یعلمها. أخرج الطبری فی تفسیره عن عمر أنه قال: لئن أکون أعلم الکلالة أحب إلی من أن یکون لی مثل قصور الشام. [صفحه ۱۷۴] کما أخرج ابن ماجة فی سننه عن عمر بن الخطاب قال: ثلاث لئن یکون رسول الله بینهن أحب إلی من الدنیا وما فیها: الکلالة والربا والخلافة. سبحان الله! حاشی لرسول الله أن یکون سکت عن هذه الأشیاء ولم یبینها. ب – حدیث (یا علی أنت منی بمنزلة هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی): وهذا الحدیث کما لا یخفی علی أهل العقول فیه ما فیه من اختصاص أمیر المؤمنین علی بالوزارة والوصایة والخلافة. فکما کان هارون وزیرا ووصیا، وخلیفة موسی فی غیابه عندما ذهب لمیقات ربه، کذلک أیضا منزلة الإمام علی (ع) فهو کهارون علیه وعلی نبینا السلام وصورة طبق الأصل عنه ما عدا النبوة التی استثناها نفس الحدیث، وفیه أیضا أن الإمام علیا هو أفضل الصحابة والحدیث کما هو معلوم مجمع علیه عند عامة المسلمین. ت – حدیث (من کنت مولاه فهذا علی مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حیث دار): وهذا الحدیث وحده کاف لرد مزاعم تقدیم أبی بکر وعمر وعثمان علی من نصبه رسول الله صلی الله علیه وآله ولیا للمؤمنین من بعده، ولا عبرة بمن

أول الحديث إلى معنى المحب والنصير لصرفه عن معناه الأصلى الذى قصده الرسول وذلك حفاظا على كرامة الصحابة، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قام خطيبا فى ذلك الحر الشديد (قال ألستم تشهدون بأنى أولى المؤمنين من أنفسهم) قالوا بلى يا رسول الله فقال عندئذ: (فمن كنت مولاه فهذا على مولاه..) وهذا نص صريح فى استخلافه على أمته، ولا يمكن للعاقل المنصف العادل إلا قبول هذا المعنى ورفض تأويل البعض المتكلف والحفاظ على كرامة الرسول قبل الحفاظ على كرامة الصحابة لأن فى تأويلهم هذا استخفافا واستهزاء بحكمة الرسول الذى يجمع [صفحه ۱۷۵] حشود الناس فى الحر والهجير الذى لا ـ يطاق ليقول لهم بأن على هو محب المؤمنين وناصرهم. وبماذا يفسر هؤلاء الذين يؤولون النصوص حفاظا على كرامة كبرائهم وساداتهم موكب التهنئة الذى عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله. وبدأ بزوجاته أمهات المؤمنين وجاء أبو بكر وعمر يقولان (بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصحبت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) والواقع والتاريخ يشهدان أن المتأولين لكاذبون فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون قال تعالى:(وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) [۱۶۰] . ث – حديث: (على منى وأنا من على، ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على) [۱۶۱] . وهذا الحديث الشريف هو الآخر صريح فى أن الإمام عليا هو الشخص الوحيد الذى أهله صاحب الرسالة ليؤدى عنه وقد قاله عندما بعثه بسورة براءة يوم الحج الأكبر عوضا عن أبى بكر، ورجع أبو بكر يبكى ويقول يا رسول الله أنزل فى شئ فقال: إن الله أمرنى أن لا ـ يؤدى عنى إلا ـ أنا أو على. وهذا ظهير ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى فى مناسبة أخرى عندما قال له: (أنت يا على تبين لأمتى ما اختلفوا فيه بعدى) [۱۶۲] . فإذا كان لا يؤدى عن رسول الله إلا على وهو الذى يبين للأمة ما اختلفوا فيه بعده، فكيف يتقدم عليه من لا يعرف معنى الأب ومن لا يعرف معنى الكلالة وهذا لعمرى من المصائب التى أصابت هذه الأمة وأعاقتها عن أداء المهمة التى [صفحه ۱۷۶] رشحها الله لها، وليست الحجة على الله ولا على رسول الله ولا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وإنما الحجة البالغة على الذين عصوا وبدلوا، قال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) [۱۶۳] . ج – حديث الدار يوم الانذار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مشيرا إلى على: (إن هذا أخى، ووصيى، وخليفتى من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا) [۱۶۴] . وهذا الحديث هو أيضا من الأحاديث الصحيحة التى نقلها المؤرخون لبداية البعثة النبوية وعدوها من معجزات النبى، ولكن السياسة هى التى أبدلت وزيفت الحقائق والوقائع، ولا عجب من ذلك لأن ما وقع فى ذلك الزمان المظلم يتكرر اليوم فى عصر النور فهذا محمد حسين هيكل أخرج الحديث بكامله فى كتابه (حياة محمد) فى صفحة ۱۰۴ من الطبعة الأولى سنة ۱۳۵۴ هجرية وفى الطبعة الثانية وما بعدها حذف من الحديث قوله صلى الله عليه وآله (وصيى وخليفتى من بعدى ؛) كذلك حذفوا من تفسير الطبرى الجزء ۱۹ صفحة ۱۲۱ قوله (وصيى وخليفتى) وأبدلوها بقوله إن هذا أخى وكذا وكذا..!! وغفلوا عن أن الطبرى ذكر الحديث بكامله فى تاريخه الجزء ۲ صفحة ۳۱۹. أنظر كيف يحرفون الكلم عن مواضعه ويقلبون الأمور، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره.. وخلال البحث الذى قمت به أردت الوقوف على جلية الحال فبحثت عن الطبعة الأولى لكتاب (حياة محمد) وتحصلت عليها بحمد الله بعد عناء ومشقة [صفحه ۱۷۷] وقد كلفنى ذلك كثيرا، والمهم أننى اطلعت على ذلك التحريف وزادنى ذلك يقينا بأن أهل السوء يحاولون جهدهم أن يمحوا الحقائق الثابتة لأنها حجة قوية لدى (خصومهم)!. ولكن الباحث المنصف عندما يقف على شئ من هذا التحريف والتزييف يزداد عنهم بعدا ويعرف بلا شك أنهم لا ـ حجة لديهم غير التضليل والدس وقلب الحقائق بأى ثمن، ولقد استأجروا كتابا كثيرين وأغدقوا عليهم الأموال كما أغدقوا عليهم الألقاب والشهادات الجامعية المزيفة ليكتبوا لهم ما يريدون من الكتب والمقالات التى تشتم الشيعة وتكفرهم وتدافع بكل جهد وإن كان باطلا عن كرامة بعض الصحابة المنقلبين على أعقابهم والذين بدلوا بعد رسول الله الحق بالباطل (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) [۱۶۵] صدق الله العظيم. [صفحه ۱۷۹]

الاحاديث الصحيحة التى توجب أتباع أهل البيت

حديث الثقلين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى) وقال أيضا: (يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى) [۱۶۶] . وإذا أمعنا النظر فى هذا الحديث الشريف الذى أخرجه صحاح أهل السنة والجماعة وجدنا أن الشيعة وحدهم هم الذين اتبعوا الثقلين (كتاب الله والعترة النبوية الطاهرة) بينما اتبع أهل السنة والجماعة قول عمر (حسبنا كتاب الله). وليتهم اتبعوا كتاب الله بغير تأويل حسب أهوائهم فإذا كان عمر نفسه لم يفهم منه معنى الكلالة ولا عرف منه آية التيمم وعدة أحكام أخرى فكيف بمن جاء بعده وقلده بدون اجتهاد أو اجتهد برأيه فى النصوص القرآنية، وبطبيعة [صفحه ۱۸۰] الحال سوف يردون على بالحديث المروى عندهم وهو (تركت فيكم كتاب اللهوسنتى) [۱۶۷] . وهذا الحديث إن صح وهو صحيح فى معناه، لأن معنى العترة بقوله صلى الله عليه وآله فى حديث الثقلين المتقدم هو الرجوع إلى أهل بيتى ليعلموكم - أولا - سنتى، أو لينقلوا إليكم الأحاديث الصحيحة لأنهم منزهون عن الكذب وإن الله سبحانه عصمهم بآية التطهير. وثانيا: لكى يفسروا لكم معانيها ومقاصدها، لأن كتاب الله وحده لا يكفى للهداية فكم من فرقة تحتج بكتاب الله وهى فى الضلالة كما ورد ذلك عن رسول الله عندما قال: (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه). فكتاب الله صامت، وحمال أوجه، وفيه المحكم والمتشابه ولا بد لفهمه من الرجوع إلى الراسخين فى العلم حسب التعبير القرآنى وإلى أهل البيت حسب التفسير النبوى. فالشيعة يرجعون كل شئ إلى الأئمة المعصومين من أهل البيت النبوى ولا يجتهدون إلا فى ما لا نص فيه. ونحن نرجع فى كل شئ إلى الصحابة سواء فى تفسير القرآن أو فى إثبات السنة وتفسيرها، وقد علمنا أحوال الصحابة وما فعلوه وما استنبطوه واجتهدوا فيه بآرائهم مقابل النصوص الصريحة وهى تعد بالمئات فلا يمكن الركون إلى مثلهم بعد ما حصل منهم ما حصل. وإذا سألنا علماءنا، أى سنة تتبعون؟ لأجابوا قطعا: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. والواقع التاريخى لا ينسجم مع ذلك ; فقد رووا أن الرسول نفسه قال: (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) إذا فالسنة التى يتبعونها هى فى أغلب الأحيان سنة الخلفاء الراشدين وحتى سنة [صفحه ۱۸۱] الرسول التى يقولون بها فهى المروية عن طريق هؤلاء. على أننا نروى فى صحاحنا أن الرسول منعهم من كتابة سننه لئلا تختلط بالقرآن، وكذلك فعل أبو بكر وعمر إبان خلافتيهما، فلا يبقى بعد هذا حجة فى قولنا (تركت فيكم سنتى) [۱۶۸] . والذى ذكرته فى هذا البحث من الأمثلة - وما لم أذكره هو أضعاف ذلك - كاف لرد هذا الحديث لأن من سنة أبى بكر وعمر وعثمان ما يناقض سنة النبى ويبطلها، كما لا يخفى. وإذا كانت أول حادثة وقعت بعد وفاة رسول الله مباشرة وسجلها أهل السنة والجماعة والمؤرخون: هى مخاصمة فاطمة الزهراء لأبى بكر الذى احتج بحديث (نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة). هذا الحديث الذى كذبته فاطمة الزهراء وأبطلته بكتاب الله، واحتجت على أبى بكر بأن أباها رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكنه أن يناقض كتاب الله الذى أنزل عليه إذ يقول سبحانه وتعالى: (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) [۱۶۹] . وهى عامة تشمل الأنبياء وغير الأنبياء، واحتجت عليه بقوله تعالى: (وورث سليمان داوود) [۱۷۰] وكلاهما نبى. وقوله عز من قائل: (فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) [۱۷۱] . والحادثة الثانية التى وقعت لأبى بكر فى أيام خلافته وسجلها المؤرخون [صفحه ۱۸۲] من أهل السنة والجماعة اختلف فيها مع أقرب الناس إليه وهو عمر بن الخطاب تلك الحادثة التى تتلخص فى قراره بمحاربة مانعى الزكاة وقتلهم فكان عمر يعارضه ويقول له لا تقاتلهم لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه وحسابه على الله). وهذا نص أخرجه مسلم فى صحيحه جاء فيه: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى الراية إلى على يوم خيبر فقال على: يا رسول الله على ماذا أقاتلهم؟ فقال صلى الله عليه وآله قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) [۱۷۲] ولكن أبا بكر لم يقتنع بهذا الحديث وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ; أو قال: (والله لو منعونى عقالا ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله

لقاتلتهم على منعه) واقتنع عمر بن الخطاب بعد ذلك وقال: ما إن رأيت أبا بكر مصمما على ذلك حتى شرح الله صدرى ; ولست أدرى كيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم سنة نبيهم!. وهذا التأويل، منهم لتبرير قتال المسلمين الذين حرم الله قتلهم إذ قال فى كتابه العزيز. (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) [۱۷۳] صدق الله العظيم. على أن هؤلاء الذين منعوا إعطاء أبى بكر زكاتهم لم ينكروا وجوبها ولكنهم تأخروا ليتبينوا الأمر ويقول الشيعة إن هؤلاء فوجئوا بخلافة أبى بكر وفيهم من حضر مع رسول الله حجة الوداع وسمع منه النص على على بن أبى طالب فتريثوا [صفحه ۱۸۳] حتى يفهموا الحقيقة، ولكن أبا بكر أراد اسكاتهم عن تلك الحقيقة وبما أننى لا أستدل ولا أحتج بما يقوله الشيعة فسأترك هذه القضية لمن يهمه الأمر ليبحث فيها. على أننى لا يفوتنى أن أسجل هنا أن صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وقعت له فى حياته قصة ثعلبة الذى طلب منه أن يدعو له بالغنى وألح فى ذلك وعاهد الله أنه يتصدق ودعا له رسول الله وأغناه الله من فضله وضاقت عليه المدينة وأرجاؤها من كثرة إبله وغنمه حتى ابتعد ولم يعد يحضر صلاة الجمعة، ولما أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله العاملين على الزكاة رفض أن يعطيهم شيئا منها قائلا إنما هذه جزية أو أخت الجزية، ولم يقاتله رسول الله ولا أمر بقتاله وأنزل فيه قوله: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) [۱۷۴] . وجاء ثعلبة بعد نزول الآية وهو يبكى وطلب من رسول الله قبول زكاته وامتنع الرسول حسب ما تقول الرواية. فإذا كان أبو بكر وعمر يتبعان سنة الرسول فلماذا هذه المخالفة وإباحة دماء المسلمين الأبرياء لمجرد منع الزكاة على أن المعتذرين لأبى بكر والذين يريدون تصحيح خطئه بتأويله بأن الزكاة هى حق المال، لا يبقى لهم ولا له عذر بعد قصة ثعلبة الذى أنكر الزكاة واعتبرها جزية، ومن يدرى لعل أبا بكر أقنع صاحبه عمر بوجوب قتل من منعوه الزكاة أن تسرى دعوتهم فى البلاد الإسلامية لإحياء نصوص الغدير التى نصبت عليا للخلافة، ولذلك شرح الله صدر عمر بن الخطاب لقتالهم وهو الذى هدد بقتل المتخلفين فى بيت فاطمة وحرقهم بالنار من أجل أخذ البيعة لصاحبه. أما الحادثة الثالثة التى وقعت لأبى بكر فى أول خلافته وخالفه فيها عمر بن الخطاب وقد تأول فيها النصوص القرآنية والنبوية: فهى قصة خالد بن الوليد [صفحه ۱۸۴] الذى قتل مالك بن نويرة صبرا ونزا على زوجته فدخل بها فى نفس الليلة. وكان عمر يقول لخالد: يا عدو الله قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالأحجار [۱۷۵] . ولكن أبا بكر دافع عنه وقال: (هبه يا عمر، تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد) وهذه فضيحة أخرى سجلها التاريخ لصحابى من الأكابر!! إذا ذكرناه، ذكرناه بكل احترام وقداسة، بل ولقبناه ب (سيف الله المسلول)!!. ماذا عسانى أن أقول فى صحابى يفعل مثل تلك الأفعال يقتل مالك بن نويرة الصحابى الجليل سيد بنى تميم وبنى يربوع وهو مضرب الأمثال فى الفتوة والكرم والشجاعة. وقد حدث المؤرخون أن خالدا غدر بمالك وأصحابه بعد أن وضعوا السلاح وصلوا جماعة فأوثقوهم بالحبال وفيهم ليلى بنت المنهال زوجة مالك وكانت من أشهر نساء العرب بالجمال ويقال إنها لم ير أجمل منها وفتن خالد بجمالها، وقال له مالك: يا خالد أبعثنا إلى أبى بكر فيكون هو الذى يحكم فينا، وتدخل عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصارى وألحا على خالد أن يبعثهم إلى أبى بكر فرفض خالد وقال: لا- أقالنى الله أن لم أقتله فالتفت مالك إلى زوجته ليلى وقال لخالد: هذه التى قتلتنى، فأمر خالد بضرب عنقه وقبض على ليلى زوجته ودخل بها فى تلك الليلة [۱۷۶] . ماذا عسانى أن أقول فى هؤلاء الصحابة الذين يستبيحون حرمات الله ويقتلون النفوس المسلمة من أجل هوى النفس ويستبيحون الفروج التى حرمها [صفحه ۱۸۵] الله، ففى الإسلام لا تنكح المرأة المتوفى زوجها إلا بعد العدة التى حددها الله فى كتابه العزيز، ولكن خالدا اتخذ إلهه هواه فتردى وأى قيمة للعدة عنده بعد أن قتل زوجها صبرا وظلما وقتل قومه أيضا وهم مسلمون بشهادة عبد الله بن عمر وأبى قتادة الذى غضب غضبا شديدا مما فعله خالد وانصرف راجعا إلى المدينة وأقسم أن لا يكون أبدا فى لواء عليه خالد بن الوليد [۱۷۷] . وحسبنا فى هذه القضية المشهورة أن ننقل اعتراف الأستاذ هيكل فى كتابه (الصديق أبو بكر) إذ قال تحت عنوان (رأى عمر وحجته فى الأمر). (أما عمر، وكان مثال العدل الصارم، فكان يرى أن خالدا عدا على امرئ مسلم ونزا على امرأته قبل انقضاء عدتها

فلا يصح بقاؤه فی قيادهٔ الجيش حتی لا يعود لمثلها فيفسد أمر المسلمين، ويسئ إلی مكانتهم بين العرب قال: ولا يصح أن يترك بغير عقاب علی ما أتم مع ليلی. ولو صح أنه تأول فأخطأ فی أمر مالك، وهذا ما لا يجيزه عمر، وحسبه ما صنع مع زوجته ليقام عليه الحد، فليس ينهض عذرا له إنه سيف الله، وإنه القائد الذی يسير النصر فی ركابه فلو أن مثل هذا العذر يقل لأبيحت لخالد وأمثاله المحارم، ولكان أسوأ مثل يضرب للمسلمين فی احترام كتاب الله، لذلك لم يفتأ عمر يعيد علی أبی بكر، ويلح عليه، حتی استدعی خالداوعنفه..) [۱۷۸] . وهل لنا أن نسأل الأستاذ هيكل وأمثاله من علمائنا الذين يراوغون حفاظا علی كرامهٔ الصحابهٔ، هل لنا أن نسألهم، لماذا لم يقم أبو بكر الحد علی خالد؟ وإذا كان عمر كما يقول هيكل مثال العدل الصارم فلماذا اكتفی بعزله عن قيادهٔ الجيش ولم يقم عليه الحد الشرعی حتی لا ـ يكون ذلك أسوأ مثل يضرب للمسلمين فی احترام كتاب الله كما ذكر؟ وهل احترموا كتاب الله وأقاموا حدود الله؟ كلا إنها [صفحه ۱۸۶] السياسهٔ وما أدراك ما السياسهٔ؟ تصنع الأعاجيب وتقلب الحقائق، وتضرب بالنصوص القرآنيهٔ عرض الجدار. وهل لنا أن نسأل بعض علمائنا الذين يروون فی كتبهم أن رسول الله صلی الله عليه وآله غضب غضبا شديدا عندما جاء أسامهٔ ليشفع لامرأهٔ شريفهٔ سرقت. فقال صلی الله عليه وآله: (ويحك أتشفع فی حد من حدود الله والله لو كانت فاطمهٔ بنت محمد سرقت لقطعت يدها، إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد). فكيف يسكتون عن قتل المسلمين الأبرياء والدخول بنسائهم فی نفس الليلهٔ وهن منكوبات بموت أزواجهن ويا ليتهم يسكتون! ولكنهم يحاولون تبرير فعل خالد باختلاق الأكاذيب وبخلق الفضائل والمحاسن له حتی لقبوه بسيف الله المسلول. ولقد أدهشنی بعض أصدقائی وكان مشهورا بالمزح وقلب المعانی، فكنت أذكر له مزايا خالد بن الوليد فی أيام جهالتی وقلت له أنه سيف الله المسلول، فأجابنی: إنه سيف الشيطان المشلول، واستغربت يومها، ولكن بعد البحث فتح الله بصيرتی وعرفنی قيمهٔ هؤلاء الذين استولوا علی الخلافهٔ وبدلوا أحكام الله وعطلوها وتعدوا حدود الله واخترقوها. وخالد بن الوليد له فی حياهٔ النبی قصهٔ مشهورهٔ إذ بعثه النبی إلی بنی جذيمهٔ ليدعوهم إلی الإسلام ولم يأمره بقتالهم. فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل ويأسر بهم ودفع الأسری إلی أصحابه وأمرهم بقتلهم وامتنع البعض من قتلهم لما تبين لهم أنهم أسلموا ولما رجعوا وذكروا ذلك النبی صلی الله عليه وآله. قال: اللهم إنی أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد قالها مرتين [۱۷۹] وبعث علی بن أبی طالب إلی بنی جذيمهٔ ومعه مال فودی لهم الدماء وما أصيبت لهم من [صفحه ۱۸۷] أموال حتی ودی لهم ميلغهٔ الكلب وقام رسول الله صلی الله عليه وآله فاستقبل القبلهٔ قائما شاهرا يديه إلی السماء حتی إنه ليری ما تحت منكبيه، يقول: اللهم إنی أبرأ إليكم ما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات [۱۸۰] . فهل لنا أن نسأل أين هی عدالهٔ الصحابهٔ المزعومهٔ التی يدعونها، وإذا كان خالد بن الوليد وهو عندنا من عظمائنا حتی لقبناه بسيف الله أفكان ربنا يسل سيفه ويسلطه علی المسلمين والأبرياء وعلی المحارم فيهتكها، ففی ذلك تناقض لأن الله ينهی عن قتل النفس وينهی عن الفحشاء والمنكر والبغی ولكنه – أی خالد – فی نفس الوقت يسل سيف البغی ليفتك بالمسلمين ويهدر دماءهم وأموالهم ويسبی نساءهم وذراريهم، إن هذا زور من القول وبهتان مبين، سبحانك ربنا وبحمدك تباركت وتعاليت عن ذلك علوا كبيرا، سبحانك ما خلقت السماوات والأرض وما بينهما باطلا ـ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. كيف جاز لأبی بكر وهو خليفهٔ المسلمين أن يسمع بتلكم الجرائم الموبقهٔ ويسكت عنها بل ويدعو عمر بن الخطاب بأن يكف لسانه عن خالد، ويغضب علی أبی قتادهٔ لإنكاره فعل خالد، أكان مقتنعا حقا بأن خالدا تأول فأخطأ، فأی حجهٔ بعد هذا علی المجرمين والفاسقين فی هتكهم الحرمات وادعائهم التأويل. أما أنا فلا أعتقد بأن أبا بكر كان متأولا فی أمر خالد الذی سماه عمر بن الخطاب ب (عدو الله) وكان من رأيه أن يقتل خالد لأنه قتل امرءا مسلما ويرجمه بالحجارهٔ لأنه زنی بزوجهٔ مالك (ليلی) ولم يقع شئ من ذلك للقاتل الجانی بل خرج منها منتصرا علی عمر بن الخطاب لأن أبا بكر وقف إلی جانبه وهو يعلم حقيقهٔ خالد أكثر من أی أحد، فقد سجل المؤرخون أنه بعثه بعد تلك الواقعهٔ المشينهٔ إلی اليمامهٔ التی خرج منها منتصرا وتزوج فی أعقابها بنتا كما فعل مع ليلی ولما تجف دماء المسلمين بعد ولا دماء أتباع مسيلمهٔ، وقد عنفه أبو بكر علی فعلته هذه بأشد مما عنفه علی فعلته مع ليلی [۱۸۱] ، ولا شك أن هذه البنت هی الأخری

ذات [صفحه ۱۸۸] بعل فقتله خالد ونزا علیها کما فعل بلیلی زوجة مالک. وإلا لما استحق أن یعنفه أبو بکر بأشد مما عنفه علی فعلته الأولی، علی أن المؤرخین یذکرون نص الرسالة التی بعث بها أبو بکر إلی خالد بن الولید وفیها یقول: (لعمری یا بن أم خالد إنک لفارغ تنکح النساء وبفناء بیتک دم ألفومائتی رجل من المسلمین لم یجف بعد) [۱۸۲] . ولما قرأ خالد هذا الکتاب قال: هذا عمل الأعسر یقصد بذلک عمر بن الخطاب. فهذه من الأسباب القویة التی جعلتنی أنفر من أمثال هؤلاء الصحابة، ومن تابعیهم الذین یتأولون النصوص ویختلقون الروایات الخیالیة لتبریر أعمال أبی بکر وعمر وعثمان وخالد بن الولید ومعاویة وعمرو بن العاص وإخوانهم، اللهم إنی أستغفرک وأتوب إلیک، اللهم إنی أبرأ إلیک من أفعال هؤلاء وأقوالهم التی خالفت أحکامک واستباحت حرماتک وتعدت حدودک، واغفر لی ما سبق من موالاتهم إذ کنت من الجاهلین، وقد قال رسولک (لا یعذر الجاهل بجهله)، اللهم إن ساداتنا وکبراءنا قد أضلونا السبیل وحجبوا عنا الحقیقة وصوروا لنا الصحابة المنقلبین بأنهم أفضل الخلق بعد رسولک، ولا شک إن آباءنا وأجدادنا کانوا ضحیة الدس والغش الذی توخاه الأمویون ومن بعدهم العباسیون اللهم فاغفر لهم ولنا فأنت تعلم السرائر وما تخفی الصدور وما کان حبهم وتقدیرهم واحترامهم لأولئک الصحابة إلا عن حسن نیة علی أنهم أنصار رسولک محمد صلواتک وسلامک علیه وأحباؤه.. وأنت تعلم - یا سیدی - حبهم وحبنا للعترة الطاهرة، الأئمة الذین أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهیرا وعلی رأسهم سید المسلمین وأمیر المؤمنین وقائد الغر المحجلین وإمام المتقین سیدنا علی بن أبی طالب. واجعلنی اللهم من شیعتهم ومن المتمسکین بحبل ولائهم والسائرین علی منهاجهم، والراکبین فی سفینتهم والمستمسکین بعروتهم الوثقی والداخلین من [صفحه ۱۸۹] أبوابهم والدائبین فی محبتهم ومودتهم العاملین بأقوالهم وأفعالهم والشاکرین لفضلهم ونوالهم. اللهم واحشرنی فی زمرتهم فقد قال نبیک صلواتک علیه وعلی آله: (یحشر المرء مع من أحب).

حديث السفينة

قال رسول الله صلی الله علیه وآله: (إنما مثل أهل بیتی فیکم مثل سفینة نوح فی قومه، من رکبها نجا ومن تخلف عنها غرق) [۱۸۳] . (وإنما مثل أهل بیتی فیکم مثل باب حطة فی بنی إسرائیل من دخله غفرله) [۱۸۴] . وقد أورد ابن حجر فی کتابه الصواعق المحرقة هذا الحدیث ثم قال: ووجه تشبیههم بالسفینة أن من أحبهم وعظمهم شکرا لنعمة مشرفهم، وأخذا بهدی علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلک غرق فی بحر کفر النعم وهلک فی مفاوز الطغیان، ووجه تشبیههم بباب حطة، إن الله تعالی جعل دخول ذلک الباب الذی هو باب أریحا، أو بیت المقدس مع التواضع، والاستغفار سببا للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البیت سببا للمغفرة والنجاة. ویا لیتنی أسأل ابن حجر هل کان من الذین رکبوا السفینة ودخلوا الباب وأخذوا بهدی العلماء، أم أنه من الذین یقولون ما لا یفعلون ویخالفون ما یعتقدون، وکثیرون هم أولئک الجهلة الذین عندما أسألهم واحتج علیهم یقولون [صفحه ۱۹۰] لی، نحن أولی بأهل البیت وبالإمام علی من غیرنا، نحن نحترم أهل البیت ونقدرهم ولیس هناک من ینکر فضلهم وفضائلهم!. نعم یقولون بألسنتهم ما لیس فی قلوبهم، أو أنهم یحترمونهم ویقدرونهم ولکن یقتدون بأعدائهم، ویقلدونهم ومن قاتلهم وخالفهم. أو أنهم فی أغلب الأحیان لا یعرفون من هم أهل البیت وإذا سألتهم من هم أهل البیت؟ یجیبون علی الفور: هم نساء النبی اللاتی أذهب الله عنهن الرجس وطهرهم تطهیرا، وقد کشف لی أحدهم عن هذا اللغز عندما سألته وأجابنی قائلا: أهل السنة والجماعة کلهم یقتدون بأهل البیت، وتعجبت وقلت کیف ذلک؟ فقال: قال رسول الله خذوا نصف دینکم عن هذه الحمیراء یعنی عائشة، فنحن أخذنا نصف الدین عن أهل البیت، وعلی هذا الأساس یفهم کلامهم حول احترام وتقدیر أهل البیت أما إذا سألتهم عن الأئمة الاثنی عشر فلا یعرفون منهم غیر علی والحسن والحسین مع أنهم لا یقولون بإمامة الحسنین، وهم یحترمون معاویة بن أبی سفیان الذی دس السم للحسن فقتله (ویسمونه (کاتب الوحی)) وعمرو بن العاص کاحترامهم الإمام علی. إنه التناقض والخلط والتلبیس تلبیس الحق بالباطل وتغلیف الضیاء بالظلام وإلا کیف یجتمع فی قلب المؤمن حب الله والشیطان معا، قال الله فی کتابه المجید: (لا تجد قوما یؤمنون بالله والیوم

الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) [۱۸۵] . وقال أيضا عز من قائل: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة [صفحه ۱۹۱] وقد كفروا بما جاءكم من الحق) [۱۸۶] .

حديث من سره أن يحيا حياتى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربى، فليوال عليا من بعدى وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتى من بعدى، فإنهم عترتى خلقوا من طينتى، ورزقوا فهمى وعلمى، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى) [۱۸۷] . وهذا الحديث هو كما نرى من الأحاديث الصريحة التى لا ـ تقبل التأويل ولا تترك للمسلم أى اختيار بل تقطع عليه كل حجة، وإذا لم يوال عليا ويقتد بأهل البيت عترة الرسول فهو محروم من شفاعة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله. وتجدر الإشارة هنا بأنه خلال البحث الذى قمت به شككت فى البدء فى صحة هذا الحديث واستعظمته لما فيه من تهديد ووعيد لمن كان على خلاف مع على وأهل البيت وخصوصا أن هذا الحديث لا يقبل التأويل، وخفت الوطأة عندما قرأت فى كتاب الإصابة لابن حجر العسقلانى بعدما أخرج الحديث قوله: (قلت فى إسناده يحيى بن يعلى المحاربى وهو واه) وأزال ابن حجر بهذا القول بعض الإشكال الذى علق بذهنى إذ تصورت أن يحيى بن يعلى المحاربى هو واضع الحديث وهو ليس بثقة، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يوقفنى على الحقيقة بكاملها، وقرأت يوما كتاب (مناقشات عقائدية فى مقالات إبراهيم الجبهان) [۱۸۸] . [صفحه ۱۹۲] وأوقفنى هذا الكتاب على جلية الحال إذ تبين أن يحيى بن يعلى المحاربى هو من الثقات الذين اعتمدهم الشيخان مسلم والبخارى، وتتبعت بنفسى فوجدت البخارى يخرج له أحاديث فى باب غزوة الحديبية من جزئه الثالث فى صفحة عدد ۳۱، كما أخرج له مسلم فى صحيحه فى باب الحدود من جزئه الخامس فى صفحة عدد ۱۱۹ والذهبى نفسه – على تشدده – أرسل توثيقة إرسال المسلمات وقد عده أئمة الجرح والتعديل من الثقات واحتج به الشيخان فلماذا هذا الدس والتزوير وتقليب الحقائق والطعن فى رجل ثقة احتج به أهل الصحاح؟ ألانه ذكر الحقيقة الناصعة فى وجوب الاقتداء بأهل البيت فكان جزاؤه من ابن حجر التوهين والتضعيف، وقد فات ابن حجر أن من ورائه علماء جهابذة يحاسبونه على كل صغيرة وكبيرة ويكشفون تعصبه وجهله لأنهم يستضيئون بنور النبوة ويهتدون بهدى أهل البيت. وعرفت بعد ذلك أن ببعض علمائنا يحاولون جهدهم تغطية الحقيقة لئلا ينكشف أمر الصحابة والخلفاء الذين كانوا أمراءهم وقدوتهم فتجدهم مرة يتأولون الأحاديث الصحيحة الثابتة ويحملونها غير معانيها، مثال ذلك تأويلهم لمعنى المولى بدل الأولى إلى معنى المحب والناصر فى حديث (من كنت مولاه فهذا على مولاه)، فعلماء أهل السنة يقولون بصحة الحديث ولكن يجب تأويله إلى معنى المحب والناصر وذلك لتصحيح خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وإلا لوجب أن يكون على كرم الله وجهه أولى منهم جميعا، وهذا فيه ما فيه من تفسيق أكثر الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وهو منكر من القول ; هذا قول علماء أهل السنة والجماعة كما صرح لى به كثير من علمائنا فى تونس! ولما قلت لهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الحديث وخلال الخطبة سألهم (ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى عند ذلك قال (من كنت مولاه فهذا على مولاه))، أجاب البعض بأن هذا من زيادات الشيعة، وعندما سألتهم: أيعقل أن يجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة ألف من الحجيج فى حر الهجير ويحبسهم فى الشمس المحرقة ليقول لهم بأن عليا محب وناصر المسلمين؟ أهذا معقول؟؟ فسكتوا ولم يجيبوا. ومرة يكذبون الأحاديث التى تناقض مذهبهم وإن وردت فى صحاحهم [صفحه ۱۹۳] وأسانيدهم، مثال ذلك حديث (الخلفاء من بعدى اثنا عشر كلهم من قريش وفى رواية كلهم من بنى هاشم) وقد أخرج الحديث كل من البخارى ومسلم وكل صحاح أهل السنة والجماعة، ومع ذلك فهم يكذبون أن يكون هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت الذين تقول بإمامتهم وولائهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية،

وهم يعدون الخلفاء الراشدين الأربعة ومنهم من يلحق بهم الخليفة عمر بن عبد العزيز فيصح العدد خمسة ويتوقفون عند ذلك لأنهم، والحق معهم لا يعدون معاوية وابنه يزيد ولا مروان بن الحكم وأولاده من الخلفاء الراشدين، ويبقى العدد (اثنا عشر) بالنسبة إليهم لغزا ليس له حل اللهم إلا إذا قالوا بقول الإمامية!. ومرة يحذفون من الحديث نصفه أو ثلثيه ليبدلوه ب (كذا وكذا)!! ومثال ذلك حديث (إن هذا أخى ووصيى وخليفتى من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا) قاله وهو آخذ برقبة على وقد أخرج هذا الحديث كل من الطبرى فى تاريخه وابن الأثير فى كامله وكذلك كنز العمال ومسند الإمام أحمد وصاحب السيرة الحلبية وابن عساكر ولكن الذى طبع كتاب تفسير الطبرى ج ۱۹ ص ۱۲۱ لم يترك الحديث كاملا ـ كما نطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل حذف منه كل معانيه وأبدلها بقوله (إن هذا أخى وكذا وكذا!!)) وغفل عن أن الطبرى أخرج الحديث كاملا فى تاريخه ج ۲ ص ۳۱۹ – ۳۲۱ ; إنها الأمانة العلمية، ولعل هذا العالم لم تمكنه الحيل من تكذيب الحديث ورأى أن فيه نصا صريحا على خلافة على بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعمد إلى تغطية هذه النصوص وتبديلها بكذا وكذا وظن هذا المسكين بأنه سوف يحجب نور الشمس عندما يغمض هو عينيه، أو أنه سوف يقنع القراء والمثقفين بقوله: كذا وكذا، كلا إنها كلمة هو قائلها!!. ومرة يشككون فى الرواة الثقاة لأنهم حدثوا بما لا تهوى أنفسهم، مثال ذلك طعنهم فى يحيى بن يعلى المحاربى وهو من الثقاة الذين احتج بهم البخارى ومسلم فى الصحاح ولكن ابن حجر العسقلانى طعن به ووصفه بأنه واه، لا إلا أنه روى حديث الموالاة الذى أمر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بأن يوالوا من بعده عليا وأهل البيت، وهذا الحديث لا يروق [صفحه ۱۹۴] لابن حجر وأمثاله الذين يحاولون جهدهم طمس الحقائق التى أنفق معاوية بن أبى سفيان كل ما يملك من الذهب والفضة فى سبيل طمسها فلم يفلح، فكيف يمكن لابن حجر أن يطمسها بطعنه فى الرواة الثقاة، وقد كان لمعاوية زيادة على المال، الحول والطول والسلطة والجاه ومع ذلك فشل فشلا ذريعا وطواه الزمان فى خبر كان بينما بقى نور الإمام على يشع على مر الأيام، فكيف يتسنى لابن حجر وأضرابه أن يشككوا فى حقيقة أهل البيت بمجرد الطعن فى الرواة الأمناء الثقاة؟؟ فهيهات هيهات أن ينطفئ نور الله بالأفواه!.. ومرة يخرجون الحديث فى الطبعة الأولى ويحذفونه فى الطبعات الأخرى بدون أى إشارة إلى مبرر الحذف رغم أن المطلعين يدركون سبب ذلك!! مثال ذلك ما فعله محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) فى الطبعة الأولى ص ۱۰۴ قال: عندما نزل قوله سبحانه (وأنذر عشيرتك الأقربين) ثم أورد القصة كما ذكرها المؤرخون وفى آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم.!) ولكنه حذفها فى الطبعة الثانية وما بعدها من الطبعات بدون إشارة ولا تعليق يشيران من قريب أو من بعيد لسبب حذفه هذه الفقرة من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان الشيخ محمد جواد مغنية – والعهدة عليه – نقل فى كتابه (الشيعة فى الميزان) هذه الحادثة وقال أن محمد حسين هيكل حذف هذه الفقرة مقابل آلاف الجنيهات، وبما أن هيكل لم يكذب الخبر ولم يعلل حذفه للفقرة المذكورة، فقد تبين صدق الشيخ محمد جواد مغنية، واطلاعه الواسع على مجريات الأمور!. على أننا نقول لهؤلاء وأمثالهم الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا: اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وتذكروا قوله سبحانه وتعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) سورة البقرة آية ۱۵۹، وقوله سبحانه وتعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا، أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) سورة البقرة آية ۱۷۴. [صفحه ۱۹۵] فهل لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله تعالى ويعترفوا بالحق عسى أن يتوب الله عليهم، قبل فوات الآوان؟؟؟. وقد تحقق لدى كل هذا بعد البحث والتمحيص وعندى أدلة قاطعة على ما أقول، فليتهم إذ يحاولون عبثا كل هذه المحاولات لتبرير أعمال الصحابة الذين انقلبوا على الأعقاب، فجاءت أقوالهم متناقضة بعضها مع بعض ومتناقضة مع التاريخ. ليتهم اتبعوا الحق ولو كان مرا إذا لأراحوا واستراحوا، ولكانوا سببا فى جمع شمل هذه الأمة المتمزقة والمتناحرة لا لشئ إلا لتأييد أقوالهم أو تفنيدها. وإذا كان بعض الصحابة الأولين غير ثقات فى نقل الأحاديث النبوية الشريفة فيبطلون منها ما لا يتماشى وأهواءهم وخصوصا إذا كانت هذه الأحاديث من الوصايا التى أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته، فقد أخرج البخارى ومسلم أن رسول الله أوصى عند موته بثلاث:

- أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. - أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم.. ثم يقول الراوى: ونسيت الثالثة [۱۸۹] . فهل يعقل أن الصحابة الحاضرين الذين سمعوا وصايا الرسول الثلاث عند موته ينسون الوصية الثالثة وهم الذين كانوا يحفظون القصائد الشعرية الطويلة بعد سماعها مرة واحدة؟ كلا ولكن السياسة هى التى أجبرتهم على نسيانها وعدم ذكرها، إنها مهزلة أخرى من مهازل هؤلاء الصحابة، ولأن الوصية الأولى لرسول الله كانت - بلا شك - استخلاف على بن أبى طالب فلم يذكرها الراوى. مع أن الباحث فى هذه المسألة يجد رائحة الوصية لعلى تفوح رغم كتمانها وعدم ذكرها فقد أخرج البخارى فى صحيحه فى كتاب الوصايا كما أخرج مسلم [صفحه ۱۹۶] أيضا فى صحيحه فى كتاب الوصية أنه ذكر عند عائشة أن النبى أوصى إلى على [۱۹۰] ، أنظر كيف يظهر الله نوره ولو ستره الظالمون. أعود فأقول إذا كان هؤلاء الصحابة غير ثقات فى نقل وصايا رسول الله فلا لوم بعد ذلك على التابعين وتابعى التابعين. وإذا كانت عائشة أم المؤمنين لا تطيق ذكر اسم على ولا تطيب لها نفسا بخير كما ذكر ذلك ابن سعد فى طبقاته [۱۹۱] والبخارى فى صحيحه (باب مرض النبى ووفاته) وإذا كانت تسجد لله شكرا عندما سمعت بموته، فكيف يرجى منها ذكر الوصية لعلى وهى من عرفت لدى الخاص والعام بعدائها وبغضها لعلى وأولاده ولأهل بيت المصطفى. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. [صفحه ۱۹۷]

مصيبتنا فى الاجتهاد مقابل النصوص

استنتجت من خلال البحث أن مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من الاجتهاد الذى دأب عليه الصحابة مقابل النصوص الصريحة فاخترقت بذلك حدود الله ومحقت السنة النبوية وأصبح العلماء والأئمة بعد الصحابة يقيسون على اجتهادات الصحابة ويرفضون بعض الأحيان النص النبوى إذا تعارض مع ما فعله أحد الصحابة، أو حتى النص القرآنى ولست مبالغا وقد قدمت كيف أنهم رغم وجود النص على التيمم فى كتاب الله وسنة الرسول الثابتة رغم كل ذلك اجتهدوا، فقالوا بترك الصلاة مع فقد الماء وقد علل عبد الله بن عمر اجتهاده بالنحو الذى أشرنا إليه فى مكان آخر من بحثنا. ومن أول الصحابة الذين فتحوا هذا الباب على مصراعيه هو الخليفة الثانى الذى استعمل رأيه مقابل النصوص القرآنية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فعطل سهم المؤلفة قلوبهم الذين فرض الله لهم سهما من الزكاة وقال: لا حاجة لنا فيكم. أما اجتهاده فى النصوص النبوية فلا يحصى وقد اجتهد فى حياة الرسول نفسه وعارضه عدة مرات. وقد أشرنا فى ما سبق إلى معارضته فى صلح الحديبية وفى منع كتابة الكتاب وقوله حسبنا كتاب الله وقد وقعت له حادثة أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله لعلها تعطينا صورة أوضح لنفسية عمر الذى أباح لنفسه أن يناقش ويجادل ويعارض صاحب الرسالة تلك هى حادثة التبشير بالجنة إذ بعث رسول الله أبا هريرة وقال له من [صفحه ۱۹۸] لقيته يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة، فخرج ليبشر فلقيه عمر ومنعه من ذلك وضربه حتى سقط على استه، فرجع أبو هريرة إلى رسول الله وهو يبكى وأخبره بما فعل عمر فقال رسول الله لعمر ما حملك على ما فعلت؟ قال: هل أنت بعثته ليبشر بالجنة من قال لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه؟ قال رسول الله نعم، قال عمر: لا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس على لا إله إلا الله!. وهذا ابنه عبد الله بن عمر يخشى أن يتكل الناس على التيمم فيأمرهم بترك الصلاة، ويا ليتهم تركوا النصوص كما هى ولم يبدلوها باجتهاداتهم العقيمة التى تؤدى إلى محو الشريعة وانتهاك حرمات الله وتشتيت الأمة فى متاهات المذاهب المتعددة والآراء المتشعبة والفرق المتناحرة. ومن مواقف عمر المتعددة تجاه النبى وسنته نفهم بأنه ما كان يعتقد يوما بعصمة الرسول بل كان يرى أنه بشر يخطئ ويصيب. ومن هنا جاءت الفكرة لعلماء السنة والجماعة بأن رسول الله معصوم فى تبليغ القرآن فقط وما عدا ذلك فهو يخطئ كغيره من البشر ويستدلون على ذلك بأن عمر صوب رأيه فى العديد من القضايا. وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله - كما يروى البعض من الجهلة - يقبل مزمارة الشيطان فى بيته وهو مستلق على ظهره والنسوة يضربن الدفوف والشيطان يلعب ويمرح إلى جانبه حتى إذا دخل عمر بن الخطاب هرب الشيطان وأسرع النسوة فخبأن الدفوف تحت استهن وقال رسول الله لعمر ما رآك الشيطان سالكا فجا حتى سلك فجا غير فجك. فلا غرابة إذا أن يكون لعمر بن الخطاب رأى فى الدين وأن يسمح لنفسه بمعارضة النبى فى الأمور السياسية وحتى فى الأمور الدينية كما تقدم فى تبشير المؤمنين

بالجنة. ومن فكرة الاجتهاد واستعمال الرأى مقابل النصوص نشأت أو تكونت مجموعة من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب وقد رأيناهم يوم الرزية كيف [صفحه ۱۹۹] ساندوا وعضدوا رأى عمر مقابل النص الصريح. ومن ذلك أيضا نستنتج أن هؤلاء لم يقبلوا يوما نصوص الغدير التى نصب بها النبى صلى الله عليه وآله عليا خليفة له على المسلمين، وتحينوا الفرصة السانحة لرفضها عند وفاة النبى فكان اجتماع السقيفة وانتخاب أبى بكر من نتيجة هذا الاجتهاد، ولما استتب لهم الأمر وتناسى الناس نصوص النبى بشأن الخلافة، بدأوا يجتهدون فى كل شئ حتى استطالوا على كتاب الله فعطلوا الحدود وأبدلوا الأحكام فكانت مأساة فاطمة الزهراء بعد مأساة زوجها وإبعاده عن منصة الخلافة، ثم كانت مأساة قتل مانعى الزكاة، وكل ذلك من الاجتهاد مقابل النصوص، ثم كانت خلافة عمر بن الخطاب نتيجة حتمية لذلك الاجتهاد إذ أن أبا بكر اجتهد برأيه وأسقط الشورى التى كان يستدل بها هو نفسه على صحة خلافته وزاد عمر فى الطين بلة عندما ولى أمور المسلمين فأحل ما حرم الله ورسوله [۱۹۲] وحرم ما أحل الله ورسوله [۱۹۳] . ولما جاء عثمان بعده ذهب شوطا بعيدا فى الاجتهاد فبالغ أكثر ممن سبقوه حتى أثر اجتهاده فى الحياة السياسة والدينية بوجه عام فقامت الثورة ودفع حياته ثمن اجتهاده. ولما ولى الإمام على أمور المسلمين وجد صعوبة كبيرة فى إرجاع الناس إلى السنة النبوية الشريفة وحظيرة القرآن وحاول جهده أن يزيل البدع التى أدخلت فى الدين ولكن بعضهم صاح وأسنة عمراه! وأكاد اعتقد وأجزم بأن الذين حاربوا الإمام عليا وخالفوه، إنما فعلوا ذلك لأنه - سلام الله عليه - حملهم على الجادة وأرجعهم إلى النصوص الصحيحة مميتا بذلك كل البدع والاجتهادات التى ألصقت بالدين طوال ربع قرن وقد ألفها الناس وخاصة منهم أصحاب الأهواء والأطماع الدنيوية الذين اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا وكدسوا الذهب والفضة وحرموا المستضعفين من أبسط الحقوق التى شرعها الإسلام. [صفحه ۲۰۰] وقد نجد أن المستكبرين فى كل عصر يميلون إلى الاجتهاد ويطبلون له لأنه يفسح لهم المجال للوصول إلى مآربهم من كل طريق، أما النصوص فتقطع عليهم وجهتهم وتحول بينهم وبين ما يرومون. ثم أن الاجتهاد وجد له أنصارا فى كل عصر ومصر حتى من المستضعفين أنفسهم لما فيه من سهولة التطبيق وعدم الالتزام. ولأن النص فيه التزام وعدم حرية وقد يسمى عند رجال السياسة الحكم الثيوقراطى يعنى حكم الله ولأن الاجتهاد فيه حرية وعدم التزام بالقيود وربما يسمونه الحكم الديمقراطى يعنى حكم الشعب فالذين اجتمعوا فى السقيفة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله ألغوا الحكومة الثيوقراطية التى أسسها رسول الله على مبدأ النصوص القرآنية، وأبدلوها بحكومة ديمقراطية يختار الشعب فيها من يراه صالحا لقيادته، على أن أولئك الصحابة لم يكونوا ليعرفوا كلمة (الديمقراطية) لأنها ليست عربية ولكنهم يعرفون نظام الشورى [۱۹۴] . فالذين لا يقبلون النص على الخلافة - اليوم - هم أنصار (الديمقراطية) ويفتخرون بذلك مدعين أن الإسلام هو أول من ارتأى هذا النظام، وهم أنصار الاجتهاد والتجديد وهم اليوم أقرب ما يكونون من النظم الغربية ولذلك نسمع اليوم من الحكومات الغربية تمجيدا لهؤلاء وتسميتهم بالمسلمين المتطورين والمتسامحين. أما الشيعة أنصار (الثيوقراطية) أو حكومة الله والذين يرفضون الاجتهاد مقابل النص ويفرقون بين حكم الله والشورى، فالشورى عندهم لا علاقة لها بالنصوص وإنما الاجتهاد والشورى فى ما لا نص فيه، أفلا ترى أن الله سبحانه [صفحه ۲۰۱] هو الذى اختار رسوله محمدا ومع ذلك قال له: (وشاورهم فى الأمر) [۱۹۵] . أما فى ما يتعلق باختيار القادة الذين يقودون البشرية فقال: (وربك يخلقما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) [۱۹۶] . فالشيعة إذ يقولون بخلافة الإمام على بعد رسول الله إنما يتمسكون بالنص وهم إذ يطعنون فى بعض الصحابة إنما يطعنون فى الذين أبدلوا النص بالاجتهاد فضيعوا بذل حكم الله ورسوله، وفتحوا فى الإسلام رتقا لم يلتئم حتى اليوم. ومن أجل هذا أيضا نجد الحكومات الغربية ومفكريهم ينبذون الشيعة ويسمونهم بالتعصب الدينى ويسمونهم رجعيين لأنهم يريدون الرجوع إلى القرآن الذى يقطع يد السارق ويرجم الزانى ويأمر بالجهاد فى سبيل الله وكل ذلك عندهم عن جهية بربرية. وفهمت خلال هذا البحث لماذا أغلق بعض علماء أهل السنة والجماعة باب الاجتهاد منذ فقهاء القرن الثالث للهجرة فربما كان ذلك لما جره هذا الاجتهاد على الأمة من ويلات ومصائب وخطوب وحروب دامية أكلت الأخضر واليابس وقد أبدل الاجتهاد خير أمة أخرجت للناس أمة متناحرة متقاتلة تسودها الفوضى وتحكم فيها القبلية وتنقلب من الإسلام إلى الجاهلية. بعكس الشيعة الذين بقى عندهم باب الاجتهاد مفتوحا

ما دامت النصوص قائمة ولا يمكن لأى أحد تبديلها وأعانهم على ذلك وجود الأئمة الاثنى عشر الذين ورثوا علم جدهم فكانوا يقولون ليس هناك مسألة إلا ولله حكم فيها وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وآله. ونفهم أيضا أن أهل السنة والجماعة لما اقتدوا بالصحابة المجتهدين الذين منعوا كتابة السنة النبوية وجدوا أنفسهم مضطرين أمام غياب النصوص للاجتهاد بالرأى والقياس والاستصحاب وسد باب الذرائع إلى غير ذلك.. [صفحه ۲۰۲] ونفهم أيضا من كل ذلك أن الشيعة التفوا حول الإمام على وهو باب مدينة العلم والذى كان يقول لهم: سلونى عن كل شئ فقد علمنى رسول الله ألف باب من العلم يفتح لكل باب ألف باب [۱۹۷] بينما التف غير الشيعة حول معاوية بن أبى سفيان الذى لم يكن يعرف من سنة النبى إلا قليلا، وأصبح إمام الفئة الباغية أميرا للمؤمنين، بعد وفاة الإمام على فعمل فى دين الله برأيه أكثر من الذين سبقوه، وأهل السنة والجماعة يقولون إنه كاتب الوحى وإنه من العلماء المجتهدين، كيف يحكمون باجتهاده وقد دس السم للحسن بن على سيد شباب أهل الجنة فقتله؟ ولعلهم يقولون: هذا أيضا من اجتهاده فقد اجتهد وأخطأ!. كيف يحكمون باجتهاده وقد أخذ البيعة من الأمة بالقوة والقهر لنفسه ثم لابنه يزيد من بعده وحول نظام الشورى إلى الملكية القيصرية. كيف يحكمون باجتهاده ويعطونه أجرا وقد حمل الناس على لعن على وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر وأصحبت سنة متبعة طوال ستين عاما. بل كيف يسمونه (كاتب الوحى).. وقد نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة ثلاثة وعشرين عاما، كان معاوية مدة أحد عشر عاما منها مشركا بالله.. ولما أسلم بعد الفتح لم نعثر على رواية تقول أنه سكن المدينة فى حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسكن مكة بعد الفتح.. فكيف تسنى لمعاوية كتابة الوحى يا ترى؟!. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم! والسؤال يعود دائما: أى الفريقين على الحق وأيهما على الباطل، فإما أن يكون على وشيعته ظالمين وعلى غير الحق، وإما أن يكون معاوية وأتباعه ظالمين وعلى غير الحق وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله كل شئ غير أن بعض مدعى أتباع السنة [صفحه ۲۰۳] يبغونها عوجا وقد اتضح لى من خلال البحث ومن خلال الوقوف على الدفاع عن معاوية إن المدافعين عنه هم أتباعه وأتباع بنى أمية وليسوا كما يدعون أتباع السنة النبوية ; وخصوصا إذا تتبعت مواقفهم فهم يكرهون شيعة على ويحتفلون بيوم عاشوراء عيدا ويدافعون عن الصحابة الذين آذوا رسول الله فى حياته وبعد وفاته ويصححون أخطاءهم ويبررون أعمالهم. ترى ; كيف تحبون عليا وأهل البيت وترضون فى نفس الوقت على أعدائهم وقاتليهم؟ كيف تحبون الله ورسوله وتدافعون عمن بدل أحكام الله ورسوله واجتهد وتأول برأيه فى أحكام الله؟. كيف تحترمون من لم يحترم رسول الله بل يرميه بالهجر ويطعن فى إمارته؟!. كيف تقلدون أئمة نصبتهم الدولة الأموية أو الدولة العباسية لأمور سياسيةوتتركون الأئمة الذين نص عليهم رسول الله بعددهم [۱۹۸] وبأسمائهم [۱۹۹] كيف تقلدون من لم يعرف النبى حق معرفته وتتركون باب مدينة العلم ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى؟!

من الذى أطلق مصطلح أهل السنة والجماعة

لقد بحثت فى التاريخ فلم أجد إلا أنهم اتفقوا على تسمية العام الذى استولى فيه معاوية على الحكم (عام الجماعة)، وذلك أن الأمة انقسمت بعد مقتل عثمان إلى قسمين شيعة على وأتباع معاوية ولما استشهد الإمام على واستولى معاوية على الحكم بعد الصلح الذى أبرمه مع الإمام الحسن وأصبح معاوية هو أمير المؤمنين سمى ذلك العام (عام الجماعة)، إذا فتسمية (أهل السنة والجماعة) دالة على اتباع سنة معاوية والاجتماع عليه وليست تعنى اتباع سنة رسول الله، فالأئمة من ذريته وأهل بيته أدرى وأعلم بسنة جدهم من الطلقاء، وأهل البيت أدرى بما فيه، وأهل مكة أدرى بشعابها ولكننا خالفنا الأئمة الاثنى [صفحه ۲۰۴] عشر الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله واتبعنا أعداءهم. ورغم اعترافنا بالحديث الذى ذكر فيه رسول الله اثنى عشر خليفة كلهم من قريش إلا أننا نتوقف دائما عند الخلفاء الأربعة ولعل معاوية الذى سمانا (أهل السنة والجماعة) كان يقصد الاجتماع على السنة التى سنها بسب على وأهل البيت والتى استمرت ستين عاما ولم يقدر على إزالتها إلا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد يحدثنا بعض المؤرخين أن الأمويين تآمروا

على قتل عمر بن عبد العزيز وهو منهم لأنه أمات السنة وهى لعن على بن أبى طالب. يا أهلى ويا عشيرتى لنتجه - على هدى الله تعالى - إلى البحث عن الحق وننبذ التعصب جانبا فنحن ضحايا بنى أمية وبنى العباس وضحايا التاريخ المظلم وضحايا الجمود الفكرى الذى ضربه علينا الأوائل، إننا لا شك ضحايا الدهاء والمكر الذى اشتهر به معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأضرابهم ; ابحثوا فى واقع تاريخنا الإسلامى لتبلغوا الحقائق الناصعة وسيؤتيكم الله أجركم مرتين فعسى أن يجمع الله بكم شمل هذه الأمة التى نكبت بعد موت نبيها وتمزقت إلى ثلاث وسبعين فرقة، هلموا لتوحيدها تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله الاقتداء بأهل البيت النبوى الذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله باتباعهم فقال: (لا تقدموهم فتهلكوا، ولا تتخلفوا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) [۲۰۰] . لو فعلنا ذلك، لرفع الله مقته وغضبه عنا ولأبدلنا من بعد خوفنا أمنا، ولمكننا فى الأرض واستخلفنا فيها ولأظهر لنا وليه الإمام المهدى عليه السلام الذى وعدنا به رسول الله ليملأ أرضنا قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وليتم به الله نوره فى كل المعمورة. [صفحه ۲۰۵]

دعوة أصدقاء للبحث

كان التحول بداية السعادة الروحية إذ أحسست راحة الضمير وانشرح صدرى للمذهب الحق الذى اكتشفته أو قل للإسلام الحقيقى الذى لا شك فيه ; وغمرتنى فرحة كبيرة واعتزاز بما أنعم الله تعالى على من هداية ورشاد. ولم يسعنى السكوت والتكتم على ما يختلج فى صدرى وقلت فى نفسى: لا بد لى من إفشاء هذه الحقيقة على الناس (وأما بنعمة ربك فحدث) وهى من أكبر النعم أو هى النعمة الكبرى فى الدنيا وفى الآخرة، و (الساكت عن الحق شيطان أخرس) (وليس بعد الحق) إلا (الضلال). والذى زاد شعورى يقينا بوجوب نشر هذه الحقيقة هو براءة أهل السنة والجماعة الذين يحبون رسول الله وأهل بيته ويكفى أن يزول الغشاء الذى نسجه التاريخ حتى يتبعوا الحق وهذا ما وقع لى شخصيا.قال تعالى: (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) [۲۰۱] . ودعوت أربعة أصدقاء من الأساتذة العاملين معى فى المعهد كان اثنان منهم يدرسان التربية الدينية والثالث يدرس مادة العربية والرابع كان أستاذ الفلسفة الإسلامية، لم يكن أربعتهم من قفصة بل كانوا من تونس ومن جمال وسوسة، [صفحه ۲۰۶] دعوتهم إلى البحث معى فى هذا الموضوع الخطير وأشعرتهم بأنى قاصر عن إدراك بعض المعانى وقد اضطربت وتشككت فى بعض الأمور، وقبلوا المجئ إلى بيتى بعد إنهاء العمل، وتركتهم يقرأون كتاب المراجعات على أن مؤلفه يدعى أشياء عجيبة وغريبة فى الدين، وقد استهوى الكتاب ثلاثة منهم أما الرابع الذى يدرس اللغة العربية فقد قاطعنا بعد أربع جلسات أو خمس قائلا: (إن الغرب الآن يغزو القمر وأنتم ما زلتم تبحثون عن الخلافة الإسلامية). وما أن أتممنا الكتاب خلال شهر واحد حتى استبصر ثلاثتهم وقد أعنتهم كثيرا للوصول إلى الحقيقة من أقرب الطرق بما تكون عندى من سعة الاطلاع خلال سنوات البحث وذقت حلاوة الهداية واستبشرت بالمستقبل وأخذت أدعو فى كل مرة بعض الأصدقاء من قفصة والذين كانت تربطنى بهم حلقات الدرس فى المسجد أو العلاقات المنجرة من الطرق الصوفية وبعض تلاميذى الذين كانوا يلازموننى وما مرت سنة واحدة حتى أصبحنا بحمد الله عددا كبيرا نوالى أهل البيت نوالى من والاهم ونعادى من عاداهم، نفرح فى أعيادهم ونحزن فى عاشوراء ونعقد مجالس تعزية. وكانت أولى رسائلى التى تحمل خبر استبصارى إلى السيد الخوئى والسيد محمد باقر الصدر بمناسبة عيد الغدير إذ احتفلنا به لأول مرة فى قفصة، وقد اشتهر أمرى لدى الخاص والعام بأنى تشيعت وأنى أدعو إلى التشيع لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وبدأت الاتهامات والإشاعات تروج فى البلاد، على أننى جاسوس لإسرائيل أعمل على تشكيك الناس فى دينهم وبأننى أسب الصحابة وبأننى صاحب فتنة إلى غير ذلك. وفى تونس العاصمة اتصلت بالصديقين راشد الغنوشى وعبد الفتاح مورو وكانت معارضتهما لى عنيفة جدا وفى حديث دار بيننا فى بيت عبد الفتاح، قلت يجب علينا كمسلمين مراجعة كتبنا ومراجعة تاريخنا وضربت لذلك مثلا صحيح البخارى الذى فيه أشياء لا يقبلها عقل ولا دين. وثارت ثائرتهما قائلين لى: من أنت حتى تنتقد البخارى؟ وبذلت كل جهدى [صفحه ۲۰۷] من أجل إقناعهما بالدخول فى البحث العلمى

الموضوعی فرفضا ذلک. ازدادت علی أثره حملهٔ الإشاعات ضدنا من قبل البعض وبثوا فی أوساطهم إشاعات غریبهٔ بغیهٔ إبعاد الناس عنی وإحاطتی بطوق من العزلهٔ – سامحهم الله تعالی. وبدأت العزلهٔ من بعض الشبان ومن الشیوخ الذین یتبعون الطرق الصوفیهٔ وعشنا فترات قاسیهٔ غرباء فی دیارنا وبین إخواننا وعشیرتنا ولکن الله سبحانه أبدلنا خیرا منهم فکان بعض الشبان یأتون من مدن أخری یسألون عن الحقیقهٔ فکنت أبذل قصاری ما فی وسعی لإقناعهم بحقیقهٔ منهج أهل البیت (ع) وبالواقع التاریخی فاستبصر عدد من الشبان فی العاصمهٔ وفی القیروان وفی سوسهٔ وسیدی بوزید وکنت خلال رحلتی الصیفیهٔ إلی العراق مررت بأوروبا حیث التقیت بعض الأصدقاء فی فرنسا وفی هولندا وتحدثت معهم فی الموضوع فاستبصروا والحمد لله. وکم کانت فرحتی عظیمهٔ عندما قابلت السید محمد باقر الصدر فی النجف الأشرف وکان فی بیته نخبهٔ من العلماء وأخذ السید یقدمنی إلیهم بأنی بذرهٔ التشیع لآل بیت النبی صلی الله علیه وآله فی تونس کما أعلمهم بأنه بکی تأثرا عندما وصلته رسالتی مهنئهٔ تحمل إلیه بشری احتفالنا أول مرهٔ بعید الغدیر السعید وشکوت إلیه ما نلاقیه من مقاومهٔ ومن بث الإشاعات ضدنا والعزلهٔ التی نواجهها. وقال السید فی معرض کلامه: (لا بد) من تحمل المشاق لأن طریق أهل البیت صعب ووعر، وقد جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه وآله فقال له: إنی أحبک یا رسول الله! فقال له: أبشر بکثرهٔ الابتلاء، فقال: وأحب ابن عمک علیا! فقال: أبشر بکثرهٔ الأعداء، فقال: وأحب الحسن والحسین! فقال له: فاستعد للفقر وکثرهٔ البلاء، وماذا قدمنا نحن فی سبیل دعوهٔ الحق التی دفع ثمنها أبو عبد الله الحسین (ع) بنفسه وأهله وذریته وأصحابه، کما دفع ثمنها الشیعهٔ علی مر التاریخ وما زالوا حتی الیوم یدفعون ثمن ولائهم لأهل البیت (ع)، فلا بد یا أخی من تحمل بعض الأتعاب والتضحیهٔ فی سبیل الحق فلئن یهدی الله بک رجلا واحدا خیر لک من الدنیا وما فیها. [صفحه ۲۰۸] کما نصحنی السید الصدر بعدم الانزواء وأمرنی بأن أتقرب أکثر من إخوانی أهل السنهٔ کلما حاولوا الابتعاد عنی، وأمرنی أن أصلی خلفهم حتی لا تکون القطیعهٔ، وأن أعتبرهم أبریاء فهم ضحایا الإعلام والتاریخ المزیف، والناس أعداء ما جهلوا. وقد نصحنی السید الخوئی بالشئ نفسه تقریبا، کما کان السید محمد علی الطباطبائی الحکیم یبعث لنا دائما بنصائحه فی رسائل متعددهٔ کان لها أثر کبیر فی سیرهٔ الإخوهٔ المستبصرین علی الهدی. هذا وقد تعددت زیاراتی للنجف الأشرف ولعلماء النجف فی مناسبات کثیرهٔ، ثم آلیت علی نفسی أن أقضی العطلهٔ الصیفیهٔ من کل عام فی رحاب الإمام علی أحضر دروس السید محمد باقر الصدر التی استفدت منها کثیرا ونفعتنی أیما نفع کما آلیت علی نفسی أن أزور مقامات الأئمهٔ الاثنی عشر وقد حقق الله أمنیتی بأن وفقنی حتی لزیارهٔ الإمام الرضا الذی یوجد مرقده فی مشهد وهی مدینهٔ قرب الحدود الروسیهٔ فی إیران وهناک تعرفت علی أبرز العلماء واستفدت منهم کثیرا. کما أعطانی السید الخوئی الذی کنا نقلده وکالهٔ للتصرف فی الخمس والزکاهٔ وإفادهٔ المجموعهٔ المستبصرهٔ عندنا بما تحتاجه من کتب وإعانات وغیر ذلک، وقد کونت مکتبهٔ مفیدهٔ بها أهم المصادر التی تخص البحث وتجمع کتب الفریقین وتحمل اسم مکتبهٔ أهل البیت (علیهم السلام) وقد أفادت الکثیرین والحمد لله. وزاد الله فرحتنا فرحتین وسعادتنا سعادتین فقبل حوالی خمسهٔ عشر عاما سخر لنا الله الکاتب العام لبلدیهٔ قفصهٔ فوافق علی تسمیهٔ الشارع الذی أسکن فیه باسم شارع الإمام علی بن أبی طالب (ع)، فلا یفوتنی هنا أن أشکر له هذه اللفتهٔ المشرفهٔ، فهو من المسلمین العاملین وله میل کبیر ومحبهٔ فائقهٔ لشخص الإمام علی (ع) وقد أهدیته کتاب المراجعات، وهو یبادل مجموعتنا حبا وتقدیرا واحتراما فجزاه الله خیرا وأعطاه ما یتمنی. وقد عمل بعض الحاقدین علی إزالهٔ اللوحهٔ وأعیتهم الحیل وشاء الله تثبیتها [صفحه ۲۰۹] وأصبحت الرسائل ترد علینا من کل أنحاء العالم وعلیها اسم شارع الإمام علی بن أبی طالب (ع ؛) الذی بارک اسمه الشریف مدینتنا الطیبهٔ العریقهٔ. وعملا بنصائح الأئمهٔ من أهل البیت (علیهم السلام) وکذلک بنصائح علماء النجف الأشرف عمدنا إلی التقرب من إخوتنا من المذاهب الأخری ولازمنا الجماعهٔ فکنا نصلی معا، وخفت بذلک حدهٔ التوتر وتمکنا من إقناع بعض الشبان من خلال تساؤلاتهم عن کیفیهٔ صلاتنا ووضوئنا وعقائدنا [صفحه ۲۱۱]

هدی الحق

فى إحدى قرى الجنوب التونسى وخلال حفل زفاف كانت النساء يتحدثن عن فلانة زوجة فلان، واستغربت العجوز الكبيرة التى كانت تجلس وسطهن وتسمع حديثهن أن تكون فلانة قد تزوجت فلانا ولما سألنها عن سبب استغرابها أخبرتهن أنها أرضعت الاثنين فهما أخوان من الرضاعة، ونقل النسوة هذا النبأ العظيم إلى أزواجهن وتثبت الرجال فشهد والد المرأة بأن ابنته أرضعتها تلك العجوز المعروفة لدى الجميع بأنها مرضعة كما شهد والد الزوج بأن ابنه أرضعته نفس المرضعة، وقامت قيامة العشيرتين وتقاتلوا بالعصى كل منهما تتهم الأخرى بأنها سبب الكارثة التى سوف تجرهم إلى سخط الله وعقابه وخصوصا لأن هذا الزواج مر عليه عشرة أعوام أنجبت المرأة خلالها ثلاثة أطفال وقد هربت عند سماعها الخبر إلى بيت أبيها وامتنعت عن الأكل والشراب وأرادت الانتحار لأنها لم تتحمل الصدمة وكيف أنها تزوجت من أخيها وولدت منه وهى لا تعلم، وسقط عدد من الجرحى من العشيرتين وتدخل أحد الشيوخ الكبار وأوقف المعارك ونصحهم بأن يطوفوا على العلماء ليستفتوهم فى هذه القضية عسى أن يجدوا حلا. فصاروا يتجولون فى المدن الكبرى المجاورة يسألون علماءها عن حل لقضيتهم وكلما اتصلوا بعالم وأطلعوه على الأمر أخبرهم بحرمة الزواج وضرورة تفريق الزوجين إلى الأبد وتحرير رقبة أو صيام شهرين إلى غير ذلك من الفتاوى. ووصلوا إلى قفصة وسألوا علماءها فكان الجواب نفسه، لأن المالكية [صفحه ۲۱۲] كلهم يحرمون الرضاعة ولو من قطرة واحدة اقتداء بالإمام مالك الذى قاس الحليب على الخمر إذ أن (ما أسكر كثيره فقليله حرام)، فتحرم الرضاعة ولو من قطرة واحدة من الحليب، والذى وقع أن أحد الحاضرين اختلى بهم ودلهم على بيتى قائلا ـ لهم: اسألوا التيجانى فى مثل هذه القضايا فإنه يعرف كل المذاهب، وقد رأيته يجادل هؤلاء العلماء عدة مرات فيبزهم بالحجة البالغة. هذا ما نقله إلى زوج المرأة حرفيا عندما أدخلته إلى المكتبة وحكى لى كل القضية بالتفصيل من أولها إلى آخرها وقال: (يا سيدى أن زوجتى تريد الانتحار وأولادى مهملون ونحن لا نعرف حلا لهذه المشكلة وقد دلونا عليك وقد استبشرت خيرا لما رأيت عندك هذه الكتب التى لم أشهد فى حياتى مثلها فعسى أن يكون الحل عندك). أحضرت له قهوة وفكرت قليلا ثم سألته عن عدد الرضعات التى رضعها هو من المرأة فقال: لا أدرى غير أن زوجتى رضعت منها مرتين أو ثلاثا وقد شهد أبوها بأنه حملها مرتين أو ثلاث مرات إلى تلك العجوز المرضعة، فقلت إذا كان هذا صحيحا فليس عليكما شئ والزواج صحيح وحلال محلل، وارتمى المسكين على يقبل رأسى ويدى ويقول: بشرك الله بالخير لقد فتحت أبواب السكينة أمامى، ونهض مسرعا ولم يكمل قهوته ولا استفسر منى ولا طلب الدليل غير أنه استأذن للخروج حتى يسرع فيبشر زوجته وأولاده وأهله وعشيرته. لكنه رجع فى اليوم التالى ومعه سبعة رجال وقدمهم إلى قائلا: هذا والدى وهذا والد زوجتى والثالث هو عمدة القرية والرابع إمام الجمعة والجماعة والخامس هو المرشد الدينى والسادس شيخ العشيرة والسابع هو مدير المدرسة، وقد جاؤوا يستفسرون عن قضية الرضاعة وبماذا حللتها؟. وأدخلت الجميع إلى المكتبة وكنت أتوقع جدالهم وأحضرت لهم القهوة ورحبت بهم: قالوا إنما جئناك نناقشك فى تحليلك الرضاعة وقد حرمها الله فى القرآن، وحرمها رسوله بقوله: يحرم بالرضاعة ما يحرم بالنسب، وكذلك حرمها الإمام مالك. [صفحه ۲۱۳] قلت: يا سادتى أنتم ما شاء الله ثمانية وأنا واحد فإذا تكلمت مع الجميع فسوف لن أقنعكم وتضيع المناقشة فى الهامشيات، وإنما اقترح عليكم اختيار أحدكم حتى أتناقش معه وأنتم تكونون حكما بينى وبينه!. وأعجبتهم الفكرة واستحسنوها، وسلموا أمرهم إلى المرشد الدينى قائلين أنه أعلمهم وأقدرهم، وبدأ السيد يسألنى كيف أحلل ما حرم الله ورسوله والأئمة؟! قلت: أعوذ بالله أن أفعل ذلك! ولكن الله حرم الرضاعة بآية مجملة ولم يبين تفصيل ذلك وإنما أوكل ذلك إلى رسوله فأوضح مقصود الآية بالكيف والكم. قال: فإن الإمام مالك يحرم الرضاعة من قطرة واحدة. قلت: أعرف ذلك، ولكن الإمام مالك ليس حجة على المسلمين وإلا فما هو قولك بالأئمة الآخرين؟. أجاب: رضى الله عنهم وأرضاهم فكلهم من رسول ملتمس. قلت: فما هى إذن حجتك عند الله فى تقليدك الإمام مالك الذى يخالف رأيه نص الرسول صلى الله عليه وآله؟. قال محتارا: سبحان الله أنا لا ـ أعلم أن الإمام مالكا إمام دار الهجرة يخالف النصوص النبوية، وتحير الحاضرون من هذا القول، واستغربوا منى هذه الجرأة على الإمام مالك والتى لم يعهدوها من قبل فى غيرى، واستدركت قائلا ـ هل كان الإمام مالك من الصحابة؟ قال: لا، قلت: هل كان من التابعين؟ قال: لا، وإنما هو من تابعى التابعين. قلت:

فأيهما أقرب هو أم الإمام على بن أبى طالب (ع)؟. قال: الإمام على أقرب فهو من الخلفاء الراشدين، وتكلم أحد الحاضرين قائلا: سيدنا على كرم الله وجهه هو باب مدينة العلم. فقلت: فلماذا تركتم باب مدينة العلم واتبعتم رجلا ليس من الصحابة ولا [صفحه ۲۱۴] من التابعين وإنما ولد بعد الفتنة وبعدما أبيحت مدينة رسول الله لجيش يزيد وفعلوا فيها ما فعلوا وقتلوا خيار الصحابة وانتهكوا فيها المحارم، وغيروا سنة الرسول ببدع ابتدعوها، فكيف يطمئن الإنسان بعد ذلك إلى هؤلاء الأئمة الذين رضيت عنهم السلطة الحاكمة لأنهم أفتوها بما يلائم أهواءهم. وتكلم أحدهم وقال: سمعنا أنك شيعى تعبد الإمام عليا فلكزه صاحبه الذى كان بجانبه لكزة أوجعته وقال له: أسكت أما تستحى أن تقول مثل هذا القول لرجل فاضل مثل هذا وقد عرفت العلماء وحتى الآن لم تر عينى مكتبة مثل هذه المكتبة، وهذا الرجل يتكلم عن معرفة ووثوق بما يقول!. أجبته قائلا: أنا شيعى هذا صحيح ولكن الشيعة لا يعبدون عليا وإنما عوض أن يقلدوا الإمام مالكا فهم يقلدون الإمام عليا لأنه باب مدينة العلم حسب شهادتكم، قال المرشد الدينى: وهل حلل الإمام على زواج الرضيعين؟. قلت: لا ـ ولكنه يحرم ذلك إذا بلغت الرضاعة خمس عشرة رضعة مشبعات ومتواليات، أو ما أنبت لحما وعظما. وتهلل وجه والد الزوجة وقال: الحمد لله فابنتى لم ترضع إلا ـ مرتين أو ثلاث مرات فقط، وإن فى قول الإمام على هذا مخرجا لنا من هذه الورطة ورحمة لنا من الله بعد أن يئسنا. فقال المرشد: أعطنا الدليل على هذا القول حتى نقتنع ; فأعطيتهم كتاب منهاج الصالحين للسيد الخوئى، وقرأ هو بنفسه عليهم باب الرضاعة، وفرحوا بذلك فرحا عظيما وخصوصا الزوج الذى كان خائفا أن لا يكون لدى الدليل المقنع وطلبوا منى إعارتهم الكتاب حتى يحتجوا به فى قريتهم فسلمته إليهم وخرجوا مودعين داعين معتذرين. وبمجرد خروجهم من بيتى التقى بهم أحد المناوئين وحملهم إلى بعض علماء السوء فخوفوهم وحذروهم بأنى عميل لإسرائيل وأن كتاب منهاج الصالحين الذى أعطيتهم إياه كله ضلالة وأن أهل العراق هم أهل الكفر والنفاق وأن الشيعة [صفحه ۲۱۵] مجوس يبيحون نكاح الأخوات فلا غرابة إذن فى إباحتى لهم نكاح الأخت من الرضاعة إلى غير ذلك من التهم والأراجيف وما زال بهم يحذرهم حتى ارتدوا على أعقابهم وانقلبوا بعد اقتناعهم، وأجبروا الزوج على أن يتقدم بدعوى عدلية للطلاق لدى المحكمة الابتدائية فى قفصة وطلب منهم رئيس المحكمة أن يذهبوا إلى العاصمة ويتصلوا بمفتى الجمهورية ليحل هذا الإشكال، وسافر الزوج وبقى هناك شهرا كاملا حتى تمكن من مقابلته وقص عليه قصته من أولها إلى آخرها وسأله مفتى الجمهورية عن العلماء الذين قالوا بحلية الزواج وصحته فأجاب الزوج بأنه ليس هناك من قال بحليته غير شخص واحد هو التيجانى السماوى، وسجل المفتى اسمى وقال للزوج: إرجع أنت وسوف أبعث أنا برسالة إلى رئيس المحكمة فى قفصة، وبالفعل جاءت الرسالة من مفتى الجمهورية وأطلع عليها وكيل الزوج وأعلمه بأن مفتى الجمهورية حرم ذلك الزواج. هذا ما قصه على زوج المرأة الذى بدا عليه الضعف والإرهاق من كثرة التعب وهو يعتذر إلى مما سببه لى من إزعاج وحرج، فشكرته على عواطفه متعجبا كيف يبطل مفتى الجمهورية الزواج القائم فى مثل هذه القضية، وطلبت منه أن يأتينى برسالته التى بعثها إلى المحكمة حتى أنشرها فى الصحف التونسية وأبين أن مفتى الجمهورية يجهل المذاهب الإسلامية ولا يعرف اختلافهم الفقهى فى مسألة الرضاعة. فقال الزوج أنه لا ـ يمكنه أن يطلع على ملف قضيته فضلا عن أن يأتينى برسالة منه، وافترقنا. وبعد بضعة أيام جاءتنى دعوة من رئيس المحكمة يأمرنى فيها بإحضار الكتاب والأدلة على عدم بطلان ذلك الزواج بين (الرضيعين)!، وذهبت محملا بعدة مصادر انتقيتها مسبقا ووضعت فى كل منها بطاقة فى باب الرضاعة ليسهل تخريجه فى لحظة واحدة، وذهبت فى اليوم والساعة المذكورين واستقبلنى كاتب المحكمة وأدخلنى إلى مكتب الرئيس وفوجئت برئيس المحكمة الابتدائية ورئيس محكمة الناحية ووكيل الجمهورية ومعهم ثلاثة أعضاء وكلهم يرتدون لباسهم الخاص للقضاء وكأنهم فى جلسة رسمية، ولاحظت أيضا أن زوج المرأة يجلس فى [صفحه ۲۱۶] آخر القاعة قبالهم، وسلمت على الجميع فكانوا كلهم ينظرون إلى باشمئزاز واحتقار ولما جلست خاطبنى الرئيس بلهجة خشنة قائلا: - أنت هو التيجانى السماوى؟ قلت: نعم. - قال: أنت الذى أفتيت بصحة الزواج فى هذه القضية؟. - قلت: لا لست أنا بمفت، ولكن الأئمة وعلماء المسلمين هم الذين أفتوا بحليته وصحته!. - قال: ومن أجل ذلك دعوناك، وأنت الآن فى قفص الاتهام، فإذا لم تثبت دعواك بالدليل فسوف نحكم بسجنك وسوف لن تخرج من هنا إلا إلى

السجن. وعرفت وقتها أننى بالفعل فى قفص الاتهام، لا ـ لأننى أفتيت فى هذه القضية، ولكن لأن بعض علماء السوء حدث هؤلاء الحكام بأننى صاحب فتنة وأننى أسب الصحابة وأبث التشيع لآل البيت النبوى، وقد قال له رئيس المحكمة إذا أتيتنى بشاهدين ضده فسألقيه فى السجن. أضف إلى ذلك أن جماعة من الإخوان المسلمين استغلوا هذه الفتوى وروجوا لدى الخاص والعام أننى أبيح نكاح الأخوات وهو قول الشيعة على زعمهم!. كل ذلك عرفته من قبل وتيقنته عندما هددنى رئيس المحكمة بالسجن فلم يبق أمامى إلا التحدى والدفاع عن نفسى بكل شجاعة فقلت للرئيس: - هل لى أن أتكلم بصراحة وبدون خوف، قال: - نعم تكلم فأنت ليس لك محام.. قلت: - قبل كل شئ أنا لم أنصب نفسى للإفتاء، ولكن ها هو زوج المرأة أمامكم فاسألوه، فهو الذى جاءنى إلى بيتى يطرق بابى ويسألنى، فكان واجبا على أن أجيبه بما أعلم وقد سألته بدورى عن عدد الرضعات ولما أعلمنى بأن زوجته لم ترضع غير مرتين أعطيته وقتها حكم الإسلام فيها، فلست أنا من المجتهدين ولا من المشرعين. [صفحه ۲۱۷] قال الرئيس: عجبا، أنت الآن تدعى أنك تعرف الإسلام ونحن نجهله! قلت: أستغفر الله أنا لم أقصد هذا، ولكن كل الناس هنا يعرفون مذهب الإمام مالك ويتوقفون عنده، وأنا فتشت فى كل المذاهب ووجدت حلا ـ لهذه القضية. قال الرئيس: أين وجدت الحل؟ قلت: - قبل كل شئ هل لى أن أسألكم سؤالا يا سيدى الرئيس؟. - قال: إسأل ما تريد. - قلت: ما قولكم فى المذاهب الإسلامية؟. - قال كلها صحيحة، فكلهم من رسول الله ملتمس، وفى اختلافهم رحمة. - قلت: فارحموا إذن هذا المسكين (مشيرا إلى زوج المرأة) الذى قضى الآن أكثر من شهرين وهو مفارق لزوجه وولده بينما هناك من المذاهب الإسلامية من حل مشكلته. فقال الرئيس مغضبا: - هات الدليل وكفاك تهريجا، نحن سمحنا لك بالدفاع عن نفسك فأصبحت محاميا لغيرك. فأخرجت له من حقيبتى كتاب منهاج الصالحين للسيد الخوئى وقلت: هذا مذهب أهل البيت وفيه الدليل، فقاطعنى قائلا: دعنا من مذهب أهل البيت فنحن لا نعرفه ولا نؤمن به. كنت متوقعا هذا ولذلك أحضرت معى بعد البحث والتنقيب عدة مصادر لأهل السنة والجماعة كنت رتبتها حسب علمى فوضعت البخارى فى المرتبة الأولى ثم صحيح مسلم وبعده كتاب الفتاوى لمحمود شلتوت وكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، وكتاب زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى وعدة مصادر أخرى من كتب (أهل السنة) ولما رفض الرئيس أن ينظر [صفحه ۲۱۸] فى كتاب السيد الخوئى سألته عن الكتب التى يثق بها، قال: البخارى ومسلم. وأخرجت صحيح البخارى وفتحته على الصفحة المعينة وقلت: تفضل يا سيدى إقرأ. - قال: إقرأ أنت؟ وقرأت: حدثنا فلان عن فلان عن عائشة أم المؤمنين قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يحرم من الرضعات إلا ـ خمسا فما فوق. وأخذ الرئيس منى الكتاب وقرأ بنفسه وأعطاه إلى وكيل الجمهورية بجانبه فقرأ هو الآخر وناوله لمن بعده فى حين أخرجت صحيح مسلم وأطلعته على نفس الأحاديث ثم فتحت كتاب الفتاوى لشيخ الأزهر شلتوت وقد ذكر هو الآخر اختلافات الأئمة فى مسألة الرضاعة فمنهم من ذهب إلى القول بأن المحرم ما بلغ خمس عشرة رضعة ومنهم من قال بسبعة ومنهم من حرم فوق الخمسة عدا مالك الذى خالف النص وحرم قطرة واحدة ثم قال شلتوت: وأنا أميل إلى أوسط الآراء فأقول سبعا فما فوق، وبعد ما اطلع رئيس المحكمة على ذلك قال: يكفى. ثم التفت إلى زوج المرأة وقال له: إذهب الآن وآتنى بوالد زوجتك ليشهد أمامى بأنها رضعت مرتين أو ثلاثا وسوف تأخذ زوجتك معك هذا اليوم.. وطار المسكين فرحا، واعتذر وكيل الجمهورية وبقية الأعضاء الحاضرين للالتحاق بأعمالهم وأذن لهم الرئيس، ولما خلا بنا المجلس التفت إلى معتذرا وقال: سامحنى يا أستاذ لقد غلطونى فيك وقالوا فيك أشياء غريبة وأنا الآن عرفت أنهم حاسدون ومغرضون يريدون بك شرا. وطار قلبى فرحا بهذا التحول السريع وقلت: الحمد لله الذى جعل نصرى على يديك يا سيدى الرئيس، فقال: سمعت بأن عندك مكتبة عظيمة فهل يوجد فيها كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى؟. قلت: نعم، فقال: هل تعيرنى إياه، فقد مضى عامان وأنا أبحث عنه: قلت: هو لك يا سيدى متى أردت، قال: هل عندك وقت يسمح لك بالمجئ إلى مكتبتى لنتحدث وأستفيد منك. قلت: أستغفر الله فأنا الذى أستفيد منك، فأنت أكبر منى سنا وقدرا، [صفحه ۲۱۹] وعندى أربعة أيام راحة فى الأسبوع وأنا رهن إشارتك. واتفقنا على يوم السبت من كل أسبوع لأنه ليس له جلسات للمحكمة فى ذلك اليوم. وبعدما طلب منى أن أترك له كتابى البخارى ومسلم وكتاب الفتاوى لمحمود شلتوت لكى يحرر

منها النص قام بنفسه وأخرجنی من مکتبه مودعا. وخرجت فرحا أحمد الله سبحانه علی هذا النصر وقد دخلت خائفا مهددا بالسجن وخرجت وقد انقلب رئیس المحکمة إلی صدیق حمیم یحترمنی ویطلب منی مجالسته لیستفید منی، إنها برکات طریق أهل البیت الذین لا یخیب من تمسک بهم ویأمن من لجأ إلیهم. وتحدث زوج المرأة فی قریته وشاع الخبر فی کل القری المجاورة بعد ما رجعت المرأة إلی بیت زوجها وانتهت القضیة بحلیة الزواج، فأصبح الناس یقولون بأنی أعلم من الجمیع وأعلم حتی من مفتی الجمهوریة. وقد جاء زوج المرأة إلی البیت ومعه سیارة کبیرة ودعانی إلی القریة أنا وکل عائلتی وأعلمنی أن کل الأهالی ینتظرون قدومی وسیذبحون ثلاثة عجول لإقامة الفرج واعتذرت إلیه بسبب انشغالی فی قفصة وقلت له: سوف أزورکم مرة أخری إن شاء الله. وتحدث رئیس المحکمة إلی أصدقائه واشتهرت القضیة ورد الله کید الکائدین وجاء بعضهم معتذرین وقد فتح الله بصیرة البعض منهم فاستبصروا وأصبحوا من المخلصین، ذلک فضل الله یؤتیه من یشاء والله ذو الفضل العظیم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمین وصلی الله علی سیدنا محمد وعلی آله الطیبین الطاهرین.

پاورقی

[۱] المؤدب: هو معلم القرآن.

[۲] أشفع: أصلی التراویح، سمیت صلاة التراویح للاستراحة بین کل رکعتین، وسمیت أیضا صلاة الاشفاع لأنها تشفع یوم القیامة لمن یقیمها، کما یروی أهل السنة.

[۳] الکتاب: هی المدرسة القرآنیة التی بتعلم فیها الأطفال حفظ القرآن الکریم.

[۴] البنادر: مفرده بندیر وهو طبل مثل الدف یستعمله الصوفیة للمدائح والأذکار والشطح ویقال أن سیدی عبد السلام الأسمر أول من استعمله وقد نزل بندیره من السماء؟!.

[۵] سورة الحجرات: آیة ۲.

[۶] سورة القصص: آیة ۸۸.

[۷] سورة المائدة: آیة ۳۵.

[۸] العمارة: هی الحلقة التی یذکر فیها اسم الصدر فی شطحات منتظمة.

[۹] حوقل، بحوقل: یکثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم.

[۱۰] سورة البقرة: آیة ۱۴۳.

[۱۱] سورة الأحزاب: آیة ۵۶.

[۱۲] سورة العنکبوت: آیة ۶۹.

[۱۳] سورة آل عمران: آیة ۱۴۴.

[۱۴] سورة الفتح: آیة ۲۹.

[۱۵] سورة الأحزاب: آیة ۴۰.

[۱۶] سورة المائدة: الآیات ۴۴ – ۴۵ – ۴۷.

[۱۷] سورة العنکبوت: آیة ۶۹.

[۱۸] سورة الزمر: آیة ۱۸.

[۱۹] سورة الحج: آیة ۷۸.

[۲۰] سورة یونس: آیة ۴۴.

[۲۱] سورة الزخرف: آية ۳۶.

[۲۲] سورة آل عمران: آية ۱۴۴.

[۲۳] حوقل: قال لا حول ولا قوة إلا بالله.

[۲۴] سورة آل عمران: آية ۱۵۹.

[۲۵] سورة الأحزاب: آية ۳۲.

[۲۶] سورة الأحزاب: آية ۳۳.

[۲۷] سورة الأنفال: آية ۴۱.

[۲۸] سورة الشورى: آية ۲۳.

[۲۹] سورة النساء: آية ۵۹.

[۳۰] سورة آل عمران: آية ۷.

[۳۱] حديث الثقلين، ومن مصادره، كنز العمال ج ۱ ص ۴۴، مسند أحمد ج ۵ ص ۱۸۲.

[۳۲] حديث السفينة، المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۱۵۱ تلخيص الذهبى، الصواعق المحرقة لابن حجر ص ۱۸۴ و ۲۳۴.

[۳۳] هذه القصة أخرجها أصحاب السير والتواريخ كما أخرجها البخارى فى صحيحه من كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد ج ۲ – ص ۱۲۲ – صحيح مسلم فى باب صلح الحديبية ج ۲.

[۳۴] سورة النساء: آية ۶۵.

[۳۵] السيرة الحلبية باب صلح الحديبية ج ۲ – ص ۷۰۶.

[۳۶] صحيح البخارى ج ۳ باب قول المريض: قوموا عنى. صحيح مسلم ج ۵ ص ۷۵ فى آخر كتاب الوصية. مسند الإمام أحمد ج ۱ ص ۳۵۵ و ج ۵ ص ۱۱۶. تاريخ الطبرى ج ۳ ص ۱۹۳ – تاريخ ابن الأثير ج ۲ – ص ۳۲۰.

[۳۷] سورة الحجرات: آية ۲.

[۳۸] طبقات ابن سعد ج ۲ – ص ۱۹۰ – تاريخ ابن الأثير ج ۲ – ص ۳۱۷.السيرة الحلبية ج ۳ – ص ۲۰۷ – تاريخ الطبرى ج ۳ – ص ۲۲۶.

[۳۹] سورة الحشر: آية ۷.

[۴۰] سورة الأحزاب: آية ۳۶.

[۴۱] الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ – ص ۱۹۰ – تاريخ الطبرى ج ۴ – ص ۲۲۶.

[۴۲] سورة آل عمران: آية ۳۱.

[۴۳] سورة النحل: آية ۴۴.

[۴۴] سورة النساء: آية ۱۰۵.

[۴۵] سورة البقرة: آية ۱۵۱.

[۴۶] للتفصيل إقرأ: الخلافة والملك: أبو الأعلى المحمودى. يوم الإسلام: أحمد أمين.

[۴۷] شرح ابن أبى الحديد ج ۸ – ص ۱۱۱.

[۴۸] تاريخ اليعقوبى ج ۲ – ص ۱۰۶.

[۴۹] فتوح البلدان ص ۴۳۷.

[۵۰] صحيح البخارى – ج ۱ – ص ۵۲.

[۵۱] تاريخ الطبرى – وتاريخ ابن الأثير.

[۵۲] الإمامة والسياسة ابن قتيبة.

[۵۳] راجع النص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين، فقد أحصى كثيرا من الموارد التى اجتهد فيهاعمر مقابل النصوص، مع ذكر المصادر المقبولة لدى الفرق الإسلامية كافة.

[۵۴] سورة الضحى: آية ۷.

[۵۵] سورة العنكبوت: آية ۶۹.

[۵۶] سورة الفتح: آية ۲۹.

[۵۷] سورة سبأ: آية ۱۳.

[۵۸] سورة التوبة: آية ۳۸، ۳۹.

[۵۹] سورة محمد: آية ۳۸.

[۶۰] سورة المائدة: آية ۵۴.

[۶۱] سورة آل عمران: آية ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶.

[۶۲] سورة الحديد: آية ۱۶.

[۶۳] صحيح البخارى ج ۴ ص ۹۴ إلى ۹۹ و ص ۱۵۶ و ج ۳ ص ۳۲، صحيح مسلم ج ۷ ص ۶۶حديث الحوض.

[۶۴] صحيح البخارى ج ۴ ص ۹۴ إلى ۹۹ و ص ۱۵۶ و ج ۳ ص ۳۲، صحيح مسلم ج ۷ ص ۶۶حديث الحوض.

[۶۵] أخرج هذا الحديث كل من البخارى فى صحيحه ج ۴ ص ۱۸۷ ومسلم فى صحيحه ج ۸ ص ۵۷.والإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ج ۳ ص ۸۴ و ۹۴.

[۶۶] يصادف تاريخ كتابة هذه السطور: أن البابا يوحنا بولس الثانى زار بالأمس كنيسة اليهود فى محاولة تقريب اليهود من النصارى على حساب تبرئة اليهود من قتل المسيح ونسيان الماضى والتحالف لضرب الإسلام والمسلمين.

[۶۷] الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ج ۴ ص ۱۷۳ مسند الإمام أحمد ج ۳ ص ۳۹.

[۶۸] تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۳۳.

[۶۹] صحيح مسلم ج ۲ ص ۷۳۰ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

[۷۰] صحيح البخارى ج ۴ ص ۱۰۰ – ۱۰۱.

[۷۱] مروج الذهب للمسعودى ج ۲ ص ۳۴۱.

[۷۲] مروج الذهب للمسعودى ج ۲ ص ۳۴۱.

[۷۳] مروج الذهب للمسعودى ج ۲ ص ۳۴۱.

[۷۴] مروج الذهب للمسعودى ج ۲ ص ۳۴۱.

[۷۵] صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۲۲ من كتاب العيدين. باب الخروج إلى المصلى بغير منبر.

[۷۶] أبو الأعلى المودودى كتاب الخلافة والملك ص ۱۰۶.

[۷۷] صحيح مسلم ج ۱ ص ۶۱.

[۷۸] صحيح البخارى ج ۲ ص ۳۰۵، مسلم ج ۲ ص ۳۶۰، مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۰۹.

[۷۹] صحيح البخارى ج ۲ ص ۷۶، صحيح الترمذى ج ۵ ص ۳۰۰، سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۴۴.

[۸۰] صحيح مسلم ج ۱ ص ۶۱، سنن النسائى ج ۶ ص ۱۱۷ صحيح الترمذى ج ۸ ص ۳۰۶.

[۸۱] صحیح الترمذی ج ۵ ص ۲۰۱ مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۲۶.

[۸۲] مسند الإمام أحمد ج ۵ ص ۲۵ مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۳۴، صحیح الترمذی ج ۵ ص ۲۹۶.

[۸۳] صحیح مسلم ج ۲ ص ۳۶۲ مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۰۹ مسند أحمد ج ۴ ص ۲۸۱.

[۸۴] مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۲۱ خصائص النسائی ص ۲۴. مسند الإمام أحمد ج ۶ ص ۳۳ المناقب للخوارزمی ص ۸۱. الریاض النضرة للطبری ج ۲ ص ۲۱۹. تاریخ السیوطی ص ۷۳.

[۸۵] صحیح البخاری ج ۱ ص ۷۴.

[۸۶] صحیح البخاری ج ۲ ص ۱۵۴، صحیح مسلم ج ۱ ص ۲۶۰.

[۸۷] صحیح البخاری ج ۱ ص ۵۴.

[۸۸] صحیح البخاری ج ۲ ص ۱۳۵.

[۸۹] صحیح البخاری ج ۲ ص ۲۰۱.

[۹۰] منهاج السنة لابن تیمیة ج ۳ ص ۱۳۱. حلیة الأولیاء لأبی نعیم ج ۱ ص ۵۲.

[۹۱] تاریخ الطبری ص ۴۱. الریاض النضرة ج ۱ ص ۱۳۴. کنز العمال ص ۳۶۱. منهاج السنة لابن تیمیة، ج ۳ ص ۱۲۰.

[۹۲] تاریخ الطبری ص ۴۱ الریاض النضرة ج ۱ ص ۱۳۴. کنز العمال ص ۳۶۱. منهاج السنة النبویةلابن تیمیة ج ۳ ص ۱۲۰.

[۹۳] سورة یونس: آیة ۶۲ و ۶۳. ۶۴.

[۹۴] سورة فصلت: آیة ۳۰، ۳۱، ۳۲.

[۹۵] سورة ونس: آیة ۵۴.

[۹۶] سورة الزمر: آیة ۴۷، ۴۸.

[۹۷] صحیح البخاری ج ۲ ص ۲۰۶ باب مناقب قرابة رسول الله (ص).

[۹۸] الإمامة والسیاسة لابن قتیبة ج ۱ ص ۲۰. فدک فی التاریخ ص ۹۲.

[۹۹] صحیح البخاری ج ۱ ص ۱۲۷، ۱۳۰ و ج ۲ ص ۱۲۶، ۲۰۵.]

[۱۰۰] وجدت: غضبت.

[۱۰۱] صحیح البخاری ج ۳ ص ۳۹.

[۱۰۲] تاریخ الخلفاء المعروف بالإمامة والسیاسة لابن قتیبة الدینوری ج ۱ ص ۲۰.

[۱۰۳] صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۲۱ و ص ۱۳۰.

[۱۰۴] تاریخ الخلفاء ج ۱ ص ۲۰.

[۱۰۵] تاریخ الخلفاء ج ۱ ص ۲۰.

[۱۰۶] صحیح البخاری ج ۳ ص ۳۹.

[۱۰۷] تاریخ الطبری ج ۴ ص ۴۰۷ تاریخ ابن الأثیر ج ۳ ص ۲۰۶ لسان العرب ج ۱۴ ص ۱۹۳ تاج العروسج ۸ ص ۱۴۱ العقد الفرید ج ۴ ص ۲۹۰.

[۱۰۸] سورة الأحزاب: آیة ۳۳.

[۱۰۹] الإمامة والسیاسة.

[۱۱۰] الطبری وابن الأثیر والمدائنی وغیرهم من المؤرخین الذین أرخوا حوادث سنة ست وثلاثین للهجرة.

[۱۱۱] صحیح مسلم ج ۱ ص ۴۸.

[۱۱۲] الطبری وابن الأثیر والفتنة الکبری وکل المؤرخین الذی أرخوا حوادث سنة أربعین للهجرة.

[۱۱۳] الطبری وابن الأثیر والمدائنی وغیرهم من المؤرخین الذین أرخوا لسنة ست وثلاثین للهجرة.

[۱۱۴] صحیح البخاری ج ۴ ص ۱۶۱.

[۱۱۵] صحیح البخاری ص ۱۲۸.

[۱۱۶] صحیح الترمذی، الإستیعاب ترجمة صفیة، الإصابة ترجمة صفیة أم المؤمنین.

[۱۱۷] صحیح البخاری ج ۳ ص ۶۸ باب مرض النبی ووفاته.

[۱۱۸] راجع: الخلافة والملک للمودودی. ویوم الإسلام لأحمد الأمین.

[۱۱۹] کتاب حیاة الحیوان الکبری للدمیری. هذه القصة توجد فی حدیثه عن الأسود السالخ.

[۱۲۰] سورة الجاثیة: آیة ۲۳.

[۱۲۱] سورة النساء: آیة ۸۲.

[۱۲۲] سورة الفتح: آیة ۲۸.

[۱۲۳] سورة البقرة: آیة ۱۵۱.

[۱۲۴] موطأ الإمام مالک ج ۱ ص ۳۰۷. المغازی للواقدی ص ۳۱۰.

[۱۲۵] صحیح البخاری ج ۳ ص ۳۸۷ باب غزوة خیبر.

[۱۲۶] سورة البقرة: آیة ۲۴۷.

[۱۲۷] صحیح الترمذی ج ۵ ص ۲۹۶ خصائص النسائی ص ۸۷ مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۱۰.

[۱۲۸] مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ۴ ص ۲۸۱ سر العالمین للإمام الغزالی ص ۱۲. تذکرة الخواص لابن الجوزی ص ۲۹ الریاض النضرة للطبری ج ۲ ص ۱۶۹ کنز العمال ج ۶ ص ۳۹۷ البدایة والنهایة لابن کثیر ج ۵ ص ۲۱۲ تاریخ ابن عساکر ج ۲ ص ۵۰ تفسیر الرازی ج ۳ ص ۶۳ الحاوی للفتاوی للسیوطی ج ۱ ص ۱۱۲.

[۱۲۹] تاریخ الطبری، تاریخ ابن الأثیر، تاریخ الخلفاء، تاریخ الخمیس، الإستیعاب، وکل من ذکر بیعة أبی بکر.

[۱۳۰] تاریخ الخلفاء لابن قتیبة ج ۱ ص ۱۸.

[۱۳۱] صحیح البخاری ج ۴ ص ۱۲۷.

[۱۳۲] شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج ۱ ص ۳۴ الخطبة الشقشقیة.

[۱۳۳] تاریخ الخلفاء ج ۱ ص ۱۷.

[۱۳۴] راجع: السقیفة والخلافة لعبد الفتاح عبد المقصود، والسقیفة للشیخ محمد رضا المظفر.

[۱۳۵] تاریخ الخلفاء لابن قتیبة ج ۱ ص ۱۹. شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید (بیعة أبی بکر).

[۱۳۶] صحیح البخاری ج ۳ ص ۳۶ صحیح مسلم ج ۲ ص ۷۲ باب لا نورث ما ترکناه صدقة.

[۱۳۷] إشارة إلی رکوبها الجمل فی حرب الجمل المشهورة.

[۱۳۸] إشارة إلی رکوبها البغلة یوم منعت دفن الحسن بجانب جده.

[۱۳۹] شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ج ۱۶ ص ۲۲۰ – ۲۲۳.

[۱۴۰] المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ۳ ص ۱۰۷ المناقب للخوارزمی ص ۳. و ۱۹. تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۱۶۸ الصواعق المحرقة لابن حجر الهیثمی ص ۷۲.تاریخ ابن عساکر ج ۳ ص ۶۳ شواهد التنزیل للحسکانی الحنفی ج ۱ ص ۱۹.

[۱۴۱] الریاض النضرة للطبری ج ۲ ص ۲۸۲ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ۱۱۸ و ص ۷۲.

[۱۴۲] صحیح البخاری ج ۲ ص ۲۰۲.

[۱۴۳] فتح الباری فی شرح صحیح البخاری ج ۷ ص ۸۳ تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۱۹۹، الصواعق المحرقهٔ لابن حجر ص ۱۲۵.

[۱۴۴] سورهٔ الطارق: آیهٔ ۱۵، ۱۶، ۱۷.

[۱۴۵] موطأ الإمام مالک ج ۱ ص ۳۰۷ مغازی الواقدی ص ۳۱۰.

[۱۴۶] صحیح الترمذی ج ۴ ص ۳۳۹ مسند أحمد بن حنبل ج ۲ ص ۳۱۹ مستدرک الحاکم ج ۳ ص – ۵۱.

[۱۴۷] صحیح مسلم باب فضائل علی بن أبی طالب.

[۱۴۸] صحیح البخاری ج ۴ ص ۱۸۴.

[۱۴۹] الإمامهٔ والسیاسهٔ ج ۱ ص ۱۴ رسائل الجاحظ ص ۳۰۱ أعلام النساء ج ۳ ص ۱۲۱۵.

[۱۵۰] تاریخ الطبری ج ۴ ص ۵۲ الإمامهٔ والسیاسهٔ ج ۱ ص ۱۸ تاریخ المسعودی ج ۱ ص ۴۱۴.

[۱۵۱] تذکرهٔ الخواص للسبط ابن الجوزی ص ۲۳ تاریخ دمشق لابن عساکر ج ۱ ص ۱۰۷. المناقب للخوارزمی ص ۷ الفصول المهمهٔ لابن الصباغ المالکی ص ۲۱.

[۱۵۲] أی بإجماع المسلمین لم یفرضها علیهم أحد ولم تکن (فتنهٔ).

[۱۵۳] مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۲۷ تاریخ ابن کثیر ج ۷ ص ۳۵۸ أحمد بن حنبل فی المناقب.

[۱۵۴] سورهٔ الزمر: آیهٔ ۹.

[۱۵۵] سورهٔ یونس: آیهٔ ۳۵.

[۱۵۶] الإستیعاب ج ۴ ص ۳۹ مناقب الخوارزمی ص ۴۸ الریاض النضرهٔ ج ۲ ص ۱۹۴.

[۱۵۷] لقد أجمعت صحاح أهل السنهٔ وکتبهم علی أفضلیهٔ علی (ع) وتقدمه فی العلم علی کل الصحابهٔ. راجع – علی سبیل المثال ما جاء فی الإستیعاب ج ۳، ص ۳۸ – ۴۵ من أقوال الصحابهٔ أنفسهم فیه وتقدیمهم له علیهم.

[۱۵۸] المحب الطبری فی الریاض النضرهٔ ج ۲ ص ۱۹۸ تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۱۲۴.الإتقان ج ۲ ص ۳۱۹ فتح الباری ج ۸ ص ۴۸۵ تهذیب التهذیب ج ۷ ص ۳۳۸.

[۱۵۹] سنن الدارمی ج ۱ ص ۵۴ تفسیر ابن کثیر ج ۴ ص ۲۳۲ الدر المنثور ج ۶ ص ۱۱۱.

[۱۶۰] سورهٔ البقرهٔ: آیهٔ ۱۴۶.

[۱۶۱] سنن ابن ماجهٔ ج ۱ ص ۴۴ خصائص النسائی ص ۲۰ صحیح الترمذی ج ۵ ص ۳۰۰. جامع الأصول لابن کثیر ج ۹ ص ۴۷۱ الجامع الصغیر للسیوطی ج ۲ ص ۵۶.الریاض النضرهٔ ج ۲ ص ۲۲۹.

[۱۶۲] تاریخ دمشق لابن عساکر ج ۲ ص ۴۸۸ کنوز الحقائق للمناوی ص ۲۰۳. کنز العمال ج ۵ ص۳۳.

[۱۶۳] سورهٔ المائدهٔ: آیهٔ ۱۰۴.

[۱۶۴] تاریخ الطبری ج ۲ ص ۳۱۹ تاریخ ابن الأثیر ج ۲ ص ۶۲ السیرهٔ الحلبیهٔ ج ۱ ص ۳۱۱ شواهد التنزیل للحسکانی ج ۱ ص ۳۷۱ کنز العمال ج ۱۵ ص ۱۵. تاریخ ابن عساکر ج ۱ ص ۸۵ تفسیر الخازن لعلاء الدین الشافعی ج ۳ ص ۳۷۱.حیاهٔ محمد لحسین هیکل الطبعهٔ الأولی باب وأنذر عشیرتک الأقربین.

[۱۶۵] سورهٔ البقرهٔ: آیهٔ ۱۱۸.

[۱۶۶] صحیح مسلم باب فضائل علی ج ۵ ص ۱۲۲ صحیح الترمذی ج ۵ ص ۳۲۸.مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۴۸ مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ۳ ص ۱۷.

[۱۶۷] أخرج مسلم فی صحیحه والنسائی والترمذی وابن ماجهٔ وأبی داوود فی سننهم الحدیث المذکور.

[۱۶۸] ورد بلفظ (كتاب الله وعترتی) مسندا إلی رسول الله صلی الله علیه وآله. أما لفظ سنتی فلم یرد فی أی من الصحاح الست، وقد أخرج الحدیث بهذا اللفظ مالك بن أنس فی موطئه ونقله مرسلا غیر مسند،وأخذ عنه بعد ذلك البعض كالطبری وابن هشام ونقلوه مرسلا كما ورد عن مالك.

[۱۶۹] سورة النساء: آیة ۱۱.

[۱۷۰] سورة النمل: آیة ۱۶.

[۱۷۱] سورة مریم: آیة ۵. ۶.

[۱۷۲] صحیح مسلم ج ۸ ص ۵۱ كتاب الإیمان.

[۱۷۳] سورة النساء: آیة ۹۴.

[۱۷۴] سورة التوبة: آیة ۷۵، ۷۶.

[۱۷۵] تاریخ الطبری ج ۳ ص ۲۸۰ تاریخ أبی الفداء ج ۱ ص ۱۵۸.تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۱۰ الإصابة فی معرفة الصحابة ج ۳ ص ۳۳۶.

[۱۷۶] تاریخ أبی الفداء ج ۱ ص ۱۵۸ تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۱۰.تاریخ ابن الشحنة بهامش الكامل ج ۱۱ ص ۱۱۴ وفیات الأعیان ج ۶ ص ۱۴.

[۱۷۷] تاریخ الطبری ج ۳ ص ۲۸۰ تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۱۰.تاریخ أبی الفداء الإصابة ج ۳ ص ۳۳۶.

[۱۷۸] كتاب (الصدیق أبو بكر) للأستاذ هیكل ص ۱۵۱.

[۱۷۹] صحیح البخاری ج ۴ ص ۱۷۱ باب إذا قضی الحاكم بجور فهو رد.

[۱۸۰] سیرة ابن هشام ج ۴ ص ۵۳ طبقات ابن سعد، أسد الغابة ج ۳ ص ۱۰۲.

[۱۸۱] الأستاذ هیكل فی كتابه (الصدیق أبو بكر) ص ۱۵۱ وما بعدها.

[۱۸۲] تاریخ الطبری ج ۳ ص ۲۵۴، تاریخ الخمیس ج ۳۴۳.

[۱۸۳] المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۱۵۱ تلخیص الذهبی، ینابیع المودة ص ۳۰ و ۳۷۰. الصواعق المحرقة لابن حجر ص ۱۸۴ و ۲۳۴، تاریخ الخلفاء للسیوطی والجامع الصغیر له،إسعاف الراغبین.

[۱۸۴] مجمع الزوائد للهیثمی ج ۹ ص ۱۶۸.

[۱۸۵] سورة المجادلة: آیة ۲۲.

[۱۸۶] سورة الممتحنة: آیة ۱.

[۱۸۷] مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۲۸ الطبرانی فی الجامع الكبیر الإصابة لابن حجر العسقلانی، كنز العمال ج ۶ ص ۱۵۵. المناقب للخوارزمی ص ۳۴ ینابیع المودة ص ۱۴۹. حلیة الأولیاء ج ۱ ص ۸۶ تاریخ ابن عساكر ج ۲ ص ۹۵.

[۱۸۸] مناقشات عقائدیة فی مقالات إبراهیم الجبهان صفحة ۲۹.

[۱۸۹] صحیح البخاری ج ۱ ص ۱۲۱ باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسیر، صحیح مسلم ج ۵ ص۷۵ كتاب الوصیة.

[۱۹۰] صحیح البخاری ج ۳ ص ۶۸ باب مرض النبی ووفاته صحیح مسلم ج ص ۱۴ من كتاب الوصیة.

[۱۹۱] طبقات ابن سعد القسم الثانی من الجزء ۲ ص ۲۹.

[۱۹۲] كقضیة إمضائه الطلاق الثلاث صحیح مسلم باب الطلاق الثلاث سنن أبی داوود ج ۱ ص ۳۴۴.

[۱۹۳] كتحریمه متعة الحج ومتعة النساء صحیح مسلم كتاب الحج صحیح البخاری كتاب الحج باب التمتع.

[۱۹۴] رغم أنه فی الواقع لم یحصل حتی هذا النوع من الانتخاب إذ أن الذین انتخبوا لا یملكون حق تمثیل الأمة بأی وجه من الوجوه

علاوهٔ علی غیاب الکثیرین من وجوه المسلمین الذین لهم حق الانتخاب فکانت کما جاء فی الشعر المنسوب إلی أمیر المؤمنین یخاطب أبا بکر: فإن کنت بالشوری ملکت أمورهم فکیف بهذا والمشیرون غیب وإن کنت بالقربی حججت خصیمهم فغیرک أولی بالنبی وأقرب.

[۱۹۵] سورهٔ آل عمران: آیهٔ ۱۵۹.

[۱۹۶] سورهٔ القصص: آیهٔ ۶۸.

[۱۹۷] تاریخ دمشق لابن عساکر ج ۲ ص ۴۸۴ ترجمهٔ الإمام علی بن أبی طالب. مقتل الحسین للخوارزمی ج ۱ ص ۳۸. الغدیر للأمینی ج ۳ ص – ۱۲۰.

[۱۹۸] صحیح البخاری ج ۴ ص ۱۶۴ صحیح مسلم ص ۱۱۹ فی باب الناس تبع لقریش.

[۱۹۹] ینابیع المودهٔ للقندوزی الحنفی.

[۲۰۰] الدر المنثور للسیوطی ج ۲ ص ۶۰ ص ۶۰ أسد الغابهٔ ج ۳ ص ۱۳۷ الصواعق المحرقهٔ لابن حجرص ۱۴۸ و ۲۲۶ ینابیع المودهٔ ص ۴۱ و ۳۵۵ کنز العمال ج ۱ ص ۱۶۸ مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۶۳.

[۲۰۱] سورهٔ النساء: آیهٔ ۹۴.

تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامهٔ فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّهٔ" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیهٔ الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذهٔ هذه المدینهٔ، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحهٔ صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۳۸۰ الهجریّهٔ القمریّهٔ)، مؤسَّسهً و طریقهً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّهٔ" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایهٔ سماحهٔ آیهٔ الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَهِٔ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...

الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّهٔ، تخلیف المطالب النّافعهٔ – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلهٔ أو الرّدیئهٔ – فی المحامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍ واسعهٍ جامعهٍ ثَقافیّهٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعهٔ ثقافهٔ القراءهٔ و إغناء أوقات فراغهٔ هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّهٔ، إنالهٔ المنابع اللازمهٔ لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرهٔ فی الجامعهٔ، و...

- مِنها العَدالهٔ الاجتماعیّهٔ: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزهٔ الحدیثهٔ متصاعدهً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافهِٔ الاسلامیّهٔ و الإیرانیّهٔ – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطهٔ الواسعهٔ للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّـة الحاليّـة لهـذا المركز، شـَعبيّـة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسـعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسـمَّى بالقائميّـة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سـماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹